

يَتُورِل. لَهَارُولر دِي دُولَف

# الرَّسَالَةُ الْخَالِدَةُ

فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ

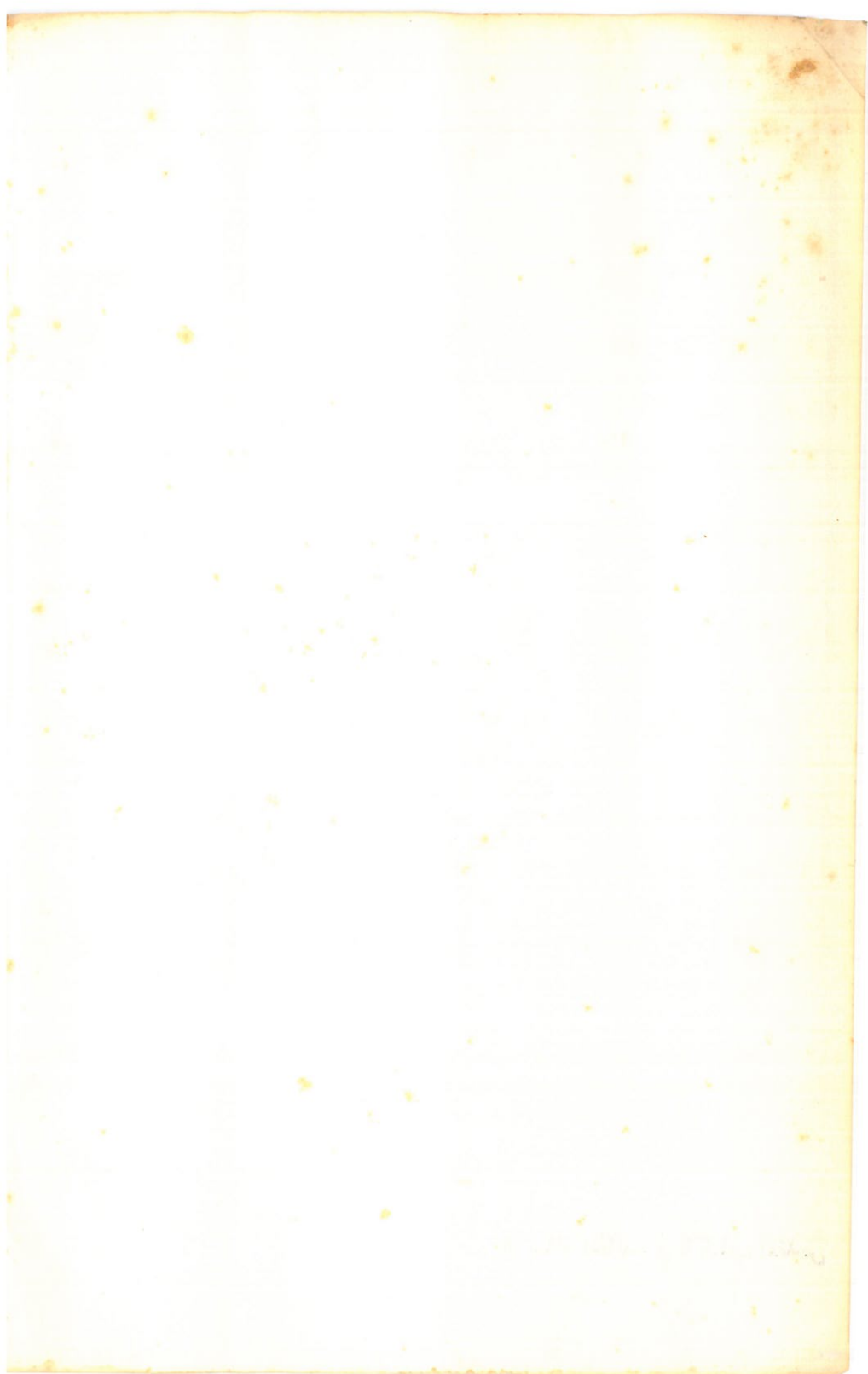


تَرْجَمَةُ  
الْقِسْمِ هُنَا غُورِي

منشورات  
مكتبة المشعل الانجيلية  
بيروت

الرسالة الخالدة في الكتاب المقدس





الدكتور ل. هارولد دي وولف

# الرسالة الخالدة

في الكتاب المقدس

ترجمة  
إلياس هنا غوري



منشورات  
مكتبة الشعلة الانجيلية  
بيروت  
١٩٦٧





لله عزة

الى الزميل الحبيب ، الاداري الحكيم ، والأخ الوقور

القس ابراهيم صالحم داغر

رئيس المجمع الأعلى للطائفة الانجيلية في سورية ولبنان ، وأمين سر  
السينودس الانجيلي الوطني ، اقدم ترجمة كتاب :

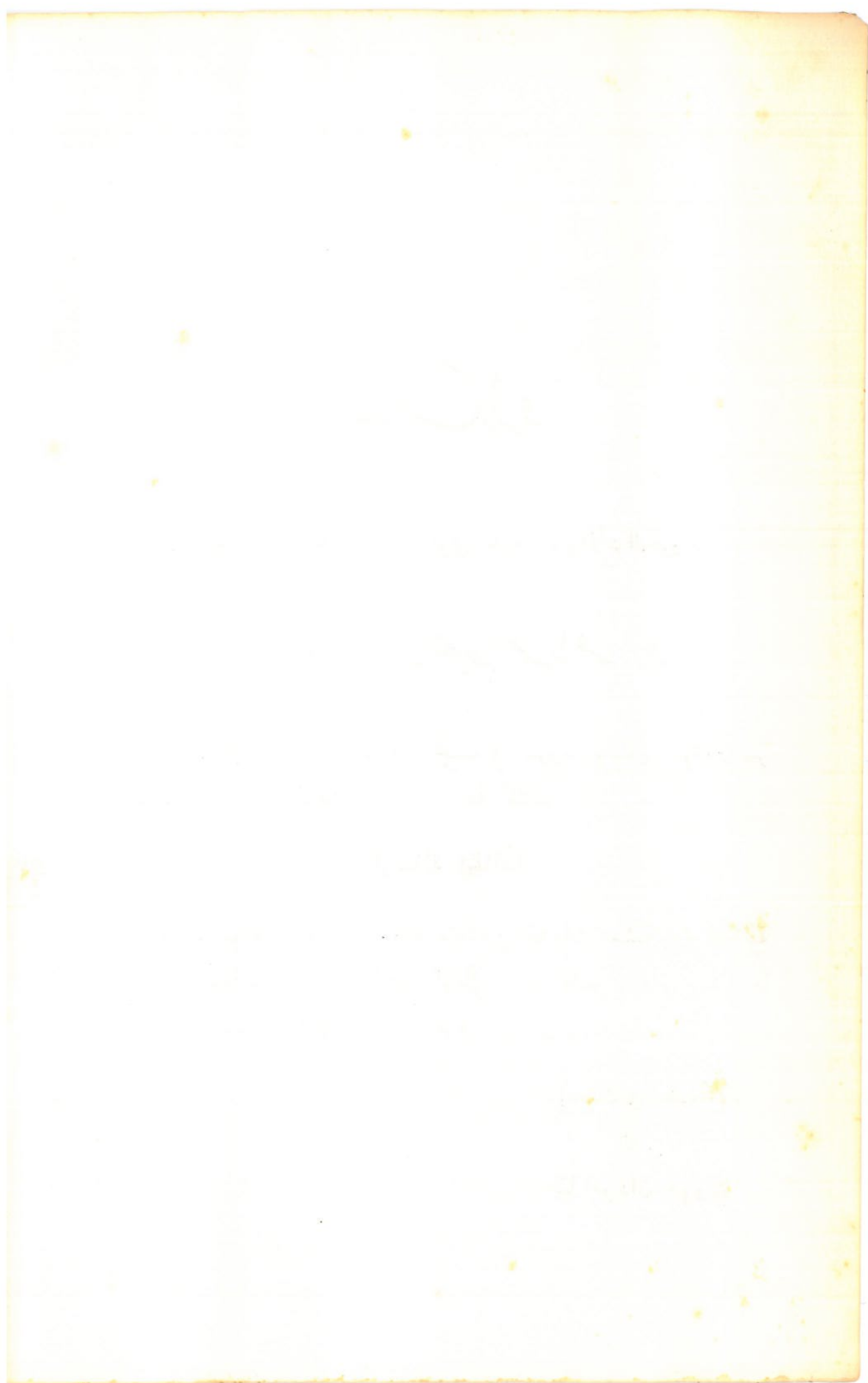
الرسالة الخالدة

تقديراً لمواهبك الادارية وما قدمته من خدمات مشكورة للطائفة  
الانجيلية عامة وللسينودس الانجيلي الوطني بوجه خاص . مآثر سيذكرها  
كل محب وسيسجلها لكم التاريخ بأحرف من نور ...

زميلك في الخدمة

القس

حنا حردان خوري



## الرسالة الختالية في الكتاب المقدس

يدور هذا المؤلف حول اقتناع واضعه الدكتور ل. هارولد دي وولف  
بأن وحدة اسفار الكتاب المقدس قائمة على كلمات ثلاث هي :

من الله

وإلى الله

ومع الله

فتبحث الاولى منها عن المصدر الذي جئنا منه ، والثانية عن المكان  
الذي نذهب اليه ، والثالثة كيف نتمكن من الوصول اليه .

تحت هذه المواضيع الرئيسية الثلاثة يجمع الدكتور دي وولف آراء  
قيمة تنبع من تعمقه في دراسة الكتاب المقدس .

فهو يقدم رسالة الكتاب المقدس المتطورة خلال العصور كما اتضحت  
له مدة حياته التعليمية في معالجة علم اللاهوت بطريقة متحررة . وفي محاولته  
هذه يستعرض اسفار الكتاب المقدس من ناحية تاريخية وادبية ثم يربطها  
ببعضها البعض ويعالجها من جهة علاقتها بالإنسان العصر الحاضر .



واذ يكتب للشبيبة العلمانيين فهو يجمع دفء الحرارة الروحية الى النقد التاريخي لاسفار الوحي فيحصل القارىء على الإلهام وعلى المعرفة في آن واحد .

وفي هذا المؤلف يمنح الدكتور دي وولف من اللاهوت النظري الذي هو من اختصاصه الى ناحية التوجيه العملي بعد ان تجمع لديه فيض من الاختبارات اللاهوتية التي ضمنها هذا الكتاب من تدريسه موضوعاً في التهذيب الديني على صعيد الابريشية وبعد ان صرف في روديسيا الجنوبية اجازة سنوية منحة اياها جامعة بوسطن اللاهوتية حيث يشغل كرسي اللاهوت النظري . وهو مؤلف عدة كتب ، بينها : القضية اللاهوتية في نظر الاحرار ، ولاهوت الكنيسة الحية . وقد اعيد طبع هذه الكتب عدداً من المرات .

لذلك سيجد القراء كثيراً من الآراء اللاهوتية مدروسة بطريقة سهلة وعملية . ولا شك ان من يطلب يجد ومن يقرع يفتح له . فلماذا لا تبدأ بمطالعة هذا الكتاب فوراً ؟ انك ستجد فيه حلولاً لكثير من شكوكك وأسباب حيرتك ، ومنفتحاً واسعاً امامك لمطالعة الكتاب الإلهي المعين الذي لا ينضب ؛ « فتشوا الكتب لأنكم تظنون ان لكم بها حياة ابدية » ( يو ٥ : ٣٩ ) .

المترجم

## مقدمة المؤلف

هنالك جمهور غفير من الناس ممن قرأوا الكتاب المقدس أو سمعوا شيئاً من فصوله في حداثتهم ولكنهم لم يقفوا على حقيقة رسالته كما ينبغي.



الدكتور هارولد دي وولف

أو أنهم ما زالوا يفكرون بحقائق الكتاب كما تسلموها في المدرسة الأحادية وهم في سن الطفولة فيتصورون أن جميع مطالعي الكتاب المقدس من الكبار ما زالوا يتقبلون تلك الأفكار الساذجة التي أعطيت لهم في سن مبكرة . فأملنا وطيد بأن يجد أمثال هؤلاء الذين لم ينموا في الايمان وفي المعرفة الروحية ولم يتجاوزوا مرحلة الطفولة في تفهمهم رسالة الكتاب المقدس سبيلاً الى

قراءة هذا الكتاب والوقوف على ما فيه من توجيه وقيادة وارشاد .

وهناك كثيرون ممن يواظبون على حضور اوقات العبادة في الكنيسة ومن يدرسون في المدارس الأحادية أو يؤدون خدمات جليلة لعمل الانجيل ولكنهم لم يتمكنوا بعد من ادراك تأثير رسالة الكتاب المقدس واتساع ادراكهم للحقائق الخالدة فيه .

كذلك كثيرون من الشبان والشابات يجتازون مرحلة الحداثة وهم غير واثقين من حقائق الايمان ويتوقون للحصول على ما يزيل الأوهام من مخيلتهم وينصحهم جواباً صحيحاً لشكوكهم وحييرتهم .

ان احتياجات هؤلاء كانت نصب عيني وأنا أدبج فصول هذا الكتاب لمساعدتهم وخدمتهم على ازالة حييرتهم . فعساهم يجدون فرصة لقراءته ايضاً . ولقد حاولت جاهداً ان اعالج اسفار الكتاب المقدس من ناحية تاريخية الا اني اعتنيت بالأكثر ببعض الفصول المختارة منها ، لما توسمت فيها من دروس ينبغي ان تكون غذاءً للنفوس المتعطشة الى الحقيقة الخالدة . وقد أشرت إليها وإلى مصادرها في هذا البحث تسهيلاً لمراجعتها والعودة الى سندها الصحيح لمن أحب ذلك .

وهذا الكتاب شهادة شخصية أعلنها بصراحة وحرية كما كشفها الله لي في كتابه المقدس . ولست اقصد الدخول في المباحكة والجدل في هذه الأمور كما اني لست انتظر ان يقبل القراء جميع الحقائق والآراء المذكورة بدون تفكير وبدون اعمال الروية ، بل جل ما ارجوه من مطالعي هذا الكتاب ان يعودوا الى دراسة الكتاب المقدس على ضوء الاختبارات التي يحصلون عليها في هذه الصفحات ليمحصوا حقائقه بعقل ثاقب ورأي صائب وتفكير صحيح ، وليدرسوا كتاب الكتب هذا بتوقب وأمل ورجاء وبكل وقار واحترام وبكل تفهم وانفتاح وتسليم للقلب والارادة . فشهادتي هذه لا يمكن ان تحل محل شهادتهم ولا تغنيهم فتيلاً اذا لم تصبح جزءاً من اختباراتهم الشخصية .

ل. هارولد دي وولف

نيوتن — ماس

## الجزء الأول

١

من الله

في البدء :

١ - أسئلة خطيرة ، وأجوبة في أشد الخطورة

« انني بحاجة الى بشارتك - ايها الرجل الابيض - التي طالما تاقت نفسي اليها قبل ان اراك » .

كان المتكلم « ساكيسا » وهو راع افريقي من « بانتو » في جنوبي افريقيا . وكان موجهاً كلامه الى مبشر من رواد الانجيل كان اول من توغل الى تلك المجاهل في القارة السوداء . وكان المرسل يحدثه عن رسالة الكتاب المقدس . وفيما بعد روى « ساكيسا » ما كان يدور في خلدته من الاسئلة فيقول :

خرجت في احد الايام القائمة ارعى قطيعي على ضفاف « التولتسي » وعلى هضاب « مالوتي » . فبعد ان جلست على صخرة أشرف منها على كامل القطيع أخذت أطرح نفسي بعض الاسئلة المؤلمة - وأقول مؤلمة لأنني لم اكن قادراً على الاجابة عليها .



كم مرة تجاهبنا مثل هذه الاسئلة الغامضة ! وربما تولتنا الحيرة ونحن  
نفكر بأسرار الجلد من فوق ومشاكل الارض من تحت وأسرار النماء !!

« النجوم ... من لمسها بيده ؟ الجداول - لا تكل ولا تتعب ولا  
تعرف غير ناموس الجري المتواصل في الصباح كما في المساء . ولكن ...  
اين تنتهي هذه الجداول ؟ ومن يجعلها تجري بهذه الصورة ؟ والغيوم أيضاً  
تروح وتجيء وتتحول الى مياه لتسقي وجه الأرض . من أين تأتي ؟ ومن  
يرسلها ؟ والهواء الذي لست أراه بعيني ... ما هو ومن أي شيء مركب ؟  
من يأتي به ؟ ومن يأخذه ؟ ومن يحمله على الاستداد والزئير ، فيعصف  
ويهب فيسبب لنا الخوف والرعدة ؟ هل اعرف كيف تنمو الحبوب  
وتنبت بصور رؤيات صغيرة ؟ بالأمس لم تكن قصة واحدة في حقل ،  
أما اليوم فاني أجده ممتلئاً نباتاً صغيراً لا يلبث حتى ينمو ويتقدم كما ينمو  
الفتى في مستقبل العمر . من الذي أعطى التربة الحكمة والمقدرة على  
إخراج نباتها وثمرها ؟ بعد ذاك دفنت رأسي بين يدي صامتاً متأملاً .. »

ومع كل تقدمنا العلمي قد نسأل نحن أيضاً مثل هذه الأسئلة وقد  
تكون مفصلة أكثر أو محللة تحليلات علمياً بصورة افضل . ولكن هل  
يساعدنا العلم لنقدم اجوبة افضل من اجوبة « ساكيسا » ؟ ام نحن مثل  
ذلك الاستاذ الاخصائي في علم الحياة الذي سألته حديثاً ما هي الحياة ؟  
فأجابني : ان علماء الحياة لا يأبهون لمثل هذا السؤال ولا يكتثون به ،  
وليس لديهم ما يقولونه فيه .

في بعض ساعات تأملنا ، ان كان لنا مثل هذه الساعات وسط ضجيج  
وصخب حياتنا الآلية ، نسأل مثل هذه الأسئلة الخطيرة كما سألتها ذلك

الراعي الافريقي في ذلك اليوم وهو يرقب قطيعه على هضاب « بكوانا »  
المكسوة بالأعشاب .

« ثم اخذت افكر في اعماق نفسي قائلاً: كلنا نفنى وأما الأرض فباقية  
ولكننا نذهب ... والى أين نذهب ؟ فأجابني هاتف داخلي يقول لي :  
ربما وُجد أناس غيرنا في أما كن اخرى ... ربما كنا سنذهب اليهم .  
وراودني فكر آخر يقول لي : ربما كان هؤلاء الناس يعيشون تحت  
الأرض ، فحينئذ موت نذهب اليهم ونسكن معهم . فأجابني فكر مضاد  
يقول : هؤلاء الناس الذين يسكنون تحت الارض من اين جاؤوا ؟ هنا  
توقف قلبي عن التأمل ولم يعد يقوى على الجواب ... لقد ضاع صوابي .  
وبغته تحولت افكار ذلك الراعي الافريقي نحو جهة مشوشة ومزعجة  
كما يحدث لنا احياناً . فلنصغ اليه وهو ينهي لنا قصته كما يلي :

« استيقظ ضميري في داخلي فأخذ يكلمني قائلاً :

كل الناس يرتكبون الشرور ... وأنت واحد من هؤلاء وقد  
ارتكبت كثيراً من الآثام ... ويل لك !! فأخذت أتذكر الإساءات  
المتعددة التي ارتكبتها ضد الآخرين ، وبسبب تلك الإساءات كان ضميري  
ييكثني سراً في أعماق نفسي لانني كنت جالساً على صخرة وحدي وليس  
من أحدٍ قربي . وفجأة استولى عليّ الذعر ، فقممت افتش عن خرافي  
طالباً تحويل افكاري والتلهي عما كنت غارقاً فيه . ولكنني صرت ارتجف  
وتصطك فرائصي » .

فعلى توالي العصور وفي كل قارة ومن كل أمة من الناس قام رجال  
ونساء يسألون مثل هذه الاسئلة المحيرة . وعلى توالي الاجيال انصرف



السائلون وراء خرافهم او وراء اعدائهم التقليديين او وراء التلهي بالذات  
او التتعم بما تقدمه لهم الصناعة المتقدمة. ولا يعقل ان يمضي المرء الى الابد  
سائلاً ومتسائلاً دون الحصول على جواب . وما عليه الا ان ينغمس في  
احد نشاطاته التي تصرف افكاره عن التساؤل ويحاول ان ينسى .

ولا شك ان بعض المتسائلين قد تسلموا ردوداً مقنعة على اجوبتهم  
احياناً ازالوا شكوكهم وأشبعوا نفوسهم وأروت أرواحهم . وقد نقل  
بعضهم تلك الردود الحاسمة لغيرهم عبر الأجيال وسجلوها وأضافوا اليها  
رؤى جديدة عن الحق وأسراراً مستحدثة عن الحياة حتى تجمع سيل  
عرم من هذه الاجابات أودعت سجلات الكتب .

والكتاب المقدس سجل حافل من التقاليد البشرية في تفتيشها عن  
الحقيقة الازلية وسعيها لاكتشاف اعماق الردود عن هذا السر العظيم الذي  
يحيط بنا . ان الملايين من مطالعي هذا الكتاب قد وجدوا فيه حكمة  
اكثر جداً مما يطلبون . وهذه الحكمة لم تقتصر على كونها جواباً على  
اسئلتهم الدقيقة فحسب ولكنها علمتهم طريقة جديدة للحياة الجديدة .

من المدهش حقاً ان كتابة اولئك الانبياء عن مختلف الثقافات ومن  
ازمان غابرة ما زالت تقرأ باحترام ووقار من فلاسفة كثيرين متعمقين في  
العلم ومن رجال ونساء اميين في وقتنا الحاضر .

ان اقدم كتابات التوراة كتبت في تواريخ قدرت ان تكون بين  
الف والف وخمسمائة سنة قبل الميلاد وأحدثها ترجع الى مائة وخمسين سنة  
بعد الميلاد . ففي كامل تلك المدة ، وبالأخص مدة الف سنة او ما يقرب  
من ذلك ، اي من سنة ٨٨٠ ق.م. الى ١٢٠ ب.م. تجمعت اكوام من

التقاليد المشهورة بجيويتها ووحدها برغم التغييرات السياسية والاجتماعية العظيمة التي حصلت خلال تلك الحقبة من الزمن .

ان اولئك الذين سجلوا الردود الكتابية للاسئلة التي كانت تدور في مخيلة الناس لم يدعوا الأسبقية على سواهم في الفضل والمقدرة والمعرفة البشرية . وأما الحكمة التي سجلوها فكانت متقدمة على اية حكمة سواها لانها كانت جواب الله الخاص للبحث البشري . الا انهم يجمعون على ان الجواب الالهي كان موجوداً قبل اثاره الاسئلة البشرية . ولكن تلك الاسئلة التي اقضت مضجع الانسان وجدت اقناعاً لها في الجواب المعطى سابقاً . فانه كان يدعونا قبل محاولتنا التفتيش عنه .

ان دعوة الله لنا وأجوبته لأعمق حاجاتنا ما زالت تسمع في كل مكان ونحن نقرأ كلمات تلك الشهادة القديمة للحق الالهي المعلن فيها . على انه ينبغي ازالة بعض العقبات من طريق اعلانها وفهمها جيداً .

فالتوراة تأذت من اصدقائها المتزمتين اكثر مما لاقته من اعدائها المتحاملين اذ ان الكثيرين منهم وقد شملتهم بقوتها الحية حاولوا ان يعتبروها كتاباً علمياً متضمناً كل الحقيقة بصورة سحرية عجيبة . وحينما وجدوا بيّنات العلم تتعارض مع نصوصها التي ما قبل التاريخ عن العلاقة بين الارض والشمس والنجوم اتهموا العلوم ورفضوها ودعوا للعودة الى كلمة الله . وحينما تمكن العلماء من شرح نظرياتهم وجعلها في متناول ادراك العقلاء بالشواهد والأدلة والبيّنات حتى لم يعد من شك في صوابهم انصرف الكثيرون عن اسفار الكتاب المقدس حاسبينها اساطير بالية . بينما احتفظ غيرهم بالكتاب المقدس لتضمنه فصولاً رائعة في الأدب

والخيال وجديرة بالاحترام لطول استخدامها وهي صالحة للتعليم والاقتباس  
ولدعم الحجج والأدلة المستقاة من مصادر أخرى . وفي كلتا الحالتين أهملت  
قراءة هذه الاسفار ورغب الناس عنها ولم تعد تطالع برغبة وشوق وترقب  
وأمل في سياق البحث عن الاجوبة المتعلقة بمحاجات البشر الضرورية  
والروحية .

ومع ذلك تبقى هذه الحقيقة بارزة للعيان وهي ان الاحترام الموجه  
للكتاب المقدس من قبل المؤمنين به لا يعود الى كشفه عن اسرار العلم  
ولا ينبغي ان يقرأ بهذا الاعتبار على اي حال . فحيث وجد رجال ونساء  
ينحنون باعجاب امام صفحات هذا الكتاب فذلك لا يعني لسبب اي علم  
او لسبب اي تاريخ واقعي يكتشفونه فيه بل لانهم يتعلمون فيه ما هو  
اهم من ذلك بكثير . انهم يكتشفون في حوادثه وشرائعه واشعاره  
وانبيائه ورسائله معنى الوجود والقصد من الحياة المنتصرة .

وحتى في تلك المواقف التي يظهر فيها المؤمنون اهتماماً جدياً كثيراً ما  
أسيء تفسير هذه الاسفار المقدسة لسوء التوقع او سوء الانتظار . فكثيراً  
ما تصبح العبارات مبهمة وكثيرة التعقيد بسبب التقيد بحرفية الكلام  
وتوقع نتائج معينة فتأتي النتيجة معكوسة .

ففي الوقت الذي فيه تعتبر كلمات الاسفار المقدسة كلمات وعبارات  
نطق بها الله نفسه او كتبها بإصبعه وجب ان تكون في مستوى واحد  
من الاعتبار والا وقع القارئ في مشكلة معقدة من حيث التمييز بينها  
وبين اي كان منها مقدماً على الآخر . ان مستويات القيم الروحية في التوراة  
تختلف اختلافاً ظاهراً من مكان الى مكان . ان طريقة اعلان ارادة الله  
كما هي مسجلة في التوراة تظهر كأنها في بعض الاحيان والاماكن

والعقول المختلفة متوقفة على استعدادها لقبول تلك الارادة وفهما كما ينبغي . ان اعلاناً كهذا انما هو اتصال والاتصال يتوقف دوماً على الشخص الآخر الذي عنده ما يقوله . لذلك فكل ما يعلن عنه يتوقف على الرجل الذي يوجه اليه الاعلان كما يتوقف على الله الذي لا تسقط معرفته ابداً .

وكثيراً ما يظهر ان كاتب احد اسفار الوحي كان اكثر استعداداً لتفهم اعلانات الله عن ذاته بصورة افضل حينما كان مستعداً ومتفتحاً لتفهم رسالة الله كما وردت بطريقة اسلافه القدماء . وكأن الاعلان الالهي ذو شكل اشبه بالنهر الكبير الذي يتغذى من عدة جداول فيزداد عمقاً وحجماً كلما تقدم عبر الاجيال . على انه لم يكن نمواً يجعل القاريء ينتظر بثقة ان ما جاء منه متأخراً هو افضل واشرف وأصدق وانفع مما تقدم . ففي العصور المتأخرة نجد كثيراً من الامور السطحية كما نتوقع ان نجد اعظم الاعلانات في اقدمها عهداً وابعدها وحيّاً والهاماً . وعلى القاريء ان يعتبر اسفار الكتاب ، أكانت قديمة أم حديثة ، بشغف وعقل متفتح وبدون ادنى اعتبار لتجانس قيم رسالة الوحي ومساواتها او تفاوتها او استمرار نموها وانبعائها . لاننا هنا نجد الدهشة والنمو كما نجد ومضات خفيفة كومض البرق واشراقات عالية كاشراقة الشمس في رابعة النهار .

ثم ينبغي لفت النظر ايضاً الى خطر فقدان قيمة الكلمة الحية بالتمسك الحرفي بالقول . فكثيرون من ذوي العقول المتحجرة الذين ينقصهم بعد التخيل قد افترضوا بأن كل عبارة في الكتاب المقدس عقيدة ثابتة ينبغي ان تقبل على علاتها كبناء واحد من الايمان الديني . ان مهمة معرفة الحقائق الالهية تنحصر عندئذ في بناء نظام من التفكير يأتي مطابقاً لكل تلك الافتراضات .



والحق يقال ان كتبة اسفار الوحي كانوا بعيدين جداً عن بناء مثل هذا الشكل من الدساتير الدينية انما كانوا شهوداً لاتصالاتهم بالله . فبعضهم قدموا شهاداتهم شعراً وآخرون في تفسير تاريخ أمتهم على ضوء حضور الله المشرق معهم واعلانه ارادته لهم بحسب مقدرتهم على الاستيعاب . وبعضهم جاؤوا من مكان العبادة والصلاة ليتحدوا مع خطية شعبهم وليرشدوه الى طريق البر . وغيرهم ايضاً ، وأحياناً هم ذاتهم ، كانوا يجلبون التعزية والشفاء للمنكوبين واليائسين والمضطربين فيعيدون لهم الرجاء .

وكانت بعض الفصول عبارة عن سرد لحوادث رائعة ، وبعضها اساطير مظهرة حكمة عميقة في ثوب قصة شعبية مألوفة . وبعضها كان عبارة عن تشريع معين او تحذيرات عاطفية خاصة . وبعضها كان امثالا لحقائق خالدة في قصص بسيطة ولكنها قابلة للفهم وللحفظ والاستيعاب . وبعضها رسائل مفعمة بالنصح والارشاد في المشاكل الشخصية او في الخلافات العقائدية بين الجماعة الواحدة . وقليل منها كسفر دانيال وسفر الرؤيا كانت رسائل تحذير او تشجيع لشعب مستعبد ومضطهد بكتابة رمزية مستترة يصعب على المضطهدين تأويلها وحل رموزها اذا ما وقعت في ايديهم . وهناك كتابات اخرى كالزماير وبعض فصول من سفر الجامعة تشهد لدعوة الله بصورة سلبية وذلك باظهار روح التشاؤم والقنوط الحالكين والفراغ الذي يهبط اليه الانسان حينما يضل عن الطريق التي رسمها له الله .

ولكن هذه الكتابات جميعها تتفق بكونها ظلاً لتقليد واحد قدر فيه للملايين البشر ان يسمعوا الله يكلمهم عما يتصل بأعمق اسرار مشاكل حياتهم وعما يسدّ أسمى حاجاتهم ويشبع أسمى آمالهم وأمانيتهم .



ولسنا نهدف في هذا الصدد للدفاع عن زبدة الحقيقة في التوراة ونقول بانها رسالة حقيقية . فالمؤلف يعتقد بهذه الحقيقة وقد أبرزها في اما كن عديدة ولكنه لا ينوي ان يفعل ذلك هنا في هذه العجالة . وما قصدنا سوى اعلان تلك الرسالة لا ان نبوهن عن صحتها . ولذلك سوف لا نلجأ الى اكتشافات علماء الكتاب وما دونوه لنا من دراسات تحليلية ساعدت على وجود عدد من النسخ والترجمات الكتابية وتفهم الكثير من الفصول التي كانت مهمة اولاً . فالسند الذي بعثته الدراسات التاريخية والتحليلية سيقى كما هو اساساً لكل ما سنوضحه في كتابنا ولكننا سنهدف الى تقييم رسالة الكتاب المقدس مهتمين بالحقيقة الحية التي يمكنها ان تثير اذهاننا وترشد خطانا . ولا يخفى ان عدد صفحاتنا محدود لذلك توجب علينا الاختيار غير مكترئين ببعض الهفوات او الفصول المشبوهة كمزامير الانتقام التي تمثل دوافع جانبية على ضفاف المجرى الرئيسي .

فما نقدمه هنا سيقصر على نظرتنا في العالم وفي الله وفي الانسان ومصيره كما تعكسه لنا التوراة في القرن العشرين . ونقصد ان نبين هذه النظرية الكتابية بأقل ما يمكن من الازعاج والوضائية العلمية وسنقتبس قليلاً من المصادر الاخرى ولكن مرجعنا الرئيسي سيكون الكتاب المقدس بالذات .

## ٢ - في البدء

ان في الفصل الاول من سفر التكوين جواباً قوياً لمشاكل كبيرة وخطيرة . فاذا ما وجهنا اليه الاسئلة الحاطة ربما لا نحصل إلا على القليل من الفائدة والمعنى ... من الواضح انه يجيب على السؤال التالي : لماذا وُجد هذا العالم بكل ما فيه من مخلوقات؟ ولكن هذه الكلمة الاستفهامية

« لماذا » هي مصدر تشويش أكثر مما تظهر للعيان في بعض الاحيان لانها تعكس لنا معنى مختلفاً في الجوهر .

حينما كنت ولداً صغيراً سألت والدي في أحد الايام الباردة لماذا وجدت على زجاج نافذتي قطع من الماء المتجمد بأشكال هندسية مختلفة هي غاية في الروعة والجمال ؟ ولما أخذ يشرح لي بعض الحقائق العلمية عن الجليد المتبلور استولت عليّ مشاعر من الحيرة والفشل ما زلت اذكرها . وهو التفسير الذي كنت قد سمعته قبلاً من بعض الاشخاص ولم يكن ليقتنعني حتى ولم أكن أعرف ماذا كنت بحاجة اليه ولكنني شعرت بأن سؤالني لم يدرك بالضبط ولم احصل على الجواب المطلوب . وما معنى تجمد الماء وتبلوره بأشكال هندسية ذات جمال لا يوصف ؟ ولماذا يحصل مثل هذا في عالمنا ؟ وما المعنى من الجمال في كل ما يحيط بنا ؟ وما معنى الوجود اذا كان لا بد منه ؟

ان الشعوب البدائية التي عاشت قريبة من عوامل الطبيعة وانظمتها حيث لم تتأثر تلك البيئة بالتغيرات البشرية مليئة بمثل هذه الاسئلة العجيبة . انهم يدركون جيداً بأن هنالك تفسيرات نثرية لكل ما يحيط بهم من احداث مع كونهم لا يدركون شيئاً من مبادئ العلوم الحديثة . ولكن رغبتهم الشديدة تحرّكهم بالاكثر لدى رؤيتهم مظاهر الخير والشر حولهم اكثر مما تقنعهم اسباب خفية لا تستطيع افهامهم ان تدركها ... فالمعتقدات بالسحر والشعوذة ومناجاة ارواح السلف ومعاطاة الطب بطريقة ساذجة كل هذه تتصل بنظام من التفكير والعادات والشعائر قصد به ان يجيب على سؤال « لماذا » وما القصد وما هي الفائدة منه بدلاً من « لماذا » حصلت تلك الظاهرة ؟

في المدة الاخيرة وفي أحد المستشفيات في روديسيا البريطانية من اعمال افريقيا ادهش مساعد طبيب وطني رئيسه بأن استدعى طبيباً ساحراً لمعالجة ولده الذي سقط من شجرة عالية فكسرت رجله . فهل غاب عن بال هذا الرجل بأن رجل ابنه قد انكسرت نتيجة لسقوطه من مكان عال ؟ ألم يعرف بأنه سقط لعدم صمود غصن الشجرة تحت ثقل جسم الولد لأن السوس كان قد دب فيه فنخره ؟ ألم يكن الولد حاصلًا على كامل العناية الطبية مع امكانية الحصول على شفاء سريع ؟

بلى . ان ذلك الرجل ادرك كل هذه الحقائق ادراكاً تاماً ولكنها لم تغير رغبته في استدعاء طبيب ساحر لمعاينة ولده وكانت حجته كما بينها هكذا : - لماذا وقع ابني من الشجرة في هذا اليوم بين جميع الايام التي يتسلق فيها الاشجار لجمع العسل البري ؟ ولماذا حصل هذا له في اعقاب سوء مسلكه مع والدته في البيت وخروجه من المنزل غاضباً ؟ وما هي الانواع الاخرى من مظاهر النحس وسوء الطالع التي ستتبع هذا الحادث ؟

ان الجواب على اسئلته لم يكن لمعرفة الاسباب العلمية التي يقدمها الرجل العالم في مثل هذه الحال ولكنه كان يتلمس اسباباً اخرى ذات علاقة بموضوع الفرح والألم ، والخير والشر ، والمقاصد النافعة والضارة . لذلك ينبغي ان يستدعي طبيباً ساحراً ليكتشف هذا السرّ المحجوب وتلك المقاصد الخفية . فلربما كانت ارواح السلف حانقة من مسلك الولد الذي استخف بتقاليد العيلة وخرج عنها . عند ذاك وجب ترضيتها . أو ربما كان سبب اقدام الولد على عمل الشر بتأثير احد السحرة مما حمله على ذلك السلوك الذي اوصله حتماً الى السقوط والى كسر رجله . وفي هذه الحال

ينبغي معرفة الساحر واكتشافه وابطال فاعلية سحره او حصرها في ناحية معينة للتخلص منها . فالرجل المساعد للطبيب لم يكن مستقصياً السبب الآلي الذي حصل للولد بل كان باحثاً عن الاهداف والمقاصد المستترة التي سببت الحادث .

كذلك سأل احد المواطنين وهو في غمرة حظه ووفرة تدفق خيالاته هذا السؤال : - لماذا حصلت على كل هذا الخير ؟ لقد كان قادراً على ان يفقد اسباب حصوله على كل عنصر من عناصر ثرائه تفنيدياً علمياً ولكن سؤاله لم يكن ليعنى بهذه الكيفية ولكنه كان مهتماً بالناحية الاخرى : كيف اغدق عليه الخير بصورة ايجابية وما هو السبب في حصوله على هذا الحظ السعيد !

هذا هو نوع السؤال الاستفهامي الذي يجيب عنه الاصحاب الاول من سفر التكوين . فالاحتجاج بأن نظرية النشوء والارتقاء الحياتية لا تقدم نفس التعليل او القول بأن تدرج ظهور انواع الحياة المختلفة يطابق بالتام قصة الخلق الواردة في الاصحاب الاول من سفر التكوين انما هو خروج عن الموضوع الذي نحن بصدده . ان الرواية الشعرية الساحرة التي يروي بها كاتب الوحي قصة الخلق لأسمى من أن تصل اليها قوة العلم في النقض أو الابرام لانها مصوبة نحو ناحية خاصة ولها هدف معين .

فهل العالم مجرد صدفة أم وجد استجابة لمقصد خاص ؟ وهل هو صالح في الجوهر كما تعكس لنا الامطار الخفيفة في ايام الربيع وحرارة الشمس الدافئة في فصل الشتاء ؟ او انه شرير كالفيضانات والابوثة والموت وما اشبه من اسباب المآسي والنكبات ؟ أو هو جامد وبارد وغير شخصي وليس وراءه من قصد او هدف على الاطلاق ؟

بمثل هذه الاحتمالات امامه وفيما كان غارقاً في اعماق تأملاته يفكر بكل ما يحيط به ويتساءل عن سبب وجوده يخبرنا أحد كتاب الوحي القدماء بأن الله كشف له عن الجواب المقنع . فالشمس والقمر والنجوم والنباتات والحيوانات البرية والبحرية وطيور السماء والانسان لماذا وجدت كلها ولماذا وجد العمل والاستراحة بشكل متناوب ؟

في البدء ... الله . هنا اعظم مفتاح لكامل الكتاب المقدس وما جاء فيه . ان كثيراً من كتابات العهد القديم كتبت قبل هذا الاصحاح بازمان ومع ذلك يبقى هذا الفصل فاتحة طبيعية لهذا الكتاب السماوي . لأن المحور الذي تدور عليه الكائنات والحياة التي ندرکها على هذه الارض هو ان الله وراءها كلها أو في صلب وجودها وفيه ينبغي ان نشرع بجميع مخططاتنا ومهامنا اذا كنا نرغب حقاً بأن نصل الى مصيرنا الصحيح .

وفيما نواجه الدورات العظيمة بين عوامل الخير والشر وبين الحياة والممات في هذا العالم يبقى اعظم ما يدور في خيلتنا ونحن مندفعون في حدود معرفتنا الضيقة السؤال التالي : هل لنا صديق يمكننا ان نضع فيه رجاءنا ؟ فاذا لم يكن لنا مثل هذا الصديق فجميع آمالنا تكون باطلة لأنه من الواضح ان الموت ليس معادلاً لنا . فاذا كنا مستقلين وليس لنا صديق او رفيق نعتمد عليه ليدافع عنا ويحمينا لأنه اعظم منا تكون الكلمة الاخيرة عندنا للموت وكذلك لكل عمل نعمله وهدف نهدف اليه وتضحية نقوم بها .

حتى وان كان لنا صديق عظيم في دنيا الغيب يبقى علينا ان ندرك اذا كان ذلك الصديق ندّاً لكل ما يعترض سبيلنا او يمكن ان يقف في



طريقنا . وفي صراعه من اجلنا الا يلزمه بأن يكون كلي القدرة ؟ أم هل هو مجرد قوة بين القوى الأخرى وعرضة على أن يؤخذ على حين غرة أو يمكن ان يقهر نظيرنا ؟ فعلى أية قوى سابقة يمكنه الاعتماد — القوى التي ربما خذلته يوماً فتتركنا بلا نصير ولا معين في وجه الظلمات المنكشفة ؟  
لمثل هذه الاسئلة المروعة ، وليس فقط للاسئلة الفضولية فيما حدث قبل وجود مظاهر الطبيعة التي نراها حولنا ، يقدم الفصل الاول من سفر التكوين الجواب بعبارات قوية : **في البدء خلق الله السموات والأرض .** فلقد كان قبل البدء ومنذ البدء هو كائن . ولم يكن معتمداً على شيء لوجوده لأنه هو كامل الوجود . فقبل كل شيء هو كائن . ولم يكن زمن لم يكن فيه . وكل شيء آخر كان بسبب وجوده هو اولاً . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان . ومع ان كل شيء آخر قد يزول يبقى هو ازلياً خالداً وكذلك كل ما تشاء ارادته ان يبقى خالداً ومعزراً سيبقى وفق ارادته . فعلى ضوء هذه العبارات الافتتاحية في الكتاب المقدس يمكننا ان نهتف مع المزمع صارخين :

يا رب ماجاً كنت لنا في دور فدور ( مز ٩٠ : ١ )

ونستطيع ايضاً الى نواصل مشاركتنا اياه القول :

من قبل ان تولد الجبال او ابدأت الأرض والمسكونة منذ الازل الى الأبد انت الله ( مز ٩٠ : ٢ )

### ٣ — خلق الله السموات والأرض

نحن البشر ضعفاء بالكلية واتكاليون . اننا نحتاج في كل دقيقة من حياتنا الى كمية من الاوكسجين ، والى درجة معقولة من الضغط الهوائي

الذي يحيط بنا ، والى درجة معينة من الحرارة ، والى نظام عظيم من النواميس الكيماوية والطبيعية التي يتوقف عليها وجودنا . اننا نحيا في عالم استطاع ان يدرك حتى القدماء من البشر انه اعظم بكثير من البشر انفسهم واننا نحيا معتمدين عليه كل الاعتماد ولا يمكننا ان نتنكر لشيء من عناصره التي هي من مقومات حياتنا الاساسية .

ان هذا يجعل حياتنا وكأنها معتمدة على مجرد الحظ والصدفة الحسنة بين قوى كونية طبيعية وغير شخصية ، ولكن ذلك خطأ ، لان اعتمادنا على الكون انما هو اعتمادنا على الله بالذات . فهو الذي عمل هذا البنيان الكوني باجمعه . انه صنع يده وبحسب مسئئته ولاجل تكميم مقاصده ... في البدء خلق الله السموات والارض ( تك ١ : ١ ) .

ان الله خلق مادة الكون ونظامه ايضاً . ويفصل سفر التكوين عملية الخلق هذه بأسلوب روائي رائع فيقول اولاً : وكانت الارض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه ( تك ١ : ٢ ) ولكن ذلك كله باطل وبدون فائدة ما لم نفكر بما سيصير اليه الكون تحت اشراف الله وبيده القديرة المبدعة .

اذن :

وقال الله ليكن نور فكان نور . ورأى الله النور انه حسن . وفصل الله بين النور والظلمة . ودعا الله النور نهراً والظلمة دعاها ليلاً ( تك ١ : ٣ )

وبعد ذلك تستمر قصة الخلق فتروي لنا بان الله هو الذي خلق جميع الاشياء التي نراها في الحياة وهو الذي يعطيها خصائصها الاساسية فيميز بين النور والظلمة وبين المياه والجلد وبين البحر واليابسة . ثم يرى ذلك انه حسن

ونلاحظ كذلك التشديد الكتابي على الحدود التي جعلها الله لكل نوع من مخلوقاته . فالاصحاح الاول من سفر التكوين يضع حدوداً للحيوانات والبحر واليابسة حتى والنور - من اختلاف في النوع الى توسع في الفضاء والى استمرار في الزمن - ولم يسمح الله لها بتجاوز حدودها . فالعبرة هنا ليست في تقرير قاعدة علمية بأن كل صنف من الخليقة لا يتغير ولا يتبدل ولكن في الفكرة الاساسية بأن الله قد وضع حدوداً كيلا تتعداها مخلوقاته المتنوعة . وبالطبع هذا يشمل الانسان اكثر من اي شيء سواه لانه وهو المحدود يستطيع ان يحقق مصيره الراهن بقبوله الحدود التي وضعها الله امامه وأمره بألا يتجاوزها .

وبما هو جدير بالملاحظة ان اعمال الله في خلقه تمت بواسطة كلمته . وقال الله : ليكن نور فكان نور . وفي كامل الكتاب المقدس نجد تشديداً على الكلمة التي تلفظ بها الله . وهذه الكلمة توحى لنا معنى السلطة والقدرة والابداع والتغيير والتبديل . فهي قوة مبدعة ومحولة ومبدلة .

ان تمجيد قوة الكلمة الالهية يعود تأثيرها ولا شك الى الميل العبراني للتشديد على حرفية القول وتحديد كلمات الاسفار المقدسة . على ان هنالك تفاسير عامة وذات قيمة . فالكلمة المحكية هي اقرب ما يكون للتعبير الموضح عن الفكر الخفي . لذلك فالكلام صفة لازمة تناسب التعبير عن كائن روحي . وفوق ذلك فالكلمة هي الاداة المناسبة للاتصال بين كائن روحي وآخر . والله في كل مكان يمثل بأنه يطلب الاتصال بالبشر . لذلك فهو يمثل ايضاً متكلماً ومعبراً عن نفسه بكلمته .

وبما انه هو الخالق المتسلط بينا نحن مخلوقاته ورعاياه فكلمته اذن

ليست مثل كلامنا . فكلماتنا غالباً ما تكون خاطئة ، اما كلمته فصحيحة  
وحق ابدأ . ان كلماتنا قد تكون باطلة وخالية من القصد والفائدة ،  
ولكن كلمته تبقى دوماً ذات مقصد كما تكون هادية ومرشدة ومشرقة .  
وكثيراً ما تكون اقوالنا مجرد كلام لا غير فلا تعني شيئاً ولا تغيّر شيئاً .  
اما عندما يتكلم الله فتحصل امور عظيمة كما صرّح بذلك النبي اشعيا في  
بعد : هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي . لا ترجع إلي فارغة بل  
تعمل ما سررت به وتنجح في ما ارسلتها له ( اش ٥٥ : ١١ ) .

#### ٤ - ورأى الله ذلك انه حسن

في خاتمة قصة الخلق نقرأ هذه العبارة : ورأى الله كل ما عمله فاذا  
هو حسن جداً ( تك ١ : ٣١ ) .

يعتبر الدين في كثير من ديانات العالم مخالفاً للوجود البشري فيعدون  
الرجل المتدين من انعزل عن العالم والمسؤوليات العائلية والسياسة وجميع  
الاعمال العادية ليدخل في حياة تأمل وتقشف وزهد . وهو ما ذهبت اليه  
بعض الديانات اذ علمت ان العالم المادي هو عالم شرير . فالخلاص اذن  
لا يتم الا بالانعزال عن العالم وكبح رغبات المرء عن الملذات الدنيوية  
وتركيز اهتمامه على غير المنظور . ان التعاليم المانية والبوذية في موضوع  
الزهد والتنسك قد تسربت الى الديانة المسيحية في مستهل عهدها فاثرت في  
كيانها وكانت سبباً في وجود الرهبنة وحياة التقشف والزهد في الكنيسة  
الاولى .

وأما سفر التكوين فيؤكد لنا من جهة اخرى ان العالم كما اوجده  
الله قد نال استحسانه وحصل على رضاه : ورأى الله كل ما عمله فاذا هو  
حسن جداً .

ولكنهم يقولون بأن حُسنُ صنع يد الله قد شوّهته خطيئة الانسان  
فأصبح العالم الطبيعي كما نعرفه غير ممثل قصد الله في خليقته افضل تمثيل .  
اما الكتاب المقدس في جميع أقسامه فيعتبر العالم مقدساً بموجب قصد الله  
الازلي من خلقه اياه . فيقول المزمع :

لك السموات . لك ايضاً الارض .

المسكونة وملؤها انت اسستها ( مز ٨٩ : ١١ ) .

وبولس الرسول يرى برهاناً واضحاً لوجود الله في عالمه الذي صنعه :

« لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات  
قدرته السرمدية ولاهوته ( رو ١ : ٢٠ ) .

ويسوع يرى في طيور السماء وأزاهير الحقل عناية الله البالغة الوصف :  
« انظروا الى طيور السماء . انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى  
مخازن . وأبوكم السماوي يقوتها ... تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو .  
لا تتعب ولا تغزل . ولكن اقول لكم انه ولا سليمان في كل مجده كان  
يلبس كواحدة منها . فان كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم وي طرح  
غداً في التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحري جداً يلبسكم انتم يا قليلي  
الايان » ( مت ٦ : ٢٦ و ٢٨ - ٣٠ )

وقد علمنا السيد ايضاً الاقرار بفضل الله علينا ومنحه ايانا طعامنا  
كفاف يومنا بالصلاة الربانية هكذا :

« خبزنا كفافنا اعطنا اليوم » ( مت ٦ : ١١ ) .

وحينما قصد بولس الرسول ان يصرف المسيحيين في مدينة كورنثوس



عن الانغماس في الموبقات لم يذهب الى القول بأن طبيعتنا ورغباتنا الشخصية كانت سافلة وشريرة بل على النقيض يعلن بأن الهدف الاسمي الذي من اجله خلق الله لنا اجسادنا انما هو لتمجيده :

« ولكن الجسد ليس للزنا بل للرب وللرب للجسد . أستم تعلمون ان اجسادكم هي اعضاء المسيح . أفأخذ اعضاء المسيح واجعلها اعضاء زانية . حاشا . . ام لستم تعلمون ان جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وانكم لستم لانفسكم . لأنكم قد اشترىتم بثمن . فجدوا الله في اجسادكم وفي ارواحكم التي هي لله » ( ١ كو ٦ : ١٣ و ١٥ و ١٩ - ٢٠ ) .

ويسوع ايضاً يتكلم بمزيد الاحترام عن اختلافاتنا الجنسية ويشدد على عدم نقض الزواج بسبب تقديس الله اياه ، وليس لان الغرائز الجنسية سافلة بل لانها مقدسة فكان من الطبيعي ان يصبح سوء استعمالها امراً شريعياً .

« ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله . من اجل هذا يتوكل الرجل اباه وأمه ويلتصق بامرأته . ويكون الاثنان جسداً واحداً . اذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان » ( مر ١٠ : ٦ - ٩ ) .

قد يظن البعض ان كثرة مقابلة بولس الرسول بين الروح والجسد تعني انه كان ينظر الى اجسادنا الطبيعية نظرة ازدراء وامتهانة . كلا . . . انما المدقق في تلك الفصول التي يتحدث فيها عن الروح والجسد يرى بأن الرسول لم يقصد بالجسد سوى الانسان الخاطيء بطبيعته البشرية . وبالروح

الانسان المتجدد والحاصل على التقديس . فحينما يعدد بعض اعمال الجسد لا يشمل فيها الخطايا الجنسية فحسب كالزنا والعمارة والنجاسة والدعارة بل ويذكر بينها ايضاً الخطايا الفكرية كعبادة الاوثان والسحر والعداوة والخصام والسخط والتحزب والشقاق والبدعة .. ( غل ٥ : ١٩ - ٢١ ) .  
وحينما يتكلم عن الجسد لا يدينه ولا يدعو الناس الى التحرر منه بل خلافاً لذلك يقول : أم لستم تعلمون ان جسدي هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وانكم لستم لأنفسكم . لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في اجسادكم وفي ارواحكم التي هي لله ( ١ كو ٦ : ١٧ - ٢٠ ) .

#### ٥ - على صورة الله

فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم ( تك ١ : ٢٧ ) .

بمثل هذه العبارات يصف لنا كاتب الوحي القديم كيفية خلق الله الانسان والعالم . ولا يخفى على القارئ بأن يلاحظ ان الكاتب حينما يذكر خلق الانسان يشدد على جعله على صورة الله . وهذا التعليم بأن الانسان مخلوق على صورة الله ومثاله مكرر في الكتاب المقدس - في العهد القديم اولا ومؤكداً في العهد الجديد ايضاً . فاذا نعني بذلك يا ترى وما ينبغي ان نفهمه ؟

قد يكون صحيحاً ان بعض كتبة الوحي القدماء اعتبروا الله ذا شكل مشابه لجسم الانسان . فحينما يروى عنه انه سمع صوته « ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار » ( تك ٣ : ٨ ) . ربما عني ذلك الكاتب ما ذكره حرفياً . على ان الاصحاح الاول من سفر التكوين كان قد كتب بعد ذلك التاريخ بنحو ثلاثة قرون حينما كان الفكر العبراني عن الله قد

تقدم اسواطاً في دنيا المجاز وعليه يستبعد جداً ان تكون العبارة الواردة في ( تك ١ : ٢٧ ) « على صورة الله » قد قصد بها الشكل الطبيعي الجسماني . وفي كل مرة وردت في العهد الجديد لم يقصد بها المعنى الحرفي على الاطلاق ولا يمكننا ان نعتبرها كذلك بصورة معقولة في وقتنا الحاضر .

لقد ظن بعض المفكرين من المسيحيين بأنه وان كان الانسان قد خلق على صورة الله وشبهه الا انه خسر كامل تلك الصورة حين ارتكابه المعصية وسقوطه في الخطية . اذن لسنا نستطيع الان ان نجد شيئاً في الطبيعة البشرية مشابهاً لله وعلى صورته . ومن السهل ان ندرك سبب التردد في تأكيد وجود المشابهة بين الانسان الخاطيء وبين الله الكلي الطهارة والقداسة . زد على ذلك ان كل محاولة لدعم فكرة المشابهة بيننا وبين الله ينبغي ان تأخذ بعين الاعتبار الفروق العظيمة القائمة بيننا وبينه بالإضافة الى الخطية التي تلتخ بها الانسان .

فبالنسبة الى قدرته والى علمه نظهر نحن ضعفاء وجهلاء حقاً . ان هذا الفارق العظيم بين البشر وبين الله العلي العظيم مفصل في جميع اجزاء الكتاب المقدس . فنجد الله مكلاماً ايوب بصورة تهكمية بهذا القول :

« أين كنت حين أسست الارض . أخبر ان كان عندك فهم . من وضع قياسها . لأنك تعلم . أو من مدّ عليها مطراً . هل في إياك امرت الصبح . هل عرفت الفجر موضعه ؟ ( اي ٣٨ : ٤ و ٥ و ١٢ ) .

وكذلك نقرأ في اشعياء ( ٥٥ : ٨ و ٩ ) :-

لأن افكاري ليست افكاركم ولا طرقكم طريقي يقول الرب . لأنه

كما علت السموات عن الارض هكذا علت طريقي عن طرقكم وافكاركم  
عن افكاركم .

لقد لعبت هذه القضية دوراً هاماً في تاريخ المسيحية . فطوراً كانت  
تصور الانسان مبتعداً عن صورة الله وشبهه وطوراً تمجده وترفعه حتى  
تضعه في مرتبة الآلهة مستقلاً عن الله في كل شيء حتى في اصل وجوده .  
والكتاب المقدس يشدد على الناحيتين معاً ويقول بعدم وجود الشبه  
الاساسي بين المخلوق البشري وبين الله الخالق وبوجود ذلك الشبه الذي  
منحه ووجده هو نفسه حسناً جداً . انا نجد امثلة كثيرة على وجود  
النظريتين معاً في كثير من فصول الكتاب المقدس فنسمع المرنم يقول :-

اذ أرى سمواتك عمل اصابعك القمر والنجوم التي كونتها . فمن هو  
الانسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده . وتنقصه قليلاً عن الملائكة  
ويعبد وبهاء تكلمه . ( مز ٨ : ٣ - ٥ ) .

حتى ومع سقوط الانسان في الخطية يتحدث عنه الكتاب المقدس  
حاملاً صورة الالهي . فنسمع في قول الله لنوح وابنائيه محرماً القتل  
العبارات التالية : -

سافك دم الانسان بالانسان يسفك دمه . لأن الله على صورته عمل  
الانسان ( تك ٩ : ٦ ) .

وفي العهد الجديد كذلك حينما يعلم الرسول بولس بأن الرجل ينبغي  
ألا يغطي رأسه بالكنيسة يشدد على ان ذلك غير لائق « لكونه صورة  
الله ومجده » ( ١ كو ١١ : ٧ ) .

لقد فسّر هذا الشبه الالهي بطرق مختلفة ولكنه يظهر في الكتاب

المقدس بشكل عام متصلاً بسلطة الانسان على الحيوان وعلى القوى الطبيعية حوله وبمقدرته على الاتصال بالله ( انظر تك ١ : ٢٧ - ٣٠ ) .  
وذلك يعني مقدرته على معرفة نفسه ومعرفة الآخرين - اي مقدرته على ان يفكر ويشتهي ويطلب ويتم مقصداً ، وبدون هذه القوى الشخصية او الروحية لا يقوى الانسان على زيادة تسلطه على العالم حوله ولا ان يطلب الله ويحاول تنفيذ ارادته . ولأن الله ميزنا بخلقه ابانا على صورته ومثاله فنحن نشاطره الى حد ما الحرية لتقرير مصيرنا بأنفسنا والتسلط على الارض حولنا وعلى كل ما اوجده عليها للخير والنفع .

مع هذه المنحة العظيمة التي خصنا بها الخالق فلقد ميزنا ايضاً بوضعه علينا مسؤوليات خطيرة مساوية لها . فقد يهدم الخساف ارضي قرية بكاملها الا ان الصخور المتساقطة والتراب المتهدم لا يمكن ان تكون مسؤولة ادبياً عن ذلك العمل ، لانها ليست حرة لتقرر عملها ولذلك فهي ليست مسؤولة . كما انه لا ينبغي ان نحسب الأسد شريراً لانه يفترس حماراً وحشياً او انساناً طعاماً له لأن طبيعة الاسد ان يحيا بواسطة لمقدرته على الافتراس ولا يملك الحرية التي تمنعه عن القتل او تدفعه الى الاختيار . اما الانسان فيمكنه ان يختار بين الهدم والبناء وبين القتل والبقاء ، وهو مسؤول ومجبر على الاختيار امام الله .

وحينما نحرق الارض او نحفر المعادن او نقطع الأشجار نطبق سلطاننا على مخلوقات الله التي وضعها تحت تصرفنا . وعلينا مسؤولية بأن نستخدم ونحفظ بكل عناية جميع الموارد التي جعلنا وكلاء عليها . فان كنا نحرق الارض دون الاهتمام بحفظ التربة وصيانتها من الانجراف ، وان كنا نستخدم مناجم التعدين جزافاً وبدون هدف معين ، وان كنا نقطع



الاشجار دون مراعاة لنفعها وحرمان الاجيال الطالعة من فوائدها فاننا  
في كل هذه التصرفات نكون مجدين على الله .

قال يسوع : فكل من أعطي كثيراً يطلب منه كثير ومن يودعونه  
كثيراً يطالبونه بأكثر ( لو ١٢ : ٤٨ ) . فالله اعطى الناس كثيراً حتى  
بعض الشبه به مع نصيب وافر من مجده وقوته . عظمة اذن هي  
مسؤوليتنا .

ان صورة الله هذه التي منحنا اياها الخالق تشكل ايضاً قاعدة الاتصال  
به . والناس في جميع الاوقات والاحوال كانوا ولا يزالون باحثين عن  
هذا الاتصال بطرق مختلفة حسب عقلية العصر الذي عاشوا فيه . فحيناً لا  
يجدونه وهم ذريته وصنع يديه يتيهون في التفتيش عنه كأولاد ضالين  
وينسبون الى الابطال ، او الى انصاف الآلهة ، او الى أصنام عمل أيديهم  
القدرة والسلطة التي تليق بذاك الذي خلقهم على صورته .

إننا لا نحيا لذواتنا ولكننا به نحيا وتحرك ونوجد ذاك الذي لا  
يمكننا ان ننساه او نغفل عنه لانه وضع صورته علينا وخلقنا على شبهه .

ان مقدرة الانسان على مشاطرة خالقه المجد والسلطان تقضي عليه بأن  
يعامل كل مخلوق بشري باحترام . ان ذلك الشخص قد يكون غريباً عني  
في الجنس او اللسان او درجة التمدن ، غير ان ذلك كله لا يمنع بان  
يحمل صورة الله الخالق في شخصه . فان كنت اعامله بدون اكتراث او  
كنت اتعمد اساءته ومعاملته بالقسوة اكون مزدرياً بصورة الله بالذات .  
ان الله حبا هذا الانسان شبهه وصورته ومثاله فهل انظر اليه انا باحتقار ؟  
قد يكون ذلك الانسان البائس مجرماً اثماً ، وقد يكون جاهلاً او

دنسا مشبعا بروح العداء ومع ذلك فالله قد خلقه لغاية سامية وهو نفسه  
و كيل على بركات الله . وقد تقول بأنه و كيل غير امين وأنا اوافقك على  
هذا . ولكن يسوع قال : لا تدينوا لكي لا تدانوا ( مت ٧ : ١ ) .  
فبالأحرى عليّ ان اعلم ما أمكنني لكي اطهر وأصقل وأهذب صورة  
الله في هذا القريب المسكين . ولا احد يعلم ما يمكن ان يصير هذا  
الانسان في المستقبل ولكنني استطيع ان اجزم بأن الله قصد ان يكون  
مثله وعلى صورته وشبهه لذلك :

« لتثبت المحبة الاخوية . لا تنسوا اضافة الغرباء لأن بها اضاف الناس  
ملائكة وهم لا يدرون . اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم والمذبلين  
كأنكم انتم ايضا في الجسد » . ( عب ١٣ : ١ - ٣ ) . وكم نكون  
تعساء حينما نعبد الله كأب لنا ثم نلعن اخانا بالقول واللسان . فهو ايضا  
ابن الله . فيعقوب الرسول مشيراً الى اللسان غير المقيد يقول : به نبارك  
الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكوّنوا على شبه الله ( يع ٣ : ٩ ) .  
كذلك سفر التكوين يصف الشبه بالله بعلاقة الأب بالابن . لاحظ  
العدد ١٣ والثالث والخامس من الاصحاح الخامس من التكوين :

« يوم خلق الله الانسان على شبه الله عمله .

وعاش آدم مئة وثلاثين سنة وولد ولدًا على شبهه كصورته ودعا اسمه  
شيثاً » .

وهناك اسباب اخرى تدعو المسيحي ان يكون محباً لقريبه سننظر  
فيها فيما بعد . وعلى كل الاحوال ، واذا لم تكن هنالك اسباب اخرى

يبقى هذا السبب كافياً . الا وهو ان كل انسان يحمل طابعاً هو ختم الله  
الآب ورضاه . ولا فرق كم يكون ذلك الانسان ساقطاً فهو باقى اخانا .  
إن بعض الشبه الالهى ، ما زال موجوداً فيه ويمكن استرداد كامل  
الشبه الالهى في شخص ذلك الانسان . فاذا كان الله معه وله فهل يليق  
بنا ان نكون نحن غير مباينين به او ان نكون مضادين له ؟

✱ ✱ ✱

## الضلالة الكبرى

## ١ - المعضلة البشرية

اذا كان الله خلقنا على صورته لعمل مشيئته واطاعة ارادته والاتصال بالشركة معه فما معنى هذه الظلمة التي تكتنفنا من كل جانب ؟ ولماذا يبقى وجوده ومحبه منجيبين عنا حتى ان الكثيرين من البشر يحيون ويموتون دون الحصول على معرفته ؟ ولماذا نقع نحن في اشراك مريعة من الشكوك البشرية والكراهية بحيث لا نرى بداً من دورات مستمرة من الحروب والمآسي المريرة التي تقربنا اكثر فأكثر من شفير الهلاك ؟ ولماذا هذا القلق الحالك وهذا الخوف المستحوذ على اعماق نفوسنا ؟ ولماذا يسهل علينا الانجراف نحو الشر ويصعب علينا العمل الصالح ؟

في القرن العشرين هذا اكتشف الكثيرون من البشر عمق وفداحة الورطة البشرية التي توصلنا اليها . ولا شك ان كلاً منا يعرف بوجه عام ان مصير كل منا سيفضي اخيراً الى القبر كما هو ظاهر ، وأما ميل الانسان الى الخطية وضيق الطريق المؤدي الى الله فكانت مواضيع كثير من الخطب والمقالات مدى الاجيال .

على ان علومنا الطبيعية وما حققناه في الصناعة التقنية قد ساعد على اخفاء تلك الحقائق عن اعيننا . فالعلوم قد تطورت بسرعة غريبة وحصلنا على نسبة عالية من المعرفة المعقدة التي حولت انتباهنا عن مشاكلنا الرئيسية ولو الى حين . وقد كنا مندهشين بمكاسبنا التقنية فتحولت انظارنا الى تحليل شروحات البيئة التي نعيش فيها فنسينا ان نسأل انفسنا الى اين نحن سائرون ؟

لقد ملأنا اوقاتنا في استنباط الوسائل لتوفير الوقت ولكننا اغفلنا عما ينبغي ان نشغل تلك الاوقات التي توفرت لدينا . لقد وجدنا سبلاً كثيرة لتطويل الحياة بالعقاقير الطبية والجراحية حتى ان بعضنا نسوا بان يتركوا حساباً لخطأ الاطباء والجراحين وانهم مغلوبون على امرهم في نهاية المرحلة منها طالت او ليسألوا : لماذا ينبغي ان نعيش ابدًا؟ وما هي الغاية من وجودنا ؟

على ان بعض التطورات الحديثة قدر لها ان توقظ فينا المسائل الرئيسية المعقدة . عندذاك وفي الوقت الذي ظهر فيه الكتاب المقدس وكأنه مبتذل الى درجة متناهية اصبح الآن حياً وضرورياً مرة اخرى . وفي مراجعتنا لتلك التطورات التي حصلت ومعالجتنا للشكل الذي ألبسوه للمسائل المعقدة سنكون مستعدين اكثر لتفهم الاجوبة التي يقدمها الكتاب المقدس بصورة اوضح .

ان اعظم صدمة واجهها الجنس البشري على توالي العصور ، وفي آلاف السنين ، وكانت خطراً على وجوده على الارض ، جاءت مع القنبلة الذرية والعصر الذري . وانه لمن السخرية حقاً ان يكون اكتشاف



القنبلة الذرية أخصر وأنبغ وأروع عمل جماعي مركز من العلم وانتصاراته على قياس عظيم هو الذي جلب علينا هذا الخطر المميت .

ان المرء لا يستطيع ان يتردد في اعجابه بالجهود العلمية والتقنية التي رافقت اكتشاف العمل الجماعي الذي اشترك فيه مئات الاشخاص حتى توصلوا الى سر تحطيم الذرة ..

ان اجتهاداً مثل هذا في البحث عن الحقيقة وان تكريساً للقوى والامكانيات في عمل مشترك وعدم السماح للفشل ان يستولي عليهم او الاكتفاء بالوصول الى جزء من الحقيقة ، كل ذلك يمثل لنا عدداً من الفضائل الممتدحة في المدنية الغربية . وكان ذلك عمل المختبرات العلمية ، ونتيجة اكتشاف اسرار العلوم التي كنا ننتظر ان تساعدنا على ايجاد الحلول المرضية لمشاكلنا المعقدة . مع ذلك ، فالنجاح الذي احرزته تلك الجهود يهدد الآن المدنية التي انجبته وليس بمستبعد أن يكون سبب نهاية الحياة البشرية على الارض .

من المؤكد ان السيطرة على قوة الذرة تقدر ان تكون فاتحة عصر جديد من التقدم العالمي والتقني في محاربة المرض والفقر ولكن المشكلة هي ان القوة الجديدة الجبارة هي في حوزة العسكريين ولا يسمحون الا بالقليل منها ومن مكاسبها في المشاريع السلمية . ونحن في الغرب لا نجراً على التخفيض من قوتنا الحربية خوفاً من ان نسهل للخطر ذاته يأتينا من جهة الشيوعية في الشرق . فالاتحاد السوفياتي لا يفتأ مفتشاً عن سلاح أشد فتكاً وأكثر هولاً وأوفر تدميراً .

فالعلوم الطبيعية كما يظهر الآن ليست كافية لأن القوة التي يمكن ان تفجرها قد تعمل على افنائنا كما قد تستخدم للزيادة في الرفاهية الاجتماعية.

ان بعض المعاصرين يقولون بأن ما نحتاج اليه الآن انما هو تقدم مماثل في العلوم الاجتماعية . فاذا تقدمت عندنا علوم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والنفس تقدم العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء عند ذاك نعرف كيف ننظم علاقاتنا البشرية فنحصل على الرفاهية والسلام .

ولسوء الطالع نجد ان العلوم الاجتماعية ايضاً يمكن أن تسخر ضد خير البشرية كما نرى أدلة كثيرة على ذلك . فهتلر مثلاً سخر علم الاجتماع لصالحه فشرّب أمة كاملة آراء خاطئة في افضلية العنصرية الدموية وتفوق الشعب الألماني عرقاً على بقية الأجناس البشرية كما لقنهم دروساً في تمجيد الدكتاتورية والموت من اجل الفوهرر . كذلك الشيوعية تستخدم مكاسب مستوحاة من علم النفس لترسيخ عقيدتها في نفوس الملايين واخضاعهم لسلطان الحزب المتسلط واكتساح عقول الافراد بحيث تصبح غير مسؤولة عن تصرفها اذ تخسر قوة الارادة وحرية التفكير والتصرف . وفي الوقت ذاته نجد علماء الاجتماع من الطبقة الممتازة والمدرّبة وزملاءهم من علماء الاقتصاد يضعون المخططات للشعوب بشكل يفقدها حياة الحرية البشرية فيساعدون على انتشار الشيوعية في العالم .

ان العلوم الاجتماعية ، كالعلوم الطبيعية ، تضع قوة هائلة في يد اقلية ضئيلة ، وليس من ضمانة في ان تستخدم تلك القوة فيما يعود لخير البشرية . فالعلوم عبارة عن معرفة ، والمعرفة قوة ، ولكن القوة يمكن ان تستخدم للحرب والطغيان كما يمكن استخدامها للحرية والسلام .

ان الجهل لا يشكل الخطر الرئيسي . ولكن هذا لا يعني ان جهودنا التربوية ينبغي ان تنقص او تتراخى لا بل انه امر إلزامي محتم ان تمشي

التربية الصحيحة مع الاخلاق الصحيحة في المجتمع الواحد . والتعليم الاخلاقي ينبغي ان يكون الزم من مجرد العلوم النظرية والعملية . ولكن كيف يمكننا ان نبدأ بمثل هذا النوع من الثقافة ؟ كيف يمكن لجيل غير متسلح بالاخلاق العالية ان يهذب ويثقف جيلاً آخر يكون مستعداً ومؤهلاً لمقابلة مشاكل عصرنا ؟ اننا قد ضلنا الطريق كما يظهر وكم كنا نتمنى لو استطعنا ان نؤخر التقويم ونعود لنبدأ من جديد قبل بدء تلك الحلقات من الطمع والجشع والخوف والتبذل وتعشق السيادة والسودد ! ولكن كيف بدأت تلك الرذائل الاجتماعية وأين ؟

ان ما نلمح اليه من الورطة التي حلت بنا ونعني به هذا التشويش الذي نتخبط فيه وهذا القلق الذي يتحدى مجتمعا البشري انما هو قديم كقدم البشرية بالذات . فلم يعرف التاريخ المسجل عصراً كان خالياً من هذا الاضطراب العام . حتى في العصور القديمة تحير البشر كيف بدأت تلك الاضطرابات وما قصد بها وما معناها كلها في أساس جوهرها ؟

انها ولا شك جواب لتلك الاسئلة الخطيرة التي نجدها في الاصحاح الثالث من سفر التكوين . ولكن قبلما نتحرى ذلك الجواب القديم علينا ان نتحول من الاخطار التي تهدد كياننا الاجتماعي والدولي الى الاخطار الفردية التي تتناول حياتنا الشخصية . فالراعي « البتناوي » الافريقي لم ينصرف الى تفقد غنمه الا بعد ان استيقظ الضمير الداخلي في اعماقه فحوّل افكاره من العالم الخارجي حوله الى مملكة حياته فتنبه فيه الضمير المؤنب وجرى وراء اغنامه متحيراً ومرتبداً . علينا ان نربح المعركة الداخلية في اعماق نفوسنا اولاً اذ ليس لنا من قاعدة نبدأ منها في تثقيف جيل مؤهل للحياة الا بعد احراز هذا الفوز على النفس اولاً . وقبل ان نرى بوضوح

طبيعة ورطتنا الداخلية في اعماق نفوسنا لا يمكننا ان نرى طبيعة مشاكلنا الاجتماعية على حقيقتها .

وهنا ايضاً يقدم لنا القرن العشرون نوعاً جديداً من الاكتشافات العصرية . ففي مستهل هذا القرن كان الناس منهمكين بمشاكل عملية لاحراز التقدم المادي ومشاكل نظرية تختص بالعالم الذي يحيط بهم . ولكن في التقدم الذي احرزوه في الانتاج المادي والوقوف على المعرفة العلمية للقوة والمادة تحولت افكارهم الى انفسهم وما انطوت عليه حياتهم الداخلية .

وبطريقة ما لم يكتف الناس بوفرة الطعام والزيادة في الرفاهية والراحة وسرعة الانتقال - فكل ذلك لم يشبع سخبهم ولم يروّ عطشهم الى شيء ما زالوا ينشدونه . لذلك تحول قلقهم واضطرابهم بالنسبة الى مختلف المباحج وكثرة اسباب الكيف واللهو والبهاج العصرية التي وفرها لهم المجتمع الى المكاسب التي ربحوها في النواحي الاقتصادية والصحية والضمان التي توصلوا اليها .

وفيما كنت راكباً في سيارة « تاكسي » في أحد شوارع نيويورك المزدحمة التفت إلي السائق وشرع يملئ علي فلسفة خاصة كان قد توصل اليها فحصل علي شيء من القناعة قائلاً :

« أترى تلك السيارة الصفراء ؟ انها من نوع « الكاديلاك » أليس ترغب بان تحصل علي واحدة منها ؟ أتدري ماذا اقصد ؟ انها غالية الثمن .. الثياب الفاخرة .. ومعاطف الفرو للزوجة ، مع منزل برياش وخدم وحشم .. مع دراهم كثيرة للملاهي والحانات .. أتدري ماذا ؟ كنت

سابقاً أحد هؤلاء الناس ، ولكنني عدلت الآن . بل لقد خبرت الشيء الكثير عنهم .. وأكثرهم من زبائني .. وبالأكثر في الليل .. دعني أخبرك شيئاً .. انهم ليسوا سعداء .. فهم يتشاجرون دوماً ويتذمرون ، ويشكون باستمرار . انهم يجدون كل شيء خطراً في نظرهم ، ودوماً تجدهم قلقين لسبب من الاسباب . اني اقول : دعهم يحصلون على سياراتهم «الكاديلاك» فهم لن يجدهوني . انهم ليسوا محظوظين ولا سعداء ولا يستحقون الغبطة .

فقلت في نفسي جواباً على خطبة ذلك السائق « ان هذا حصرم » ، فلربما كان قلقه بهذا المقدار واستيلاء الاضطراب عليه بسبب الحرمان .. ولكن السائق كان صادقاً في قوله عن اولئك الاثرياء سكان مدينة نيويورك الذين هم موضع حسد الملايين من الخلق . وان اكبر برهان على ذلك نجده في سجلات اطباء علم النفس المكتظة وعلى المرضى ان يحجزوا مواعيد معاينتهم شهوراً مسبقة . وليس من الصدفة في شيء ان يكون معظم اعضاء عمد الكنائس الغنية وقادتها في تلك المدينة من علماء النفس ، وان تضمن في كل عظة تسمعها شاهداً او اكثر عن حالة أناس تعساء فقدوا سعادتهم في سعيهم وراء ما ظنوه يضمنها لهم من بهارج الدنيا وعبثاً يحاولون .

غير ان هذا لا ينحصر في سكان المدينة دون سواهم حتى ولا في الاغنياء فقط . فما عليك الا ان تنظر في افضل الكتب رواجاً في الاسواق تجدها من النوع الذي يعد المطالعين بالحصول على السلام العقلي والتحرر من القلق والاضطراب .

ان ألوفاً من البشر يجدون أنفسهم منصرفين الى طلب النجاح والحصول على الضمانة في الحياة . انهم كالأمم في تنافسها على السيادة والتفوق



العسكري . فالأفراد والعيال يجدون انفسهم في سباق لا مفر منه . فهم واقعون تحت طائلة الدين المالي ومنهكون في أعصابهم ومعرضون للخطر في آدابهم ولا يعرفون بأنهم ضلوا السبيل بطريقة ما . ولكنهم لا يعرفون الخطأ وأقل منه انهم لا يدركون الوصول الى الطريق المستقيم ولذلك تراهم ينتقلون من منه اصطناعي الى آخر دون فائدة .

فاذا ما وقفنا نتأمل بأحدهم قد نرى امامنا صورة ذلك الراعي الافريقي المستوحش الذي التفت الى نفسه وتفحصها الى ان قال : نهضت اركض وراء غنمي طالباً الهرب ولكن بخوف ورعدة .. فبدلاً من الغنم يمكنكم ان تضعوا السيارات والحفلات والمآكل والملاهي او يمكنكم ان تضعوا الاشغال العادية أفلستم حاصلين على صورة عصرية مجسدة لذلك الراعي؟ انكم تجدون رجالاً ونساءً متمدينين في مظهرهم الخارجي وناجحين وأما في الداخل ففلسون .

فبدلاً من اللجوء الى الهرب في هذا الوقت دعونا نراجع كتاب سفر الوحي في القديم وماذا يقول بصدد المعضلة البشرية التي وجد الجنس البشري يتخبط فيها في ايامه . فلربما وجدنا في سفر التكوين تشخيصاً للداء الذي لم يزعجه وحده فحسب بل ويزعجنا نحن ايضاً كما يزعج جيراننا وقريننا كذلك .

## ٢ - خطية في البستان

ان بعض مظاهر قصة التكوين معروفة ومألوفة لدى كل من كان مطلعاً على اساطير الاقدمين او كان عالماً بالحكايات الشعبية عند الاقوام المختلفة . فحينما يشاهد بعض القراء مثل هذه المظاهر الساذجة والافكار

البداية تراهم ميالين لان يطرحوها جانباً حاسبينها بقايا من عصور هيجية .  
فماذا يقدر ان يتعلم انسان متمدن من انشاء القرن العشرين من مؤلف  
يكتب عن حية تتكلم وعن امرأة تؤخذ من ضلع الرجل ؟ أنستطيع ان  
نستفيد من كاتب يقول ان جميع الحيات ينبغي ان ترحف على بطنها  
عوضاً عن ان تمشي على ارجل كباقي الحيوانات لان حية في غابر الازمان  
تكلمت مع امرأة وأغوتها وحملتها على الأكل من ثمرة شجرة معينة ؟  
أليست هذه شبيهة بأساطير الأقوام البدائية وحكايات الاولاد التي تخبر  
عن الكيفية التي حصل فيها الفهد الأرقط على لون شعره او كيف حصل  
الارنب على ذنبه القصير ؟ الا ينبغي ان نضع في نفس المستوى القصة التي  
تخبرنا بأن النساء يجب ان يتألن عند الوضع لأن حواء اكلت من الثمرة  
الممنوعة بينما على الرجال ان يكدوا ويتعبوا ويكسبوا قوتهم بعرق جبينهم  
لأن آدم أذعن لتغريز امرأته وأكل من الثمرة ذاتها ؟

وقد نجد بعضهم يدافعون عن هذه التفاصيل من الرواية ويطلبون ان  
يتعلموا منها حرفياً وبما توحيه من تاريخ طبيعي وتاريخ بشري ايضاً .  
ان من يركزون اهتمامهم بهذه الامور ان كان لجهة التأيد او النقص  
لا شك قد اخطأوا وجهة النظر التي ذهب اليها ذلك الكاتب القديم .  
وليس لنا ان نعالج قصة جنة عدن كخرافة ولا كحدث تاريخي بل  
كأسطورة دينية رمزية .

فالاسطورة بهذا المعنى انما هي قصة قديمة شبيهة بالقصص التاريخية  
بشكلها وأما في جوهرها فتفسير رمزي لبعض نواحي الاختبارات  
البشرية . والهدف الرئيسي من مثل هذه الاسطورة ليس ان تروي حديثاً  
تاريخياً ولا ان تعلم شيئاً عن الحيات او عن اي نوع من الحيوانات

الآخري. انها بالآخري جواب على المسائل الجوهرية العميقة لمعنى الوجود  
او لطبيعة معضلتنا الرئيسية كبشر .

وغالباً كما نرى في المثال الذي امامنا من سفر التكوين ما تستخدم  
الاسطورة المادة المألوفة في الحكايات الشعبية غير ان وراء هذه المادة  
رسالة ذات مغزى عظيم . فكما ان الرجل المعاصر يثير الاسئلة الخالدة  
ويحاول الاجابة عليها باصطلاحات فلسفية تتفق مع تقدمه العلمي والتقني  
كذلك الكاتب القديم استنبط اجوبته بصورة تخيلية من اساطير قومه .

ان الاسئلة انما هي فلسفية وأدبية ، أما الأجوبة عليها فينبغي ان تقرأ  
بنظرة تخيلية كتلك التي يحاول الشاعر ان يلبسها قصائده . وأما الحقيقة  
الخالدة ، اذا كانت تحتوي على مثل هذه الحقيقة ، فلا يمكن اعتبارها حدثاً  
تاريخياً مؤكداً كالأحداث التاريخية الأخرى ولكن فيما تقدمه من تعليم  
ودروس بواسطة تلك الحوادث بما يختص بالقيم الأدبية وبمصائرنا البشرية  
الآخيرة .

فقصة جنة عدن تدور حول اسئلة كهذه : ما معنى الحياة والموت ؟  
وما العلاقة بين الخير والشر وبين المعرفة والجهل ؟ ما هي العلاقة بين  
الشعور بالاثم ودرجة البلوغ في القوى الجنسية ؟ ما هي الخطيئة ولماذا  
تتسلط علينا بهذا المقدار حتى يتعذر علينا ان نعيش حياة أدبية خالية من  
من الإثم ؟ وإذا نضع مثل هذه الاسئلة امامنا لتتحول الآن الى القصة  
الواردة في سفر التكوين .

وهاكم القصة مع التعليق على بعض النقاط المهمة ذات المعنى المجازي .  
لقد جبل الله الانسان من التراب ( تك ٢ : ٧ ) لان مادة أجسادنا مركبة

من العناصر التي تحيط بنا . ونحن نعيش على الاشياء التي تثبت من التراب وحيناً نموت تتحول اجسادنا الى التراب الذي منه أخذت . ولكننا لسنا مجرد حفنة من تراب الارض لان « الله نفخ في أنف الانسان نسمة حياة » ( تك ٢ : ٧ ) . فهناك شيء غير ارضي فينا . انه شيء من روح الله يخولنا ان نرتفع فكراً ورجاءً ابعد جداً من العالم المادي حولنا ويحملنا على ان نحتقر العيش كالبهائم ويجعلنا نتشوق بأن نجدد حياتنا بحياة الله بالذات .

ثم وضع الرب الاله الانسان في جنة عدن حيث كانت تثبت كل شجرة شبيهة للنظر وجيدة للأكل ( تك ٢ : ٨ - ١٥ ) ، لان الله احب هذا المخلوق الذي صنعه وقدر له ان يحيا سعيداً هائئاً وحاصلاً على جميع احتياجاته . ولكن بين تلك الاشجار الشبيهة والمفيدة وضع الرب الاله شجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر ( تك ٢ : ٩ ) ، فماذا تعني تانك الشجرتان ؟ لا تعنيان في هذا الموقف اكثر من سرّي الحياة والموت ، المعرفة والجهل ، الخير والشر ، هنا الحجر الاساسي الذي بنى عليه الكاتب وأراد ان يحذر القارئ من الاسماء التي اطلقت على الشجرتين بان هذه الاسطورة ليست مجرد حدث تاريخي ولا هي خرافة . انها تعنى بأعمق اسرار وجودنا .. انها ترمز الى الموت والى الحياة .

وفيما كان الله يقصد الخير للانسان فهو لا يعطيه الحرية الكاملة حتى في جنته الجميلة ، بل يقول لأدم : من جميع اشجار الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . ثم يضيف على هذا القول : لانك يوم تأكل منها موتاً تموت ( تك ٢ : ١٧ ) .

لقد اعتدنا ان نحسب المعرفة - كل انواع المعرفة - شيئاً صالحاً ،  
ومن الصعب قبول الفكرة بأن المعرفة الممثلة بهذه الشجرة شرٌّ يفضي  
الى الموت . فهل هذه المعرفة هي تلك التي تكتسب بالاختبار مثلاً ؟ فاذا  
كان الامر كذلك فعرفة الخير والشر بالمعنى الادبي تستدعي الامر  
معاً . ولكن بعد كل هذا ما هي المعرفة الاخرى من الشر الادبي ؟  
أيمكن ان يحصل عليها الانسان الاول بغير اقترافه شرّاً ادبياً ؟ فلنضع  
هذا الامر نصب عيوننا ونحن نستطرد متابعة القراءة :

ان الله يفكر بالانسان الاول ويرى انه ليس جيداً ان يكون وحده  
فيخلق له الحيوانات والطيور . فجبل الرب الاله من الارض كل حيوانات  
البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها . وكما دعا  
آدم ذات نفس حية فهو اسمها . فدعا آدم باسماء جميع البهائم وطيور  
السماء وجميع حيوانات البرية . وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره ( تك ٢ :  
١٧ - ٢٠ ) . نلاحظ ان هذه الاسطورة تختلف عن قصة الخلق الواردة في  
الاصحاح الاول من سفر التكوين . ليس فقط في نصوصها وأهدافها  
ولكنها كتبت قبل الاصحاح الاول بأجيال . لذلك ليس من الضروري  
ان نبحث بالنظام الذي خلقت بموجبه تلك المخلوقات ، ولكن هذه المخلوقات  
لم تكن كافية لذلك صنع الرب الاله لآدم معيناً نظيره بأن ألقى عليه  
سباتاً فنام ، فأخذ واحدة من اضلاعه وملاً مكانها لحماً وبني الرب الاله  
الضلع التي اخذها من آدم امرأة وأحضرها الى آدم . فقال آدم هذه الآن  
عظمٌ من عظامي ولحمٌ من لحمي . هذه تدعى امرأة لانها من امرئٍ  
أُخذت . . بهذه الطريقة يظهر كاتب الوحي عدم اكتمال الحياة لكل من  
الرجل والمرأة ولذلك يزيد القول : لذلك يترك الرجل اباه وأمه ويلتصق



بامراته ويكونان جسداً واحداً ( تك ٢ : ٢٤ ) واذ لم يكونا عارفين  
بالخير والشر بل كانا عائشين بطهارة الطفولة ، كانا كلاهما عريانين آدم  
وامراته وهما لا يخجلان ( تك ٢ : ٢٥ ) .

وهنا يدخل عنصرٌ جديد في الرواية . فالحية المتكلمة عني بها ابليس فيما  
بعد بدون سبب يحمل على ذلك . والحية تظهر كأنها المخادعة والمجربة  
لمجرد كونها أحيلاً جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الاله (تك ١ : ٣)  
ولوجود عداوة شديدة بين البشر والحيات في جميع البلدان الشرقية وفي  
كثير من بلدان العالم ايضاً .

وفي الحوار الذي دار بين الحية والمرأة اعتراف صريح بأن الله حرّم  
الاكل من شجرة معينة كانت في وسط الجنة كما حذر من مس ثمرها :  
فقالت المرأة للحية من ثمر شجرة الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط  
الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا ( تك ٣ : ٢ و ٣ ) .  
ولكن الحية تتحدى قول الله فوراً بقولها : لن تموتا .. بل الله عالم انه  
يوم تأكلان منه تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ( تك  
٣ : ٤ و ٥ ) .

فوضعت حواء في فكرها عصيان وصية الله اذ رأت ان الشجرة جيدة  
للأكل وأنها بهجة للعيون وأنها شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت  
وأعطت رجلها ايضاً معها فأكل ( تك ٣ : ٦ ) .

ليس بين مداعبة التجربة والسقوط فيها سوى خطوة واحدة فتزل  
قدما الانسان ويهبط الى الخضيض . لذلك وبعبارة واحدة مرفقة بتلك  
المغريات التي حملت المرأة على المعصية يخبرنا كاتب الوحي ان حواء اخذت

من ثمر الشجرة وأكلت وأعطت رجلها ايضاً معها فأكل . فالخطيئة  
اجتماعية في طبيعتها حتى حينما نظن بأننا منفردون وحدنا . فهي تؤثر في  
اتجاهاتنا وقوانا حتى انها تسمم علاقاتنا مع الغير كما تؤثر في اعماق  
قلوبنا فتجعل القداسة اكثر بعداً وأعسر منالاً .

وبسرعة فائقة تبعد الخطيئة آدم وحواء عن بعضها البعض وعن الله  
كذلك . فلقد شعرا بالحجل والحياء في عريهما وحاولا الاختفاء من وجه  
الرب . غير ان اختفاءهما لم يكن موفقاً فلم يلبثا حتى بدأ كل منهما يعترف  
بخطيته امام الله فحاول آدم ان يضع اللوم كله على المرأة كما حاولت  
هي بدورها ان تحصر السبب بالحية . وكانت النتيجة ان الذنب الاجتماعي  
الذي حاولوا التملص منه شمل الثلاثة معاً وسبب لهم دينونة الله .

فآدم وحواء يطردان من جنة عدن لمنعها من تناول ثمرة شجرة الحياة  
فيعيشان الى الابد ( تك ٣ : ٢٢ ) .

ان هذه القصة القديمة تفصح عن اشياء كثيرة كما تعكس لنا كثيراً  
من عادات الشعوب التي نشأت بينها . فدينونة جميع الحيات ، وفكرة  
ضعف المرأة بالنسبة للرجل وكونها ثانية له ، وفكرة قيام الرجل بالأعمال  
والمرأة بالولادة لمجرد القصص ، هذه التعاليم لا تفيدنا كثيراً . فلما نظر  
الى هذه القصص في القرون التابعة بعض الرجال والنساء وحسبوها حقائق  
معلنة من الله ، كثيراً ما كانوا يتغاضون عن التقدم الذي احرزه البشر  
ادبياً وروحياً . وقد حدث هذا مثلاً حينما قام بعضهم ليعتبر تقصير ساعات  
العمل تقدماً في الحياة لان العمل معتبر شراً . كذلك بمنطق معوج قاوم  
كثيرون من الوعاظ الجهود الطبية لتخفيف آلام الحمل والولادة لان ذلك

على زعمهم ، مناقض لارادة الله بأن على المرأة ان تتحمل الألم من اجل خطية حواء . ان آراء مغلوطة كهذه ليست فقط مدونة في الكتاب المقدس بالذات ولكنها منقوضة في اماكن عديدة منها فرح المرأة الشديد لدى ولادتها ولداً . فيسوع صرح في ( يو ٥ : ١٧ ) ابي يعمل حتى الآن وأنا اعمل .. وفي الحقيقة المسيحية التي يعلنها بولس الرسول : ليس ذكر ولا انثى لانكم جميعكم واحد في المسيح ( غل ٣ : ٢٨ ) .

والفكرة البشرية المركزة التي فيها يعلن الله الحقائق الجديدة سنشاهدها في تفاصيل هذه الاسطورة الرئيسية كما سنرى .

ان الحياة البشرية بدأت بالبرارة والطهارة . وكسائر النباتات والحيوانات التي خلقها الله قام البشر بما تفرضه عليهم طبيعتهم التي هي من عطايا الله وجزء متمم للقصد الالهي العظيم والشامل . وككل الاشجار والطيور والحيوانات الاخرى لم يخطر ببالهم ان يسألوا ماذا ينبغي ان يفعلوا - او هل يفعلون هذا الامر ام ذاك ؟ ولم يكونوا عالمين بالقلق والاضطراب حتى ولم يكن عندهم فكر انتصارات الحيار الاديبي بين الخير والشر . وان اكثر مخاوف الحياة وهمومها وأحزانها وألغازها واضطراباتنا التي تقلق راحة البشر اليوم جاءت من اختباراتهم بالذات التي تجهلها ازاهير الحقل وطيور السماء .

عند ذاك حدث اكتشاف غريب حينما عرفوا بأنهم يملكون المقدرة على الاختيار بين الخير والشر . وهذا الامر انما هو معرفة كتلك التي هي من خصائص الاله . ويرى الكاتب القديم شيئاً مبهماً بالنسبة لتلك المعرفة فهي في نظره محظورة على الجنس البشري . ومع ذلك فبالحصول عليها

يصبح الانسان مشاركاً لله في التمييز بين الخير والشر وعليه تكون هذه المعرفة على الأرجح صالحة لاننا نقرأ في نهاية القصة ما يلي : حينئذ قال الرب الاله هوذا الانسان صار كواحد منا عارفاً للخير والشر ( تك ٣ : ٢٢ ) . واخيراً هذه الخاصة من الشركة في امتيازات الاله ومسؤولياته ينظر اليها نظرة قائمة على الحسد لان الكاتب يصف الرب قائلاً : والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ايضاً ويأكل ويحيا الى الابد . فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الارض التي اخذ منها ( تك ٣ : ٢٣ ) .

اما المأساة فقائمة في اكتشاف الانسان حريته الادبية ومسؤولياته المتأنية عن فعل المعصية . فلقد تعلم قوله لله « نعماً » بقوله « كلا » . والله بحكمته التي لا حد لها عنده معرفة الخير والشر بدون ان يعمل الشر . اما الانسان فتعلم معرفة هذا الفرق العظيم بواسطة اختباره المير .

الا ينبغي ان نكون مغتربين بان تلك الخطوة قد اتخذت ؟ أليس من الافضل لنا بان نكون اشخاصاً مسؤولين ادبياً مميزين الخير من الشر بدلاً من ان نكون مجرد اشياء عرضة لان يتحكم بنا الآخرون بقطع النظر عن ارادتنا واختيارنا ؟ وهل قصة جنة عدن طريقة جاحدة لتفسير طور البلوغ في الرجل واعتبارها خطية بالفعل ؟

هنالك دلائل تشير الى اعتبار الكاتب القديم اسطوره هذه شاهداً لتمثيل سن البلوغ في الحياة البشرية . فآدم وحواء لم يحسا بالشعور الجنسي الا بعد عصيانها وطردهما من جنة البراة والطهارة . في ذلك الحين فقط ارتبطا معاً كرجل وامرأة وبدأا ينجبان الاولاد ( تك ٣ : ٧ و ٤ : ١ ) . ولكن هل هذا البلوغ شيء صالح يا ترى ؟ وهل من الخير ان نعرف

انفسنا كأشخاص مسؤولين فنعيش عيشة متقلقلة في المستقبل ؟ هل من الافضل ان نحيا ونموت كباقي الحيوانات ام نعرف ونحن احياء بأننا سنموت يوماً ؟ وهل من الخير ان نعرف انفسنا حتى في غمرة نجاحنا ووفرة آمالنا وان نسمع الهاتف يقول لنا مذكراً : لأنك تراب والى تراب تعود ( تك ٣ : ١٩ ) ؟ هل من الخير ان ننخرط في هذه الدورات من الخطية التي فيها ينقل الآباء الى ابنائهم فشلهم وعاداتهم المعيقة ومؤسستهم القائمة على الشراهة والحروب والخاوف وعدم الامانة ؟

اننا نرى انفسنا مسوقين لأن نجيب بان الحياة صالحة اذا كنا متأكدين باننا نترفع عن هذه الارض الرخوة وننشد مصيراً اسماً . ولكن اين نجد هذا التأكيد ؟ قد نشير الى المسيح ولكن سفر التكوين لا يعرف شيئاً عن المسيح . وفوق ذلك سوف لا ندرك ما المعنى الذي نجده في المسيح ما لم نر عمق الظلمة التي يتخبط فيها الانسان بدونه .

فاذا ما ركزنا جل اهتمامنا في الخطية والآلام التي يتعرض لها الانسان في الحياة وفي حقيقة وجود الموت كنهاية لكل ذي نسمة حية ، وهو ما يشدد عليه الاصحاحان الثاني والثالث من سفر التكوين ، عند ذاك قد لا نكون متأكدين بان ذلك كله كان للخير . فمن المؤكد ان لا حيوان قد يفوق الانسان ضراوة وشرأ وان لا يتحمل العذاب الجسماني الحاضر فحسب ولكنه يحمل على عاتقه ذكرى الآلام الماضية والعقيدة فوق ما يقاسيه من عذاب الروح .

ان معنى البلوغ في طبيعة الانسان البشرية صيرورته وارثاً لمآسي الخطية وآلامها . ولتذكر ان سفر التكوين لا يصرح بأن ذرية آدم



سُتَرِثَ الاثم الذي اقترفه وستكون مسؤولة ادبياً عن خطيته وتتحمل القصص من اجلها. وهي عقيدة قال بها كثيرون من المسيحيين ولكن لم يذكرها احد من كتبة اسفار الوحي . ان بولس الرسول يقول : كأنما بانسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم ( روم ٥ : ١٢ ) . اليس ذلك صحيحاً ؟ وهل يمكن ان يكون اكثر من واحد سبباً لبدء مجرى الخطيئة ؟ ولكن بولس يستطرد الى القول : وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ اخطأ الجميع ( روم ٥ : ١٢ ) . فليس ان واحداً اخطأ ولكن الجميع حذوا حذوه وأخطأوا فاجتاز الموت الى جميع البشر لا لأن واحداً اخطأ بل الجميع قلدوه فسقطوا جميعهم في المعصية وتمرغوا في احوال الخطيئة .

ينبغي ان نبادر هنا الى السؤال عما اذا كانت جميع الآلام تعتبر قصاصاً للخطيئة - وهو سؤال يجيب عنه سفر التكوين بصورة جازمة . ولكن يجدر بنا اولاً ان نعلم الى تقرير بعض الحقائق التي تعكسها لنا قصة جنة عدن .

لربما كان كاتب سفر الوحي مفكراً بأقدم مظاهر الخطيئة والآلام البشرية . ولا بد له في كل الأحوال من التأمل الموجه بالالهام وما اختبره حاصلاً في حياة الأولاد من عوامل التبدل والتغير وما يتبع ذلك في سن الحداثة فالمرحلة وقد يكون ذلك في بيته الخاص او لدى الجيران . وهي الملاحظات التي يمكن حصولها في كل آن .

فالوالد الذي كان كل امه معلقاً بكبار اولاده فيفشل وينخذل بسبب جهالتهم المطبقة تراه ينظر في محيا طفله الصغير فيرى البراءة والجمال مجسمين في ذلك المحيا الصغير وفي تينك العينين المشعيتين وفي تلك الابتسامة العذبة

وجميعها تكون جواباً للمحبة الوالدية التي يغدقها الاب على ابنه . ولكن  
آه لو يستطيع ذلك الولد ان يحتفظ بهذا التجاوب كلما تقدم في العمر  
والحكمة والقوة .

فحينما يبدأ الطفل الكلام قد تبدر منه دلائل تشير الى ما سيصير اليه  
في المستقبل لانه لا يتجاوب دوماً مع الارشادات التي توجه اليه بالشوق  
والرغبة والرضى . فهو قد يتمرد ويصرخ بحماسة « كلا » وقد يرفض تهيج  
برفس قدميه وبالاحتجاج الشديد . ولكنه ما زال صغيراً وما زال  
الوالدون يعتبرون ذلك التمرد نوعاً من الدلال والغنج ولا يجدون فيه  
سوى المرح ولا يحملونه على حمل الجد ولا يلبث ان يغلب على امره او  
فيخلد الى السكينة .

ويستمر الولد في مرحلة اكتشاف شخصيته . فتراه من حين الى آخر  
وهو ينمو في اتساع افق تفكيره واختباره يحاول ان يختبر مدى حريته  
بتمرد جديد ضد كل سلطة . ومع ذلك فقد يسير في حياته سيراً طبيعياً  
هادئاً ملؤه الغبطة والشوق الى النمو ، فيذهب الى المدرسة بحماس لا حد  
له كما ينتقل من درس الى آخر متشوقاً لاستيعاب ما يلقيه اياه اساتذته  
فتزداد مداركه وتتسع اختباره وتتوافر معلوماته . وفي الاخلاق ايضاً  
يرغب الولد بأن يعرف الحق ويعمل بوجوه وهدية وارشاده ، وقد يكون  
مساعداً في المنزل مغتبطاً بتقديم الخدمات لوالديه والحصول على رضاها  
لكي يكسب ثناءهما كولد بار .

ثم يحصل شيء جديد . فقد يقتبس لغة الاولاد الأردباء فيشوش  
اللغة النظيفة التي كان قد تلقنها في البيت ويفسد مجموعة المفردات التي

عرفها قبلاً . والآن يبدأ باظهار الكره للمدرسة وبذم الرؤساء والمعلمين ومن كان لهم سلطان عليه . وقد يفعل كل ذلك بطريق المزاح وعلى سبيل التجربة ليرى كم بإمكانه ان يتحدى في هذا المنهج . وقد تكون بعض تلك المحاولات ذات اثر سيء ولكنها في الوقت ذاته تكون سبباً في تحويل انتباهه وتقليل فاعلية الدروس التي يتعلمها وتقوده الى ممارسة امور يندم على فعلها في المستقبل .

ففي قيادة الوالدين والمربين الحكيمة الذين يعرفون متى يكونون صارمين ومتى يتركون له العنان ، ربما استطاع الولد التغلب على مثل ذلك العصيان في اشكاله المتنوعة وعلى مختلف درجاته . ولكنه يخسر تلك الحماية التي كانت توجهه سابقاً وتدفعه الى متابعة نشاطه المدرسي . ومن جهة اخرى نراه وقد عاد الى مواصلة اجتهاده السابق والمثابرة على العمل الصالح سيكون في وضع يمكنه من الاختيار لا ليرضي المسؤولين عنه ويكسب ثنائهم فحسب بل ليقوم بالواجب المقدس كما ينبغي . فهو قد يخسر كثيراً ولكنه يربح نفسه كشاب حرّ ومسؤول .

غير ان هنالك عدداً من العوامل التي تدخل في هذه التصرفات من التمرد والعصيان في سني الحداثة والمراهقة . ان تلك التغيرات الجسدية والعاطفية التي تطرأ على الفتى قد تصيره غريباً في نظر نفسه ولا يستطيع تفسيرها والوقوف على اسرارها فينتهي به المصير الى الانعزال والانكماش والشروء عن المجتمع وقد تصبح تلك العوامل حادة بتغير البيئة الاجتماعية التي يجد نفسه منغمساً فيها ولم يكن على علم بها من قبل .

وهناك ناحية اخرى تظهر كأنها حاضرة دوماً تصورها لنا قصة جنة

عدن افضل تصوير . فحينما يكتشف هذا المخلوق المحدود بأنه يملك امكانية التمييز بين الخير والشر يصبح ذلك الاكتشاف تجربة قوية امامه . وهذا الاكتشاف ينبغي ان يتم اذا كان هذا المخلوق شخصاً مسؤولاً . ولكنه وهو يتعلم بان له حرية الاختيار ضمن طاقته يصبح معرضاً لتجربة تفسيرها والقبض عليها لا كحرية مسؤولية محددة بشرائع الله ولكن كإباحية زائدة ليفعل ما يريد .

وقد نجد في قصة جنة عدن شيئاً من الحنين الذي يلجأ اليه الشيوخ متحسرين على ايام الطفولة البريئة حين لم يرفضوا سلطة الوالدين والمربين بل تمسكوا معها ليتأكدوا من اكتشاف حقيقة أمرهم والوقوف على معرفة نفوسهم . وبأسف يصرحون بأن الانسانية لم تستمر في طهارة الطفولة الدائمة بعيدة عن الهم والغم كما هي الحال مع طيور السماء .

على ان اهم ما نلاحظه هو الاعتراف الموجب للأسف ان البشر في وصولهم الى سن البلوغ يقعون فعلاً في الخطية . على انه ليس ثمة من عقيدة تجعل الخطية أمراً محتماً كما انه ليس من مهرب من تحمل مسؤوليتها وتبقى الحقيقة الموجهة وهي ان الخطية حاصلة مهما حاول الانسان تجنبها . وفي اكتشافنا انه بإمكاننا معرفة الخير من الشر نسعى وراء هذه المعرفة بدافع لا يرد . وكل جيل من الاجيال الصاعدة يعيد الكرة ويرتكب نفس المعصية التي ارتكبها ابوانا الأولان لأنهم يريدون ان يجتنبوا بأنفسهم هذه الخطية المحظورة ويذوقوا حلاوتها . كما يرغبون بان يمثلوا دورهم لا كوكلاء امناء على المجتمع الانساني الذي يوجدون فيه ولا كأولاد مطيعين لله ولكن كأشخاص احرار يفعلون ما يريدونه بدون رادع ولا وازع زاعمين ان حياتهم ملك لهم . أليس كذلك ؟ اذن لماذا يحاول

والالدون ورجال الكنيسة ان يعطوا مرحهم بحفظهم اياهم في إطار نطاق  
قديم من الحصر والتضييق . انهم يسمعون صوت المضلل يقول لهم : لن  
تموتوا لأن الله عالم انه يوم تأكلون منه تنفتح اعينكم وتكونون كالله  
عارفين الخير والشر ( تك ٣ : ٥ ) . ومن المؤسف حقاً انه بينما البعض  
يذوقون الخطية والبعض الآخر ينغمسون في حمايتها نراهم جميعاً يحاولون  
تجربة نوع منها . وهكذا يمتسي الجميع في مرحلة بلوغهم حياة الحرية  
والاختيار تحت سيطرة الخطية بشكل من اشكالها .

وليس الامر محصوراً في العمل الفردي لاننا مخلوقات اجتماعية وليس  
شيء في حياتنا الشخصية منعزلاً كل الانعزال عن المجتمع الذي نعيش فيه .  
ففي محاولتنا تحري اسباب الاخطاء التي يرتكبها اولادنا لا يصعب علينا  
اذا كنا صادقين حقاً ان نجد بأن اكثر اللوم يقع علينا نحن ومع ذلك  
فأخطاؤنا انما هي جواب على تصرف والدينا . وهكذا يمكننا ملاحظة  
التبعات حتى نصل الى الخطية الاولى التي اقترفها ابوانا الاولان في البستان  
وهذا لا يجعلنا والاجيال الآتية مبررين او معصومين عن الخطية ، انما يعني  
بأننا جميعاً شركاء بها . فالخطية وجميع نتائجها الوخيمة التي ترتبت  
عليها دخلت الى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع  
الناس اذ اخطأ الجميع ( رو ٥ : ١٢ ) .

### ٣ - الخطية والآل في العهد القديم

لو اقتصر حكمنا على قصة جنة عدن فقط لافترضنا بأن جميع آلام  
البشر والحزن والموت وجميع المآسي ليست سوى قصاص من الله بسبب  
الخطية . وهذه العقيدة نفسها تظهر واضحة في كتابات عديدة من اسفار  
العهد القديم .



ان القول بأن الالم والانزعاج هما ثمرة الخطية وان النجاح والسعادة من ثمار البر موضح بأجلى بيان في الاصحاح الثلاثين من سفر التثنية حيث يصور موسى مودعاً قومه على ضفة الاردن قائلاً :

انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر . بما اني اوصيتك اليوم ان تحب الرب الهك وتسلك في طريقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وباركك الرب إلهك في الارض التي انت داخل اليها لكي تمتلكها . فان انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة اخرى وعبدتها فاني انبئكم اليوم لا محالة تهلكون . . قد جعلت قدامك الحياة والموت البركة واللعنة ( تث ٣٠ : ١٥ - ١٩ ) .

ففي سفر التثنية كما في الاسفار الاخرى، وبالاخص اسفار الاخبار، تمثل المكافأة والقصاص بعبارات مادية . فالبر يكافأ بطول الحياة ووفرة البنين وكثرة الغنى والانتصار على الاعداء بينما تنال الخطية جزاءها بالمرض والفقر والمشاكل العائلية وتسلط الاعداء وأخيراً بالموت الاكيد وكانت هذه التعاليم شائعة في زمن المسيح حتى ان اليهود كانوا يجزمون بأن العمى انما هو قصاص بسبب الخطية - إما بسبب خطية ارتكبها الاعمى نفسه او بسبب خطية اقترفها والده ( انظر يوحنا ٩ : ٢ و ٣٢ - ٣٤ ) .

وكثيراً ما كان ينظر الى القصاص كغضب الله على الذين ينصرفون الى عبادة الاصنام وارتكاب الموبقات والمعاصي . فالنبي عاموس يندد بقساوة الناس على الفقراء بينهم ويقول بأن الرب قد اقسم بأنه لن ينسى الى الأبد جميع اعمالهم ( عا ٨ : ٧ ) . وبسبب طمعهم وظلمهم وشهوانيتهم سيصادفون يوماً عصياً بمجواته .

« ويكون في ذلك اليوم يقول السيد الرب اني اغيب الشمس في  
الظهر وأقتم الارض في يوم نور . وأحول أعيادكم نوحاً وجميع اغانيكم  
مراثي وأصعد على كل الأحقاع مسحاً وعلى كل رأس قرعة واجعلها  
كمناحة الوحيد وآخرها يوماً مرأً ( عا ٨ : ٩ - ١٠ ) .

ولا ينفع فاعلي الشر بأن يفكروا انه بمقدورهم ترضية الله واحمد  
غضبه بالأعياد الدينية والذبايح الحيوانية والموسيقى العذبة والأنغام  
الشجية . فهو يتطلب حياة برّ وصلاح واجراء الحق والعدالة للجميع ولا  
يرضى عن ذلك بديلاً . ولأنهم يتجاهلون انذاراته وقصاصاته ستزداد  
الإحزن حتى تصل الأمة بأكملها الى الهلاك المريع .

وهذا المعتقد بأن الخطية مجلبة للقصاص يستمر في كامل التقاليد  
الكتابية . والفكرة التي يتمسك بها بعضهم بأن الله وفقاً لطبيعته الصالحة  
سيتجاوز عن سيئاتهم ويتغاضى عن ميولهم البشرية نحو الشر تجد ما ينقضاها  
في جميع اقسام العهد القديم . كذلك العهد الجديد يؤيد هذه العقيدة  
القديمة ويعلم بأن « اجرة الخطية هي موت » ( روم ٦ : ٢٣ ) . وكثير من  
اختباراتنا الشخصية تظهر هذه الحقيقة . . اليس كذلك ؟ ان الدمار الذي  
تسببه الحروب والخواف الناجمة عنها والنزاع العقلي والاجتماعي الحاصل  
من الانغماس في الشر والانحطاط بفعل المشروبات الروحية والثورات  
التي تحصل بسبب ظلم الانسان لأخيه الانسان كلها امثلة شاهدة بصحة  
العقيدة .

غير ان فروقاً عظيمة تظهر في التوراة خاصة بكثير من المسائل  
الشبيهة بهذا السؤال : لأي سبب يقاصص الله امة خاطئة ؟ هل يريد ان  
ان يهلكها بشدة غضبه ؟ وهل كل الآلام والافواج تأتي قصاصاً للخطية ؟

ان نبياً معاصراً لعاموس كان يدعى هوشع علم بأن قساوة الله انما هي لاطهار فرط محبته . وقد بنى على اختبارات المريعة المريعة الخاصة بامرأته المنحرفة عن الامانة الزوجية فقدّم هوشع تفسيراً جديداً وجريئاً لعلاقة الله بشعبه كامرأة زانية مستهترة بامانتها لبعثها ومحبته له تذهب مع الغرباء هكذا الأمة العبرانية قد تركت الله الذي اخرجهم من ارض مصر وجعلهم أمة فذهبوا وراء آلهة مصطنعة . والله كالرجل الذي يتألم طويلاً بسبب سلوك شعبه يطلبهم ثانية ويؤدبهم لأجل عدم وفائهم ويعيدهم الى محبته وعنايته ، ان تلك الآلام التي ينبغي ان تجتازها الامة هي افصح عن محبة الله التي لا تنسى شعبه ولكنه يطلبهم ليوقظهم ويعيدهم الى ولائهم السابق .

ثم يغير النبي هوشع الصورة المجازية فيقول ان سخط الرب على شعبه اشبه بتأديب الوالد لولده الزائع عن الطريق المستقيم ليعيده الى الحياة الصالحة . ان الله لا يكره شعبه ولا يرفضهم . انه غاضب لأجل معاصيهم ولكن غضبه ليس سوى مظهر لمحبته .

ان هذا التعليم الذي جاء به هوشع لم يذهب من البال ، ليس في الاسفار القديمة فحسب بل وفي كتابات آباء الكنيسة كانت مثل هذه الاصطلاحات « غضب الله » « سخط الله » ترد كثيراً وكانوا يعنون بها التأديب الذي تفرضه علينا محبة الله في الحياة .

ان المعضلة الكبرى التي توافق هذا التفسير لمشكلة الألم هي ان هذا الاخير لا يأتي بالنسبة لعمل الشر . فكثيراً ما نرى كوارث جسيمة تنزل بالاشرار نتيجة لشرورهم . ولكنها ليست قاعدة مطردة وليست تحدث دوماً .

ان مزامير عديدة تعالج هذه المعضلة وكثيراً ما يتضرع المرغم من اجل  
النجاة من غضب الناس الاشرار كما يتذمر من تنعم الاشرار بشروورهم .  
بينما الابرء يتألمون . الى هذا يشير صاحب المزمور ( ٣٧ ) بقوله :

قد رأيت الشرير عاتياً وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة (مز ٣٧ : ٣٥)  
ولكننا لا نحيا طويلاً لنرى نهاية الشرير كما يعبر عنه العدد الذي

يلي :

عبر فاذا هو ليس بموجود والتمسته فلم يوجد ( مز ٣٧ : ٣٦ ) .

وفي المزمور ( ٧٣ ) محاولة جدية لسبر غور هذه المعضلة حيث يخبرنا  
المرغم انه غار من المتكبر ورأى سلامة الاشرار . ثم يستطرد الى القول :

لأنه ليست في موتهم شدائد وجسمهم سمين .

ليسوا في تعب الناس ومع البشر لا يصابون ..

وقالوا كيف يعلم الله وهل عند العلي معرفة ؟

هو ذا هؤلاء هم الاشرار ومستريحين الى الدهر يكثر ثروة .

حقاً قد زكيت قلبي باطلاً وغسلت بالنقاوة يدي .

و كنت مصاباً اليوم كله وتأدبت كل صباح .

وحينما حاول المرغم ان يفهم هذا قال :

فلما قصدت معرفة هذا اذا هو تعب في عيني

حتى دخلت مقداس الله وانتبهت الى آخرتهم .

لم تكن المشاهدات العادية كافية لحل هذه المعضلة حتى تقوى ايمانه بدخوله مقدس الله ووقوفه بحضرته . عند ذاك استطاع ان يدرك جيداً وعرف بأن النهاية لم تظهر بعد ، وان الابرار يؤخذون الى مجد وان الاقتراب الى الله حسن له . جعلت بالسيد الرب ملجأ لي لأخبر بكل صنائعك .

وثمة شخص آخر عالج هذه المعضلة هو النبي اشعيا . فهو يرى بأن يهوذا استحققت قصاصاً شديداً بسبب انغماسها بالمذات وممارستها الظلم وعبادة الاصنام لذلك حركت غضب الله ونقمته . ففي ايام اشعيا تحالفت يهوذا مع مصر برغم تحذيرات النبي الكثيرة وثارت على اسيادها الاشوريين فانهمزمت انهماماً شنيعاً .

وان كانت يهوذا شريرة وآثمة ألم يكن اعداؤها اكثر شراً منها ؟ فاشور تلك الأمة الوثنية لم يكن لها حب لله الواحد الاحد والحي القيوم الى الابد . وكان الاشوريون طغاة مستبدين وقساة ظالمين . فلماذا يحصلون على نعمة في عيني الله افضل من يهوذا ؟

بالرغم من اثاره مثل هذه الاسئلة يتحدث النبي اشعيا بوضوح فيقول بأن اشور كانت سيف النعمة بيد الله فيكتب بلسان العلي قائلاً :

ويل لأشور قضيب غضبي . والعصا في يدهم هي سخطي على أمة منافقة ارسله وعلى شعب سخطي اوصيه ليغتم غنيمة وينهب نهباً ويجعلهم مدوسين كطين الازقة ( اش ١٠ : ٥ - ٦ ) .

افكان اشعيا ياترى واهماً حتى يفكر بأن اشور القاسية تصب



نقمتها كلها بذلك المقدار لتحقيق هدف إله يهوذا ؟ كلا .. ان اشور تخدم مقاصد الله نحو يهوذا :

اما هو فلا يفكر هكذا ولا يحسب قلبه هكذا بل في قلبه ان يبيد ويقرض ابماً ليست بقليلة ( اش ١٠ : ٧ ) .  
ان ملك اشور لم يكن يفكر بمقاصد الله ، بل على العكس يقول :  
بقدره يدي صنعت ، وبحكمتي لاني فهم ( اش ١٠ : ١٣ ) .  
ولكن الله كان له مقصد بعيد بخصوص تلك الامة المتعجرفة والشديدة الضراوة :

هل تفتخر الفأس على القاطع بها او يتكبر المنشار على مردده ؟ لذلك يرسل السيد سيد الجنود على سمانه هزلاً ويوقد تحت مجده وقيداً كوقيد النار ( اش ١٠ : ١٥ - ١٦ ) .

والنبي ارميا كذلك نوح على آلام شعبه ولكنه اعتبرها قصاصاً عادلاً بسبب كثرة خطاياهم ، وكان واثقاً بأن يوماً من الأيام سترجع البقية الباقية الى الله بالتوبة وتجديد الحياة . وعلى تلك البقية تشاد امة عظيمة . وأرميا نفسه قاسى الأمرين في محنة أمته ولكن افكاره كانت مركزة حول الأمة بكاملها ، ففي مشاركته آلام شعبه وتعاستهم كما فكر بنفسه وبالصلاة والايان لاكتشاف مقاصد الله في تلك الضيقة اعطى لغيره رؤيا جديدة عن رجل يتحمل الآلام كفارة عن الآخرين .

وهذه الفكرة بالذات تحولت الى موضوع رئيسي في كتابة سفر اشعيا الثاني ، ذلك النبي العظيم الذي نجعل اسمه وقد كتب بعد اشعيا نفسه بمدة قرنين بعد ان كان اليهود قد تحملوا كثيراً من الذل والحزن

في الاسر . وتظهر كتاباته في الفصول ( ٤٠ - ٥٥ ) من السفر المنسوب الى اشعيا .

فأشعيا الثاني يرى بأن شعب الله المختار كان مدعواً ليتألم بدلاً من كامل الأمة . صحيح ان يهوذا اخطأ ونال جزاء خطيته ولكنه تألم اكثر من الغير ، وهذه الأمة بسبب دعوة الله اياها ، عليها مسؤولية خاصة وحمل ثقيل لكي تحمله . . عليها ان تتألم لكي يشفى غيرها .

ويصل النبي الى القمة في موضوع الألم الكفاري في رؤياه النبوية عن عبد الرب الذي سيتألم في الاصحاح ( ٥٣ ) من سفر اشعيا . ان علماء اليهود يرون هنا اشارة الى تجارب الأمة فقط . على اننا لسنا نستطيع الجزم فيما كان يدور في خلد الكاتب حينما كتب تلك الفصول . ولكن العبارات واضحة في دلالتها على رجل « محتقر ومخذول من الناس » ، ( اش ٥٣ : ٥ ) . « مجروح لاجل معاصينا » ، ( اش ٥٣ : ٥ ) . فالمسيحيون لم يترددوا في اعتبار تلك الآيات مشيرة الى عمل الرب يسوع المسيح بعد ذلك الزمن بستة قرون كما يكتب نبي السبي العظيم : كلنا كغتم ضللنا ، ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه اثم جميعنا ، ( اش ٥٣ : ٦ ) .

وساتحدث مطولاً فيما بعد عن العلاقة بين الانبياء الأقدمين وبين الرب يسوع المسيح . ولكننا نكتفي هنا بتوكيز افكارنا كلها في تفسير معنى الألم .

في هذا الامر نجد في تعليم اشعيا الثاني صراحة بأن احزان هذا العالم وأوجاعه لا تقع دائماً علينا بنسبة ما يستحقه من العدالة ، بل بالعكس

يمكن اعتبار التألم لأجل الآخرين دعوة إلهية ذات قيمة كخدمة الآخرين والعمل من أجلهم . لذلك قد تأتي الآلام ليس بسبب الخطية بل قد تأتي بسبب البر الذاتي . ان مجمل مثل هذه الآلام في سبيل العمل الصالح او تأييداً له يوضح في الكتاب المقدس بحياة ارميا ويسوع وبولس الطرسوسي . فكل منهم وبطريقه مختلفة عن غيره تحمل كثيراً من الألم والحزن والوجع لانه بالطاعة اكمل مقصد الله في حياته وتم الرسالة التي انتدبه الله لكي يتمها .

ويقدم لنا التاريخ عدداً يفوق الحصر من الشهود الذين اعلنوا ايمانهم المسيحي واستشهدوا في سبيله كالرسل والرواد من المبشرين والذين وقفوا مدافعين عن عقيدة السلام والأبطال من الاطباء والممرضين والمرضات الذين خاطروا بحياتهم لاستئصال سائفة الامراض والأوبئة وأولئك الفدائيين الذين يغامرون بحياتهم لانقاذ حياة سواهم في حوادث الحريق والغرق ، وأولئك الذين يدافعون بجرأة عن المظلومين والمنكوبين . وفي الحياة العادية نجد الكثيرين من الآباء والامهات يضحون بصحتهم وراحتهم من اجل خير اولادهم . وكذلك في الخدمات الاجتماعية وفي اعمال الرحمة والانقاذ والتطوع يواجه اولئك الأبطال الصعاب والشدائد لأجل خدمة المجتمع . كل هذه الأعمال يمكن ان يكون فيها عنصر الألم للبر وليس بمثابة قصاص من اجل الخطية .

ان سفرأ بكامله من اسفار العهد القديم يعالج معضلة الألم كما يظهر نازلاً بساحة رجل بار بدون عدل ولا استحقاق . فأيوب كان رجلاً كاملاً ومستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشر ، ولكن الدهر قلب له ظهر الجحش وحلت به النكبات الواحدة تلو الاخرى ، وفي يوم واحد تبدلت الاحوال

معه وساءت جميع اموره وخسر كل ما يملكه من مال وحلال وعيال  
ومع ذلك بقي متمسكاً بإيمانه وقال: عرياناً خرجت من بطن امي وعرياناً  
أعود الى هناك ، الرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركاً  
( اي ١ : ٢١ ) .

واصيب بعد ذلك بالقروح من باطن قدمه الى قمة رأسه ، فأخذ لنفسه  
شفقة ليحتك بها وهو جالس في وسط الرماد ( اي ٢ : ٧ و ٨ ) . فقالت  
له امرأته انت متمسك بعد بكمالك بارك الله ومت . ولكنه بقي ثابتاً  
في ايمانه ولم يتزعزع . وجاءه ثلاثة من اصدقائه ليرثوا له ويعزوه ، ففتح  
ايوب فاه وحدثهم عن مرارة قلبه وما كان يعانيه من الشقاء .

وكان اصدقاء ايوب يحفظون التقليد العبراني بأن الآلام والشدائد  
كانت تأتي بالنسبة للشر الذي يعمله الانسان . لقد قبلوا تلك العقيدة  
بدون ان يشكوا بصحتها ولذلك طلبوا الى ايوب ان يعترف بخطيته .  
اما ايوب فلم يكن يوافق معهم على صحة ذلك المعتقد . فهو يقر بأنه  
رجل خاطيء كباقي الناس ولكنه اصر على براءته وصلاحه وانه لم يفعل  
ما يستحق كل ذلك القصاص ، وباطلاً حاول اصدقائه تأييد نظرتهم  
التقليدية مصرين على وجوب العودة عن حنثه والتكفير عن هرطقته ، فلم  
يزدد ايوب الا عنفاً وحدة حتى انه حمل الله مسؤولية جميع آلامه  
وشقائه .. اذاً فهو ظالم وقاس ..

وأخيراً كلم الرب أيوب معلناً :

اشدد الآن حقوك كرجل ، فاني أسألك فتعلمني .

اين كنت حين اسست الأرض ؟ أخبر ان كان عندك فهم .

( اي ٣٨ : ٣ و ٤ ) .

وتبع ذلك بصورة تلقائية واسلوب شعري رائع اسئلة وأقوال لا  
يستطيع ايوب ان يجيب عنها ولن يتمكن من ادراكها .  
واذ شعر ايوب انه في حضرة الله القدير ذي المجد والعظمة والحكمة  
والاقتدار صرخ :

بسمع الاذن قد سمعت عنك والآن رأيتك عيني .

لذلك ارفض وأندم في التراب والرماد ( اي ٤٢ : ٤ و ٥ ) .

ففي بلوغنا هذه النتيجة نلاحظ بأن ايوب لا يجيب عن السؤال  
الجوهري الذي اجاب به اولاً بل يتحداه ويحول اهتمامه ونظر اصدقائه  
الى جهة ثانية . ففي الحوار الثري الاخير يعود ايوب فيحصل على رضى  
الله بينما يندد بأصدقائه فيصير ايوب متشفعاً بهم . وهذا ما يتفق مع الميزة  
التي ينبغي ان يتصف بها الله الا وهي نزاهته واستقامته وكماله . وأيوب  
وان ثار ضد الله فلقد كان مستقيماً وصريحاً في شكواه . اما اصدقائه  
فقد حاولوا ان يضعوا الحلول التقليدية مكان الحقيقة الخالدة ولكنهم كانوا  
على ضلال .

والكتاب المقدس ككل يعلمنا بصراحة انه من الافضل لنا ان نسأل  
بنزاهة واخلاص من ان نصدق تفاسير سطحية . غير انه ليست الاسئلة  
ولا المعتقدات عن الله ذات اهمية رئيسية . فواجبنا الاول ليس ان  
نفهم الله وندركه - وهو عمل فوق طاقتنا وفوق متناول يدنا ، بل  
أن نخضع له بالاحترام والطاعة . ان هدفاً كهذا فقط يتلاءم مع الانسان  
المخلوق في حضرة الخالق العظيم والكلي العلم والحكمة والادراك .

☆☆☆



## قداسة الله

## ١ - معنى القداسة

نجد بين الأقوام البدائية حيث لم تتطور الفكرة الدينية بنسبة تطور العلوم الطبيعية ظاهرة دينية عامة هي فكرة وجود قوة سرية لا يدنى منها . وقد تظهر مثل هذه القوة في البروق والزلازل والهزات الارضية او في خصب الارض او المرأة او في تكوّن صخرة عظيمة من الرواسب ، او في شلال هدار او في طاعون يتفشى فيجرف الانفس جرفاً او في نار ملتهبة تأكل الأخضر واليابس معاً ، وليس بالامكان تحديد تلك القوة السرية ولكننا نستطيع ان نلمس شيئاً من اثرها .

فالهنود الامير كيون اطلقوا على تلك القوة الحفية عدداً من الأسماء بتعدد الأمكنة ، وقد تلقن معناها الولد الهندي لا بطريقة الشرح والتوضيح بل بطريقة الاختبار العملي والشعور الذاتي بحقيقتها . فقد يكون في الغابة مع والده واذا بصاعقة تقع على شجرة عاتية فتطرحها ارضاً فيأخذ الولد يصطك خوفاً وهلعاً واذا بالوالد يقول له بصوت خافت :

انها « اورندا » ولا يزيد توضيحاً للسّر. ولكن اللفظة تعود فتتكرر حيناً  
يعثر الولد على صدفة متحجرة بشكل سمكة ليست محفورة بيد بشرية .  
وحين يظهر قوس القزح في السحب الممطرة او لدن وفاة احد الابطال  
من المحاربين القدماء ، يرحب بهذه الظواهر ومرة اخرى تكون سبب  
خوف وفزع ولكنها في كل الاحوال توحي الحشية والخوف والمهابة ،  
ولم يجرأ الانسان البدائي من الاقتراب اليها دون مبالاة . وأما طبيعتها  
الصحيحة فكانت مجهولة لانها كانت فوق متناول البشر من حيث ادراك  
كنها او فهم اسرارها او التسلط عليها .

وغالباً ما كانت تلك الفكرة الغامضة المسببة للخوف والموجبة للردة  
في تاريخ الديانات المختلفة تعرف « بالتابو » او الممنوع او المحرم لمسه  
والاقتراب منه .

فن اقدم السجلات التي وصلت اليها نعرف بان العبرانيين عبدوا يهوه  
تحت تأثيرات خاصة وهو قد تصرف معهم في حوادث معينة بشكل  
تاريخي محدود ، وكانت معرفته وطبيعته وطرقه جميعها مرتبطة بتلك  
الحوادث التاريخية وليس بالظواهر الطبيعية الغريبة او بغيرها .

ومع ذلك وبالرغم من خصائص الديانة العبرية كانت منذ بدء ظهورها  
تتصف بانجهااتها وشعائرها واسرارها نحو ما كان لدى الديانات الاخرى عند  
الشعوب القديمة وبينها ولا شك « التابو » او « المحرم » الذي كان معروفاً  
عندهم ومرتباً ارتباطاً وثيقاً بأسرار الاله الذي لا يدنى منه .

وبهذا المعنى نستطيع ادراك ماهية القداسة في العهد القديم وماذا قصد  
بها . فمعنى قولهم بأن الله قدوس انه يختلف عن الانسان وان الانسان لا

لا يدركه تمام الادراك ولا يستطيع ان يرى افعاله مسبقاً كما لا يستطيع ان يتحكم بها ولا يمكنه الاقتراب منه الا بموجب شعائر خاصة . ان قداسة الله تعني الفرق الشاسع في النوعية بينه وبين البشر وهو ما ينبغي ان يحترمه هذا المخلوق الذي يسمى انساناً .

ولم تكن القداسة محصورة بالله وحده في عرف العبران القدماء ولكن كل ما كان له علاقة به حسب مقدساً ووجب الاقتراب منه بجذر خوفاً من الموت . وهذا هو الاعتبار الذي كان تجاه تابوت العهد او تابوت الرب - الصندوق الحشبي الذي قيل انهم حفظوا فيه لوهي الوصايا العشر الأصليين . وقد اعطاهم التابوت تأكيداً بأن الله كان حاضراً معهم كما كانوا يعززون اليه حوادث خارقة غير متوقعة في الطبيعة . فحينما دخل العبرانيون ارض الموعد حمل الكهنة تابوت الرب الى ضفة نهر الاردن بينا الشعب بقيادة يشوع تبعوه على مسافة نحو ذراع بالقياس . وحينما استقرت بطون اقدام الكهنة حاملي تابوت الرب سيد الارض كلها في مياه الاردن انفلقت المياه المنحدرة من فوق ووقفت ندأً واحداً والمنحدرة الى بحر العربة ، بحر الملح انقطعت تماماً وعبر الشعب مقابل اريحا . وفي الايام العصية التي تلت كانوا يعتقدون بأن تابوت العهد كان سبب انتصار للشعب وسبب ازدهار لهم ، لذلك دب فيهم الخوف والرعب حينما استولى اعداؤهم على تابوت عهد الرب كما اعتقدوا بأن التابوت كان سبب تعاسة وشر لاعدائهم الذين حملوه لا سبب خير وبركة .

حتى بين العبرانيين كثيراً ما كانت تصدر عن ذلك التابوت امور خارقة ومرعبة . ففي ايام الملك داود حينما امرهم بأن يصعدوا تابوت الله الذي يدعى عليه بالاسم اسم رب الجنود الجالس على الكروبيم من

بعلة يهوذا الى اورشليم حدث امر عظيم هناك ، فمع أنهم وضعوا التابوت على عربة جديدة وحملوه في موكب عظيم لاعبين امامه بكل انواع الآلات من خشب السرو بالعيدان وبالرباب وبالدفوف وبالجنوك وبالصنوج انشمصت الثيران التي كانت تجر العربة فمدّ عزة يده وضربه الله هناك لاجل غفله فمات هناك لدى تابوت الله ( ٢ ص ٦ : ٦ - ٧ ) . وخاف داود من الرب في ذلك اليوم وقال كيف يأتي إليّ تابوت الرب ولم يشأ داود ان ينقل تابوت الرب اليه الى مدينة داود فقال به الى بيت عوبيد ادوم الجتي حيث بقي ثلاثة اشهر . وبارك الرب عوبيد ادوم وكل بيته . فأخبر الملك داود وقيل له قد بارك الرب بيت عوبيد ادوم وكل ماله بسبب تابوت الله . فذهب داود وأصعد تابوت الله من بيت عوبيد ادوم الى مدينة داود بفرح .

ان نظير هذه القصة ينبغي الا تحمل على علاقتها كحدث تاريخي لأنها كتبت بعد تلك الايام بأزمان ولم تكن باعثاً لرغبة تاريخية . لقد قصد بها ان تؤدي درساً دينياً وفي هذه الحادثة لا يصعب على المطالع ان يرى الهدف المقصود من روايتها مع كونها لا تتفق مع اسمى شعائرها الدينية الأدبية ، فالله قدوس ، وهو يكرم من يشاء . والناس ينبغي ان يحتزوا من التدخل بأموره حتى ولو كان ذلك بقصد شريف ، عليهم ان يخضعوا لأحكامه ويعترفوا باتكالمهم الكلي على ارادته .

الى مثل هذا النوع من القداسة يشير كاتب سفر اشعيا الثاني حينما يقول باسم الرب :

لأن افكاري ليست افكاركم  
ولا طرقكم طريقي يقول الرب

لانه كما علت السموات عن الارض  
هكذا علت طريقي عن طرقكم  
وأفكاري عن افكاركم ( اش ٥٥ : ٨ - ٩ ) .

## ٢ - القداسة الادبية

ان القداسة بما ترمز اليه من اسرار دفينه وما فيها من قوة لا يقترب اليها ولا يمكن التكهن عما يصيب المرء اذا هو تجاسر على الدنو منها ، كل هذه العقائد معروفة ومألوفة لدى الكثير من شعوب الارض ، وأن افضل ما فعله انبياء العبران في العهود القديمة هو انهم اضافوا على تلك المعتقدات معنى ادبياً سامياً . وقد اتقنوا ذلك لدرجة ان كلمة قدوس اصبحت في عرف علماء الكتاب المقدس تعني البار او الطاهر او الصالح ومع ذلك فالمعاني البدائية المستوحاة من اختباراتهم لبعض الظواهر الطبيعية الخارقة ليست غريبة عن كتابات الاسفار المقدسة اجمالاً .

ان فكرة قداسة الله في العهد القديم يتحدث عنها النبي اشعيا في الاصحاح السادس بشكل نادر المثال . ففي هذا الفصل الذي قدّر بأنه كتب قبل المسيح بنحو سبعة قرون تمثيل رائع للعنصر الادبي وعنصر الحرف متحدين معاً في رؤيا رمزية لله . لاحظ كيف يبدأ النبي قصته : في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً « على كرسي عال ومرتفع وأذياه تملأ الهيكل » ( اش ٦ : ١ ) .

فالجلوس على العرش يوحي الملكية ولكنه يضيف الى قوله العبارة : « على كرسي عال وأذياه تملأ الهيكل » وبذلك يرفع الله فوق جميع ملوك الارض . وتم الرؤيا في الهيكل وهو المكان الذي اضفت عليه روعة



الهندسة والقدمية والشعائر الدينية التي كانت تمارس فيه جواً من الحشوع  
والرهبة ، فالبناء العظيم ممتلئ من المجد الالهي الذي يرافق السيد الرب .  
وكما يليق بالملوك تحيط بالله ملك الملوك ورب الارباب حاشيته ،  
غير ان لا ملك آخر كان له مثل هذه الحاشية .

السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة اجنحة ، باثنين يغطي وجهه  
وبائنين يغطي رجليه وبائنين يطير .

ان اجنحة تلك الخلائق العجيبة تميزهم عن باقي المخلوقات وتجعلهم  
مخلوقات سماوية فوق مستوى البشر . وحتى تلك المخلوقات الملائكية  
تغطي وجوهها بجناحين هما رمز انتسابها للمخلوقات السماوية العليا لانها غير  
جديرة برؤية مجد الله ، وكذلك بجناحين اثنين تغطي ارجلها علامة عدم  
استحقاقها ان تكون معرضة لرؤية السيد الرب .

وهذا نادى ذاك وقال ، قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء  
كل الارض ، فاهتزت اساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت  
دخاناً .

والسرافيم اقوياء حتى حينما نادى احدهم الآخر اهتزت اساسات  
العتب من صوته ولكن مهمتهم هي ان يكونوا متضعين امام الله معلنين  
قداسه ومرددين قولهم : قدوس قدوس قدوس مجده ملء كل الارض .  
ولا عجب في ان يرتعد حتى رجل شجاع نظير اشعياء امام مشهد  
كهذا وبالأخص في ضوء التعاليم العبرية القائلة بأن لا أحد يستطيع ان  
يرى وجه الله ويبقى حياً ، ولكنه في حضرة تلك القوة العظيمة والمجد  
الفائق الوصف لم ينزعج النبي بالنسبة لضعفه الذاتي بل بالنسبة لشعوره  
بالنجاسة والإثم . ولذلك يستطرد هكذا :

فقلت ويل لي اني هلكت لاني انسان نجس الشفتين ، لأن عيني قد  
رأى الملك رب الجنود .

ومما هو جدير بالملاحظة في هذا الصدد ان اشياء رجل الله العظيم  
يشعر بأنه واحد مع شعبه وأنه مسؤول عن نجاستهم كما عن نجاسته بالذات  
وهو يشعر بالوبن الشاسع بين قدرة الله الخالق التي لا تحدد وبين قدرة  
الانسان المخلوق كما يتضح له الفرق العظيم بين قداسة الله العلي وبين نجاسة  
الانسان الخاطيء .

هنا نجد عقيدة قداسة الله متميزة بضلالة الانسان . فحينما يقابل الله  
القدوس بالانسان الخاطيء يظهر الفرق ليس فقط في ضعف الانسان  
وحدهود مقدرته بل يظهر بأنه ساقط ومتمرغ بالخطية بينما الله مقتدر الى  
آخر حدود المقدرة وقدوس الى اقصى حدود القداسة وكامل الى ابعد  
حدود الكمال .

### ٣ - شواهد متفرقة لقداسة الله

ان اسفار العهد القديم تشهد لقداسة الله بطرق شتى ، فنقرأ في  
( مز ١١١ : ١٠ ) رأس الحكمة مخافة الرب . وتكرر هذه العقيدة  
في فصول اخرى لا حصر لها ، على ان الكثيرين من المسيحيين المعاصرين  
لا يرتاحون الى هذه العقيدة ويقولون : اذا كان الله صالحاً فلم الخوف  
منه . اما الكتاب المقدس فيشدد على ان صلاح الله وقداسته هما الموجبان  
لخافته لاننا لسنا مستعدين للوقوف بمحضته .

اما الخوف فله مكانه خاصة في حياة الانسان . ولكن المشكلة هي  
اننا نخاف من الامور التي لا تستحق الخوف ، نخاف من خسارة الصحة  
او المال او الشهرة بينما ينبغي ان نخاف من فقدان نظرة الله الصالحة فينا .

وبالتالي كل شيء في الحياة يتوقف على الله ، وهو وحده جدير بأفضل مخاوفنا كما انه جدير بأسمى رجائنا .

هنالك طريق مُتفضي من الخوف الى الاعتراف فالحجة فالفرح ، ورسالة الكتاب المقدس تكشف لنا تلك الطريق وترشدنا اليها . فمخافة الرب ليست نهاية الحكمة التي تمنحها هذه الحياة ولكنها بداية وبسبب الحرمان منها لم يتمكن الكثيرون من السير في طريق الحياة المستقيمة .

ان الطريقة التي كانوا يذكرون بها اسم الله كانت تعكس قداسته وتعبير عنها . فالاسم القديم الذي اطلقه العبرانيون على الله تألف من اربعة احرف ، ولم يكونوا يلجأون الى استعمال الحركات الصوتية ذلك كان على القارئ ان يستنتجها من النص الذي امامه ، على انهم حينها كانوا يقرأون الاسفار ويستخدمون اسم الله في العبادة كانوا يتجنبون ذكره ويستعيضون عنه بلفظة عبرية معناها الرب او السيد ، ولم تكن هذه العادة مختصة بقدماء العبرانيين فحسب ولكنها ما زالت تمارس حتى اليوم في المجامع اليهودية ، وحذا حذوهم المسيحيون في عدد من بلدان العالم فترجموا التوراة الى لغاتهم مستخدمين كلمة الرب عوضاً عن «يهوه» الاسم الذي اطلق على الاله زمن العبرانيين . لذلك نقدم نحن اليوم الاحترام على غير معرفة منا لقداسة الله الذي لا يليق ذكر اسمه على شفاه البشر .

ان اسفار الخروج واللاويين والعدد مملأ بالتفاصيل والشروحات عن الكهنة وعن الآواني والشعائر الدينية التي ينبغي ان تمارس في عبادة الله ، ومعظم تلك الشروح تعبر بطرق مختلفة عن قداسة الله ، ولأن الله قدوس ، فيخيمة الاجتماع في البرية والهيكل العظيم في اورشليم ينبغي ان يبنيا بشكل خاص وان يخصصا للعبادة فقط دون سواها . كذلك ينبغي

ان تفرز طائفة من الناس للقيام بمراسيم العبادة ، كما ان تلك المراسيم نفسها كانت مليئة بالرموز التي تشير الى قداسة الله ، وهذا ينطبق بنوع خاص على مقدمة الذبائح الكفارية التي تطلبت من الكهنة ومن الشعب ان يتطهروا ان هم انتظروا احساناً من الله القدوس ورضى عنهم .

وهناك توضيح لقداسة الله في القانون الوارد نصه في لاويين ( ١٧ - ٢٦ ) حيث نجد كثيراً من الطقوس الكهنوتية كما نجد تعاليم اخلاقية وأدبية وبينها الوصية القائلة: تحب قريبك كنفسك ( ١٩ : ١٨ ) . وبما هو جدير بالملاحظة ان كامل تلك الاصحاحات العشرة التي تنبثق عنها المراسيم الدينية والتعاليم الاخلاقية مبنية جميعها على عقيدة قداسة الله ، ولأنه قدوس فشعبه ينبغي ان يعيشوا بالقداسة والعدل طالين غفران خطاياهم واتضاعهم امامه .. وتكونون قديسين لاني قدوس الرب الهكم ( ١٩ : ٢ ) . ونظير هذا القرار نجد عبارة اخرى تتكرر وتتردد . انا الرب .. انا الرب الهكم .

#### ٤ - قرب الله

ان الله الذي تفصله عنا هوة سحيقة من الفوارق من حيث القوة والطبيعة الأدبية هو قريب ايضاً في آن واحد . فلقد رأينا بأن صورة الله في الانسان لم تذهب بكاملها لذلك كان كل انسان مشابهاً لله بالصورة مهما اتسعت الخلافات الشكلية ، وفوق ذلك فالله يمثل في كامل اسفار الوحي متداخلاً الى حد بعيد في جميع امور البشر . فهو عامل في تاريخ الأمم كما في مصائر الافراد والجماعات ، وهو يعمل في العالم بالطرق

الطبيعية الرتيبة كشروق الشمس ونزول المطر ( مت ٥ : ٤٥ - ٤٦ ) .  
كما يعمل في حوادث خارقة منفردة وغير مكررة كتخليصه العبرانيين  
من عبودية المصريين مرة واحدة في التاريخ ، كما يكلم البشر بطرق  
مختلفة . فالنجوم وكل العوالم المنظورة هي من صنع يده لترينا مجده  
وقوته ( مز ١٩ : ١ - ٤ ورو ١ : ٢٠ ) وهو يعد بناموس مسجل  
داخل القلوب البشرية ( إر ٣١ : ٣٨ ورو ٢ : ١٤ - ١٥ ) . ويتكلم  
بواسطة رسله الذين ابدعهم ودعاهم لخدمته بشراً كانوا ام اجناد ملائكة .  
ففي روايات الانبياء يمثل الله مكملاً اياهم بقوة ووضوح وتصويب . ان  
قرب الله من شعبه ميزة فريدة جعلته مختلفاً عن الآلهة الكذبة للأمم  
الآخري ( تث ٤ : ٧ ) .

كذلك تعكس الكتابات القديمة فكرة اختيار الله بعض الامكنة  
الخاصة لسكنه فيها كجبل سيناء وقدس الاقداس داخل خيمة الاجتماع  
او في هيكل اورشليم او في المحافل السماوية من حيث ينحدر بعض  
الأحياء الى اماكن معينة على الارض . ومع ذلك فشل هذه الآراء  
المحلية لا تمتنع بالتاكيد وجود انواع اخرى من الآلهة . ففي فصل سابق  
من سفر يشوع امرأة وثنية زانية في مدينة اريحا تمثل قائلة للجواسيس  
الاسرائيليين :

علمت ان الرب قد اعطاكم الارض ، لأن الرب الهكم هو الله في  
السما من فوق وعلى الارض من تحت ( يش ٢ : ٩ و ١١ ) .

حتى حينما يمثل الله حاضراً في تابوت العهد بصورة خاصة فهو ما يزال  
يدعى « الرب سيد كل الارض » ( يش ٣ : ١١ و ١٣ ) .



لم تكن مهمة كتاب اسفار الوحي ايجاد الاجوبة للمشاكل الفلسفية المعقدة ولكن ايجاد الحلول لمشاكل عملية ملحة . لذلك كان التعليم بوجود الله في السموات وعلى الارض وانه سيد كل الارض تعبيراً عن ثقة دينية بأن الله صالح لكل حاجة حينما وجد اولاده . ومن الناحية الاخرى فأما كن كجبل سيناء وبعض الادوات كتابوت عهد الرب غنية بالذكريات الدينية فحرك الايمان وتسمو بالشعور بوجود الله وحضوره الدائم .

ليس في كل تاريخ الأمة العبرانية ما يفوق هيكل سليمان في اورشليم في الروابط الدينية والشعائر التعبدية . فهل كان التفكير بأن الله ساكن في الهيكل ؟ هذا السؤال يعالج في فصل من سفر الملوك الأول الذي يظن انه من عصر متأخر وقد يكون متأثراً باختبارات لله في اثناء سبي بابل . فهنا يمثل سليمان قائلاً في حفلة التدشين ما يلي :

« لأنه هل يسكن الله حقاً على الارض ؟ هو ذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت . فالتفت الى صلاة عبدك والى تضرعه ايها الرب الهى واسمع الصراخ والصلاة التي يصلها عبدك امامك اليوم . لتكون عينك مفتوحة على هذا البيت ليلاً ونهاراً على الموضع الذي قلت ان اسمي يكون فيه لتسمع الصلاة التي يصلها عبدك في هذا الموضع ، واسمع تضرع عبدك وشعبك اسرائيل الذين يصلون في هذا الموضع واسمع انت في موضع سكناك في السماء واذا سمعت فاغفر ( ١ مل ٨ : ٢٧ - ٣٠ ) .

ولعل هذه الصلاة تمثل لنا الفكر العبراني الناضج من جهة الله . فهنا يعتبر الهيكل مكاناً محدداً لسكنى الله ولكن الله ليس محصوراً فيه من حيث وجوده وعمله . حتى السموات لا تسعه . والهيكل ليس سوى

علامة لموايد الله وقربه من شعبه حيثما كانوا ( انظر مز ٨٥ : ٩  
و ١٣٩ : ٨ ) .

على ان الرمز الطبيعي مهما كان ضرورياً يقود الى التجربة ، فهناك  
الخطر الدائم بأن يتخذ الرمز حرفياً فيحدد الفكر الديني بدلاً من تحريره  
ويكبت الخيال والادراك الروحيين . لذلك لا نستغرب اذ نجد اليهود  
يعيدون بناء الهيكل في اورشليم بعد رجوعهم من السبي فأصبح لبعض  
اليهود ذا تأثير محدد فيما اعتقد السامريون بأن مكان العبادة هو جبل جرزيم  
حيث وجدت انقراض هيكلهم ، وهذا كان موضوع الحديث الذي دار بين  
المرأة السامرية وبين الرب يسوع على البئر ( يو ٤ : ١٩ - ٢٣ ) .

« قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي ، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل  
وأنت تقولون إن في اورشليم الموضع الذي ينبغي ان يسجد فيه . قال لها  
يسوع يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في اورشليم  
تسجدون للآب ، ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون  
يسجدون للآب بالروح والحق لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين  
له » .

وبولس الرسول منكرراً على اهل اثينا عبادتهم للأصنام يعلن لهم  
بصراحة :

« الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا اذ هو رب السماء والارض  
لا يسكن في هياكل مصنوعة بالايادي ولا يخدم بأيدي الناس كأنه  
محتاج الى شيء اذ هو يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء ، مع انه عن  
كل واحد منا ليس بعيداً ، لاننا به نحيا ونتحرك ونوجد (اع ١٧ : ٢٤ -  
٢٥ و ٢٧ - ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ ) » .

وهذه الفقرة الاخيرة يقتبسها الرسول بولس من اقوال احد فلاسفة  
اليونان المدعو أبيا نيديس .

فالله اذن بعيد عنا وفي الوقت ذاته قريب منا، اقرب من جبل الوريد  
الينا . ان هذا التناقض الظاهري ليس الا مكماً للعقيدة، لانه ليس بعيداً  
عنا بمعنى ان مسافة من الفضاء تفصله عنا ولكنه يختلف عنا في الجوهر .  
فلو لم يكن مختلفاً عنا لما كان قريباً منا، وليس من مخلوق بشري يستطيع  
ان يعرف افكار البشر كما يعرفها الله وليس من احد يستطيع ان يتم  
بالكثيرين في وقت واحد ، ومع ذلك نتأكد بأنه يعتني بكل واحد منا  
حتى اننا لا نستطيع الافلات من عنايته ومراقبته . فهو عارف بجميع  
قضايا حياتنا ودقائقها اكثر جداً مما نعرف نحن عن انفسنا (مت ١٠: ٣٠)  
فلو لم يكن عالماً بجميع الامور وذا معرفة عامة وشاملة وبعيدة جداً عن  
ادراكنا لما استطاع ان يعلم كما يعلم . ولو لم تكن محبته واسعة وشاملة  
وأمانة ابعد جداً مما ندرك لما اهتم ان يعتني بنا كما يفعل . فقد حدد  
احد الفلاسفة هذا بقوله : ان وجود الله المتعالي وقدرته ومحبته هي ما  
جعلت حلوله ممكناً في العالم وفينا نحن . وبلغه دينية بامكاننا القول :  
إن قرب الله منا ومحبته المعنية بنا هما من ادلة قداسه ايضاً .





## حاجتنا الى الخلاص

يعنى الكتاب المقدس بأمر الخلاص، وما لم نشعر بحاجة الى الخلاص ونتأكد منه تصبح الرسالة التي تدور حولها الاسفار الالهية عقيمة وبدون فائدة. على ان الكثيرين من الناس يحسبون انهم بغنى عن الخلاص لانهم يفترضون بأنه يقتصر على نجاتهم من الذهاب الى جهنم حيث البكاء وصرير الاسنان ، وبما انهم ليسوا متيقنين من مثل هذا المصير المرتقب فهم اذن لا يشعرون بالحاجة للخلاص منه .

غير ان الخلاص بالمعنى الكتابي لا ينحصر في الدرجة الاولى بجهنم . والحق يقال ان كاتباً واحداً فقط من كتاب اسفار العهد القديم - هو دانيال - يذكر شيئاً عن العقاب المنتظر بعد الموت ، ولكن معظم رجال الله من الأنبياء تكلموا عن الخلاص . حتى في العهد الجديد حيث تكثر الاشارة الى القصص بعد الوفاة نجد ان الكاتب الذي يتحدث عن الخلاص اكثر من غيره ، وهو بولس الرسول ، لا يكتب الا قليلاً عن العقاب ولا يذكر الدينونة المؤبدة بعد الموت .



والواقع اننا بحاجة الى الخلاص من امور كثيرة . فنحن معرضون  
للمخاوف من الحروب والثورات والفقر وتفكك الروابط العائلية .  
والكتاب المقدس يعنى بالخلاص من جميع هذه المخاوف وأكثر منها ليس  
كما يعنى علم النفس فيلجأ الى طريقة الانبياء التي تقتصر على الاعراض  
الخارجية وتغفل عن المسببات الرئيسية ولكنه يهتم بالانتصار الفعلي على  
اسباب الخوف والاضطراب .

#### ١ - امراض الامة

يتم العهد القديم في الاكثر بأمراض الأمة ككل مع ان بعض  
الفصول تهتم بالأفراد ، وبالعالم اولئك الافراد ممن كانت لهم علاقة  
بالأمة كالبطاركة الأقدمين والملوك والانبياء ، لذلك نرى بأن سفر  
التكوين يعنى بتاريخ نشأة العبرانيين ويربطه بتاريخ الخليقة . وسفر  
الخروج يهتم بتحرير الشعب من عبودية المصريين وصيرورته أمة . وسفر  
اللاويين والتثنية يضعان الشريعة ويقرران الطقوس والمراسيم الدينية  
والاجتماعية التي تحفظ مقدراتهم كأمة كما هو موضح في ( تث ٤ ) . وأما  
سفر يشوع والقضاة فيدوران على وصول الشعب الى فلسطين وتوطنهم  
في بعض اجزائها وتكميل حريتهم من عبودية المصريين ومن الاخطار التي  
كانوا يواجهونها في البرية وفي الارض التي كانوا آتين اليها . هذه الاسفار  
وغيرها كأسفار صموئيل وملوك والاعخبار وعزريا ونحميا جميعها تروي  
قصة معاملة الله للشعب في الماضي ملونة بشكل عهد مقطوع بين الله وبين  
الشعب انهم اذا اطاعوه وساروا بحسب احكامه سينقذهم من الضيق الذي  
يطرأ عليهم ويساعدهم على تحقيق مصيرهم الذي دعاهم لاجله . وليس احد

ينكر على الانبياء اهداف رسالتهم التي انحصرت في خلاص امتهم من الشرور التي احاطت بها وكانت سبب ذعر لها .

ان اكثر الكتابات الحكمية في اسفار ايوب والامثال والجامعة كانت تعالج علاقة الانسان بالله وتفسرها في اغلب الاحيان بالنسبة لحوادث فردية خاصة . ففسر راعوث مثلاً ربما لم يكن ذا شأن لولا علاقته بملك يهوذا العظيم النبي داود ( ٤ : ١٧ - ٢٢ ) ، وبالتالي علاقة ذلك بالامة .

ان مجموعة الاشعار الغزلية في نشيد الانشاد لا تأتي على ذكر الله وليس فيها دروس دينية ذات اثر وما كانت لتجد لها مكاناً بين الاسفار القانونية لولا ان المحرر نسبها الى الملك سليمان المشهور .

ومع ان رسالة سفر استير الدينية ضئيلة الا انه قصة مثيرة في الوطنية وكيفية تخلص الشعب العبراني من ازمة شديدة . والمزامير تقدم كثيراً من التعاليم والارشادات ولكنها تعنى بموضوع الخلاص الفردي والجماعي وخاصة لبعض الملوك والقادة ممن كان لهم اثر في مصير الأمة . فها هي الشرور والأمراض التي كان المرغم يطلب النجاة منها؟ انها اخطار الحروب والمؤامرات والخianات والأمراض والأحزان وتجارب القحط ورداءة المواسم والوحشة وأثقال الإثم والبعد عن الله .

## ٢ - شرور البشر

على ان اكثر كتبة اسفار العهد القديم يشددون على الشرور العميقة المستترة التي رافقت وجود الانسان . وهذه الشرور لا تقتصر على المخاوف

الخارجية التي تهدد الانسان بل ان اسدها هو لآ هي تلك التي تحرق به وتكتنفه من الداخل والتي تثير الانسان ضد اخيه الانسان وضد ارادته ورغباته . وهذه القوى هي التي تفصلنا عن الله وعن قصده الالهي الذي أعدة لنا والذي لأجل تميمه أوجدنا .

ان مأساتنا الكبرى ليست في الغلبة على امرنا وقهر نفوسنا ، وليست في اننا نموت بل هي في اخفاقنا ان نعرف كيف ينبغي ان نأيا . ان هذا الاخفاق النفسي وهذا الابتعاد عن الله ومعنى وجودنا في الحياة ، كل هذه هي التي تمنع الموت شوكتة وتملأنا خوفاً وجزعاً . وهذا الخوف يدفعنا بدوره لطلب الضمانة المادية بواسطة قوانا الخاصة التي تزيد مشاكلكنا اضطراباً وتعقيداً .

ان جنوح البشر نحو طلب الضمانة المادية يثير الجشع المتطرف الذي يصل الى حاجاتنا الحقيقية فتستبسط اهدافها الخاصة متهمكة حقوق الآخرين في سبيل ارضاء شهوة الأثانية . ان مثل هذا الشره يتلف احراجنا دون اية اعتبارات لحقوق الاجيال المقبلة فتأتي الفيضانات الشديدة وتجرف معها التربة الصالحة وتجرد وجه الارض من افضل هباتها . وهذه الشراة تستغل العمل وتسعى لتحطيم المنافسة العادلة وتجمع الكراهية التي قد تتفجر بثورات شديدة الضراوة .

ان طلب الكفاية الذاتية والضمانة المادية اذا ما أسيء توجيهها نحو الطمع والشراة للحصول على السطوة والوجاهة أصبحت فعلاً لا تشبع ولا تقنع . وفي العلاقات الشخصية تقود الى الرذيلة والى اشكال من التراخي في العلاقات الجنسية وبالتالي تصدع الروابط العائلية وتقضي على قدسية الحياة . وقد تتحول فتسيء الى الاولاد او تظهر بمظهر الجداوة

والخصام نحو الجيران او بارتكاب الجرائم والموبقات. واذ تفشل جميع تلك المحاولات ويتبرهن عدم جدواها قد تقود الى محاولات للتخلص من الحياة بالاقدام على الانتحار او ما سابه ذلك كالادمان على المخدرات او المسكرات او عليها كليهما . اما في العلاقات العرقية فقد تقود الى عقائد باطلة وسخيفة فتزعم تفوق عرق على غيره من اجناس البشر مما يفضي الى التفريق العنصري . وفي المصالح الدولية قد تمحرض القوم على حمل السلاح في عراك دام لا سبيل الى وضع حد له بالرغم من اكتشاف الاسلحة البعيدة المدى كالصواريخ عابرة القارات والقنابل الذرية والهيدروجينية وغيرها من وسائل الفتك . وهذه بدورها تدفع الامم لاكتشاف ما هو اشد فتكاً منها وأكثر تدميراً مما يجعل الخوف ضارباً رواقه دوماً والشك الذي يهب بالقوى المتنافسة على المزيد من وسائل الفتك النووية المخزية .

هذا الابتعاد بين الانسان وأخيه الانسان وبين الله وبينه وبين جوهر ذاتيته ابعد جداً من تصرفاته الخاصة في هذا الحين او في ذاك . وأبعد بكثير من مقدرة الانسان على الاختيار وعمل الصالح . انه عمل جماعي في حقيقته فيه تتحد جميع شعوب الارض وترتبط معاً برباط واحد اذ ان الشرور التي نواجهها تهم جميع ابناء الانسانية وتؤثر على علاقاتنا بالله ايضاً .

كثيراً ما نخطيء في وضعنا اللوم كله على الانظمة التي لا ضمانه فيها او في مخاوفنا ومشاكلنا المعقدة او على شخص معين او على امة خاصة او نظام معين . فرجل متزوج قد يظن بأن مرجع فشله وخيبة آماله في الحياة جميعها تعود الى زواجه الخاطيء من امرأة غير موافقة له ولا منسجمة معه . وكأمة قد نضع كل اللوم على الشيوعية العالمية وكثيراً

ما نقول في انفسنا: لو اننا نتخلص من التهديد الشيوعي المنبثق عن الاتحاد السوفياتي والدول التي تدور في فلك روسيا لكننا ننعم بعصر ذهبي من السعادة والهناء والرخاء ، وفي ذات الحين يضع السوفيات كل اللوم على الاقطاعية والبورجوازية في الداخل وعلى الانظمة الرأسمالية في الخارج .

اما الكتاب المقدس فلا يلجأ الى مثل هذه النظريات التهريية . فحينما كان العبرانيون يتعرضون لتهديدات الشعوب المحيطة بهم كان الانبياء يحذرونهم ويشيرون الى ان الخطر الشديد لم يكن الا في حياتهم الداخلية اولاً ثم في ما كان يحيط بهم من عوامل العداء التي كانوا هم سببها . وحينما كان الرسول بولس يناضل متحملاً الرجم والجلد والافتراء وشهود الزور كان اسهل عليه ان يعزو ذلك الى اعدائه ويضع كامل اللوم على قساوة قلوبهم ، ولكنه يقول مصرحاً : فاننا نعلم ان كل الخليقة تئن وتتمخض معاً الى الآن (رو ٨ : ٢٢) ، فهو نفسه يشاطر بالآلام الكونية وبالجهاد الذي يشمل جميع البشر ، وهذا الجهاد العظيم انما هو صراع ادبي وحرب روحية يصفها الرسول بريشة المجاز بقوله :

اذاً اجد الناموس لي حينما اريد ان افعل الحسنى ان الشر حاضر عندي فاني اسمر بناموس الله بحسب الانسان الباطن ، ولكنني ارى ناموساً آخر في اعضائي يحارب ناموس ذهني ويسيني الى ناموس الخطيئة الكائن في اعضائي . ويحي انا الانسان الشقي . من ينقذني من جسد هذا الموت (رو ٧ : ٢١ - ٢٤) .

### ٣ - مواجهة الموت

ان جيلنا الحاضر يعرف اكثر من اي جيل آخر مضي الاخطار



الناجاة عن كبت مشاعرنا القوية ومحاولة اخفائها عن انفسنا . وكثيراً ما نسمع بأن اخطر مشاعرنا تنحصر في كبت الغرائز الجنسية بصورة غير صحية وفي الخوف من الموت . واعتماداً على ما تعلمناه في البحوث علم النفس نحاول ان نتحدث عن العلاقات الجنسية وان تتغنى بها ونكتب عنها ونمثل بعض مظاهر فصولها حتى لا نكاد نخفل بأي شيء غيرها ، ولكن لماذا اصبحنا نججم عن ذكر الموت كما كان يفعل اسلافنا من قبل؟ ومتى حدث حاولنا اخفاء حقيقته طالين ممن يتولون دفن موتانا ان يخفوا منظر الجثمان ما امكن وكثيراً ما نريد ان نقلل الكلام عن الموت حتى من على المنابر . وربما يذكر البعض اننا كنا نلحق في الصغر مثل هذه الصلاة :

هانذا اضع نفسي بين يديك في النوم  
متضرعاً اليك يا الهي لتحفظني وتحفظ نفسي  
واذا مت قبل النهوض اتضرع اليك  
ان تتسلم الوديعة التي اعطيتني اياها .

وفيما بعد اذ تطورت المصطلحات الكلامية وأصبح من العسير على الأولاد ان يدركوا المعنى المقصود بالنفس تحورت العبارة وتغيرت كلمة نفس الى ابن . على ان الكثيرين قد احدثوا تغييراً جذرياً في هذه الصلاة فقالوا :

هانذا اضع نفسي بين يديك في النوم  
متضرعاً اليك بأن تحفظني انا ولدك  
دع محبتك تشملني طيلة الليل  
وانهضي مع نور الفجر .

و كأنَّ ضعف الحياة وعدم التأكد منها والركون اليها يمكن ان تخفى  
حتى عن الصغار . و كأن كبت الخوف قد اصبح اصلح من مقابلته  
والتغلب عليه .

وليس الاولاد فقط يلتقون هذا الدرس في عدم خشية الموت  
فكثيرون من المؤمنين يتلون مثل هذه الصلاة حول المائدة منذ اجيال  
بعيدة :

كن حاضراً على هذه المائدة ايها الرب  
و كن هنا وفي كل مكان آخر موضوع عبادة  
وبارك هذه البركات ، وامنحنا ان نجلس معك  
حول مائدتك السماوية .

وبعضهم يرغم المقطع الاخير على الصورة التالية :  
وبارك هذه البركات ، وامنحنا وليمة الشركة معك .

وهكذا نرى بأن الوليمة محولة من السماء الى الارض وربما كانت تعني  
في عقول الكثيرين تناول الطعام الموضوع على المائدة وليس التمتع ببركة  
حضور الله معهم . ومع ذلك فالتناس قد منعوا من تركيز انتباههم بحقيقة  
خلود الحياة كما يظهر وهو الهدف الذي يلفت اعتباراتهم اكثر من اي  
شيء سواه .

ان اكثر الاطباء يفترضون كما يظهر بأن الناس لا يقدررون على  
مواجهة حقيقة موتهم . فحينما تدنو ساعة القدر يجد المحتضر نفسه في شبه

مؤامرة سرية وخداع وسكوت تحرمه من جلال تلك الساعة الرهيبة التي يواجهها وكان من حقه ان ينعم ببركاتنا .

اما الكتاب المقدس فأكثر صواباً في ناحية التفكير هذه اذ فيه نرى النظرة الشاملة للحياة بكاملها بما فيها من خير وشر ومن بهجة وغم ومن ولادة وموت .

ولا يجوز لنا الافتراض بأن الكتاب المقدس قلقي من جهة الحياة بعد الموت ومنصرف الى هذا الموضوع . فالدين في عرف الشيعيين المستهزئين انما هو توجيه الفكر نحو وهمية الحياة التي لا مكان لها سوى في عقلية مريضة ، يساعدهم بعض المسيحيين على تجسيد هذه النظرة التهكمية التي تنظر بها الشيوعية الى الدين . وبالمقارنة نجد ان معظم كتاب اسفار العهد القديم لا يعلمون بوضوح عن الحياة بعد الموت . حتى حيثما يظهر مثل هذا التعليم غالباً لا ينظر المرء الى هذه الحياة بشوق ولهفة . ان العهد الجديد يؤكد لنا حقيقة الحياة بعد الموت ولكنه لا يهتم بها ولا ينصرف اليها بالكلية .

منذ عدد من السنين قام شارل همبر وهو في الصف المنتهي في كلية اللاهوت بدراسة عميقة للعهد الجديد ليجد عدد المرات التي يذكر فيها الموضوعات الخاصة بالحياة الحاضرة وتلك التي تشير الى الحياة العتيدة . وكانت تربيته البيتية توهم عليه بان ذكر الامور الخاصة بالحياة الثانية متغلب على ذكر الحياة الحاضرة فوجد عكس ما كان يعتقد . وجد ان ٦٣ بالمئة من العهد الجديد يعنى بامور الحياة الحاضرة ، وفوق ذلك بين الحوادث الاخرى التي حسبها مهتمة بالحياة الثانية وجد بأن ما يلفت النظر والانتباه اكثر من كل شيء آخر هو العالم الحاضر وغير المنظور .

وبما ان كامل العهد القديم تقريباً يعنى بأمور الحياة الحاضرة والعهد الجديد كذلك لا يمكن ان تثبت التهمة الموجهة الى الكتاب المقدس بأنه يعتمد الى ذكر الموت للتهويل وتخويف الناس للدخول الى السماء . ان ما ورد ذكره لم يكن سوى تعبير عن اختبارات حقيقية بديهيّة . ثم ان هنالك غاية اخرى وهي تسيير الانسان بكل امكاناته ومحدوداته بعلاقاته الصحيحة مع الاله السرمدى ، وهكذا يصرح :

كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل .

يبس العشب ذبل الزهر لان نفخة الرب هبت عليه .

حقاً الشعب عشب ، يبس العشب ذبل الزهر

واما كلمة الهنا فتثبت الى الابد ( اش ٤٠ : ٦ - ٨ ) .

على ان اكثر ما يؤتى على ذكر الموت في اسفار العهد القديم في سير الحياة الموقعة ابتداء من الولادة فالزواج فولادة البنين والبنات . ان ذكر التسلسل العائلي في سفر التكوين والاخبار يقدم لنا افضل مثال على ذلك .

لنقابل معاً المؤامرات السرية التي تمثل اليوم حول انسان محتضر بقصة موت يعقوب التي ورد ذكرها في ( تك ٤٨ و ٤٩ : ٢٨ - ٣٣ ) ، نجد الفارق العظيم . فهنا نجد الرجل المحتضر يخبر افراد أسرته المجتمعين حول سريره بأنه منضم الى قومه ثم يمنح بركته لكل بمفرده ويوصي باتخاذ الترتيبات اللازمة للدفن وبعد ذلك يسلم الروح . ان بساطة الرواية واستقامة حوادثها تضيف اعتباراً مثيراً للعواطف وتصلح ان تكون خاتمة صالحة لحياة الانسان .

ولكن قد يأتي الموت احياناً بصورة فاجعة مرعبة وعلى غير موعد  
فيتحدث عنه كتاب الاسفار بخوف لا مزيد عليه وقد يكون بكثير من  
الصراحة والصدق فيكتب احد ناظمي المزامير :

يمخض قلبي في داخلي واهوال الموت سقطت عليّ

خوف ورعدة اتيا عليّ وغشيني رعب ( مز ٥٥ : ٤ - ٥ ) .

ومع ذلك فهذا الناظم وان كانت كتابته على مستوى دون المثالي  
يضع اخيراً كل رجائه وثقته بالله ويختم ترنيمته بهذه العبارة : اما انا  
فأتكل عليك .

#### ٤ - الشر الأساسي

أكثر من شر الموت وجميع انواع الشر في الوجود يجد الكتاب  
المقدس محاولة الانسان تفهم ذاتيته ووجوده بعيداً عن الله وبدون الله .  
وأصحاب المزامير يجدون الجواب للموت المحدث بنا لا في كلمة او عبارة  
جديدة تنسب اليهم ولكن بالله . ولنتذكر ان ايوب وجد جواباً لحسارته  
الجسيمة وآلامه المريرة ليس في تفسير جديد للنكبة التي حلت به ولكن  
في الله نفسه . ومن المحزن حقاً ان اكثرنا يفعلون هذا التحول من  
التمركز بالله الى التمرکز بالذات لذا نبقي تائبين ومحتارين ومحزونين  
ومذعورين ومشككين في الغير من افراد وأمم كما نبقي منقسمين على  
ذواتنا . وبكلام مختصر نصبح ضائعين وتائبين وشاردين وبأمس الحاجة  
للخلاص .

ان الشرور المحيطة بنا اكثر مما نقدر ان نتحملة . وهي لم تكن من



صنع يدها وان كنا ساهمنا بها الى حد كبير بمحبتنا وطيشنا وخطيتنا .  
ان هذه الشرور متشابكة بحياة الجنس البشري قاطبة ولسنا قادرين على  
المساهمة في مشايعة البشر وتعصهم وجورهم الاجتماعي وحروبهم . لاننا  
نعتمد على المجتمع البشري في حياتنا الاقتصادية وفي لغتنا ونوع تفكيرنا  
والنوافذ التي منها نطل على العالم . حتى اننا ندرك ذواتنا كما هي عن  
طريق مساهمتنا في العلاقات الاجتماعية . ومع ذلك فبواسطة هذه المساهمة  
تتورط في شرور المجتمع كلها وفي ذات الوقت يبقى مقدار تورطنا هذا  
متوقفاً على مدى اختيارنا ولسنا قادرين على التخلص من المسؤولية .  
و كنتيجة لهذا تراءنا دوماً عرضة لتصدي ثقل الاجرام والغموض والابهام  
ومع ذلك لا حيلة لنا ولا ارادة قوية لمحاولة ازالتها . ونحن محدودون من  
جهة حكمتنا ومقيدون بمدى من السنين غير معين بينا المشاكل لا نهاية  
لها . حتى ان افضل جهودنا كثيراً ما تنقلب الى شر فيما تندفع الحياة  
بدون رفق ولا لين نحو المصير الاخير الذي لا نستطيع ادراك ما خلفه .

وما ندعوه بالفوضى المستولية علينا ليست كما نحسبها احياناً نتيجة  
عمل محدد بالمكان والزمان . ان لها ابعاداً كونية . فاذا كنا حكماء  
نلتفت الى ابعاد من ذواتنا للحصول على الخلاص . واذا توقعنا مساعدة  
ما ينبغي ان تأتي من الله الذي هو مصدر وجودنا ووجود هذا الكون  
الذي نعيش فيه . واذا لم تتوفر لنا المساعدة من هذه الناحية فلقد اصبحنا  
حقيقة ضائعين . ولكن اذا كان الله معنا فمن علينا ( رو ٨ : ٣١ ) .



## الجزء الثاني

٥

### رحلة الاكتشاف

#### ١ - العطش الى الله

كل شيء في الارض الصحراوية القاحلة من بلاد مصر وغربي آسيا يتوقف على الماء . فحيثما وجد جدول او بئر صالح او نبع عذب ترى كل شيء جميلاً مخضوضراً . وبعكس تلك المناطق نجد ان كل شيء آخر عبارة عن اودية جرداء وسهول قفراء تسف فوقها رياح كدراء تحمل معها الغبار والرمال وتنقلها من مكان الى مكان . فاذا ما ضلت قافلة عن الواحة او وجدت البئر ناضباً من الماء فذلك قد يعني الموت الزؤام . ان جميع سكان تلك المناطق يدركون معنى التعرض للعطش ولا ينحصر ذلك بالناس بل ان جميع المخلوقات الحية تحتاج الى الماء وتشتاق للورود اليه لتبريد غليلها .

وعلى ضوء مثل هذه البيئة يستطيع المرء ان يجذب معنى الفقرة الواردة في المزمور الثاني والاربعين واستهلاها بالعبارات التالية :

كما يشاق الإيل الى جداول المياه هكذا تشاق نفسي اليك يا الله .  
عطشت نفسي الى الإله الحي . متى اجيء واتراءى قدام الله . .

ان هذا الاشتياق العميق الى الله ينبعث من حالات متنوعة في بلاد  
تكون فيها الحياة خشنة وقاسية . والى هذا الاشتياق تذهب كل رغباتنا  
الشديدة . لان المعتقد بالله انه يستطيع ان يقضي كل حاجة بشرية  
ويشبع كل سغب حقيقي . وبمثل هذا الادراك يصرخ المرنم قائلاً : -

من لي في السماء . ومعك لا اريد شيئاً في الارض . قد فني لحمي وقلبي .  
صخرة قلبي ونصبي الله الى الدهر . ( مز ٧٣ : ٢٥ - ٢٦ ) .

وفوق كل جمال يرتفع جمال الله الذي صنع كل جميل في الارض  
وفي السموات ووضع في اعماق نفس الانسان محبة الجمال . لذلك :

واحدة سألت من الرب واياها التمس . ان اسكن في بيت الرب  
كل ايام حياتي لكي انظر الى جمال الرب واتفرس في هيكله (مز ٢٧ : ٤) .

وفوق كل قدرة تأتي قدرة الله وليس من قدرة بشرية تضاهيها .  
فيكتب احد المرنمين وهو في خطر من اعدائه المستترين قائلاً :

انما الله انتظري يا نفسي لان من قبله رجائي .

انما هو صخرتي وخلصي ملجأى فلا اتزعزع .

على الله خلاصي ومجدي صخرة قوتي محتاي في الله ( مز ٦٢ :  
٥ - ٧ ) .

كما يشاق الإيل الى جداول المياه هكذا تشاق نفسي اليك يا الله .  
عطشت نفسي الى الله الى الاله الحي . متى اجيء وأترأى قدام الله .

ان هذا الاشتياق العميق الى الله ينبعث من حالات متنوعة في بلاد  
تكون فيها الحياة خشنة وقاسية . والى هذا الاشتياق تذهب كل رغباتنا  
الشديدة . لان المعتقد بالله هو انه يستطيع قضاء كل حاجة بشرية  
واسباع كل سغب حقيقي . وبمثل هذا الادراك يصرخ المرئم قائلاً :

من لي في السماء . ومعك لا اريد شيئاً في الارض . قد فني لحي  
وقلبي . صخرة قلبي ونصبي الله الى الدهر . ( مز ٧٣ : ٢٥ - ٢٦ ) .

وفوق كل جمال يرتفع جمال الله الذي صنع كل جميل في الارض  
وفي السموات ووضع في اعماق نفس الانسان محبة الجمال . لذلك :

واحدة سألت من الرب واياها التمس . ان اسكن في بيت الرب كل  
ايام حياتي لكي انظر الى جمال الرب وانقرس في هيكله ( مز ٢٧ : ٤ ) .  
وفوق كل قدرة تأتي قدرة الله وليس من قدرة بشرية تضاهيها .  
فيكتب احد المرئمين وهو في خطر من اعدائه المستورين قائلاً :

انما الله انتظري يا نفسي لان من قبله رجائي .

انما هو صخري وخلاصي ملجائي فلا اترزع .

على الله خلاصي ومجدي صخرة قوتي محتاي في الله ( مز ٧٢ : ٦-٧ )

فاذا ما نظرنا الى كامل العهد القديم من زاوية خاصة يظهر وكأنه  
قصة تفتيش شعب خاص عن الله . فالعبودية في ارض مصر والته في  
البرية والآلام والاضطرابات التي سببتها الحروب الدامية في ارض الميعاد

والاسر والتشتت — كل هذه لم تكن سوى رموز خارجية للعبودية الداخلية وللورطة التي وقعوا فيها بسبب ابتعادهم عن الله مصدر الحيات والبركات والتي لا خلاص منها الا بالعودة اليه .

على ان الشعب كان يتوق الى الله لانه هو نفسه تاق اليهم واحبهم اولاً . وقد اعتبروا اضطراباتهم الخارجية التي كانت تتناهم رمزاً لحاجتهم الى الله ذلك لان الله اختارهم اولاً ودعاهم لسماح صوته وقبول دعوة معينة . لذلك كان العهد القديم عبارة عن تاريخ دعوة الله للشعب العبراني واعلان ارادته واحكامه لهم ومن ثم للعالم بواسطتهم .

## ٢ - العهد القديم

ان المعنى الحقيقي لما ندعوه بالعهد القديم في التاريخ القديم والحديث « ارتباط قديم » ولا يعني العهد الاخير او الوصية الاخيرة بل يعني اتفاقاً خطيراً .

ان معظم علماء الكتاب يعتقدون بان العبرانيين بدأوا يشعرون بانهم مرتبطون بعهد مع الله في وقت تحررهم من عبودية المصريين بقيادة زعيمهم موسى . وبحسب ما ورد ( خر ٦: ٢-٣ ) لم يعلن الله اسمه لهم حتى ذلك التاريخ . واعتبر العبرانيون نجاتهم من العبودية المصرية عملاً خارقاً وآية من آيات الله العظمى . على ان المرء يستطيع ان يحيك تلك الحوادث التاريخية التي كانت سبباً للتحويل في حياة ذلك الشعب بحسب النصوص التي تعود الى مؤرخين مختلفين . اما للشعب العبراني نفسه فقد ظهرت تلك الاحداث خارقة وذات مغزى ولا يمكن حدودها



صدقة . وقد اتضح لهم بان الله اختارهم ليكونوا شعبه الخاص . وبحسب تعاليم قائدهم العظيم موسى دعا الله ذلك اللّيف من العبيد (خر ١٢: ٣٨) ليكونوا شعبه الصالح وهم بدورهم استجابوا لدعوته . وقد تحدت شروط الاتفاقية بصورة رسمية وبشكل مستفيض في جبل سيناء . والكتاب المتأخرون رأوا يد الله المعنوية ليس في تخلصهم من عبودية الفراعنة فحسب ولا في سفرهم الطويل عبر الصحراء الذي انتهى بهم الى الارض المقدسة ولكن في تهيئة الشعب قبل ايام موسى بازمان طويلة . لذلك فسروا شروط العهد بينهم وبين الله ونسبوا جذورها الى البطارقة الاجداد من يوسف الى أب الآباء ابراهيم . حقاً ان فكرة العهد مع الله انعكست الى الوراثة حتى شملت علاقة الله بنوح ( تك ٦: ١٨ ) وقد تعتبر شاملة الوصية التي اعطاها الله لآدم ( تك ٢ : ١٥ - ١٧ ) وهكذا فان كامل الحياة البشرية قد وضعت في اطار عهد بين الله وبين الانسان .

وبموجب شروط ذلك العهد المقطوع اختار الله العبرانيين ليكونوا شعبه فيقودهم ويرشدهم ويحفظهم وينصهم الخيرات والبركات في السلم وفي الحرب . واما هم فكان عليهم ان يبنذوا جميع الآلهة الاخرى وان يعبدوا الله وحده ويطيعوه ويحفظوا وصاياه وبالأخص تلك الوصايا العشر التي حفرت على لوحين من الحجر على جبل سيناء .

ولما وصل موسى والشعب الى جبل سيناء في الشهر الثالث بعد خروجهم من ارض مصر (خر ١٩ : ١) قال الله لموسى :

هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني اسرائيل . انتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وانا حملتكم على اجنحة النسور وجئت بكم اليّ . فالآن ان سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب . فان

لي كل الارض . وانتم تكونون لي مملكة كهنة وامة مقدسة (خر ١٩ : ٣ - ٦) .

ولما وضع موسى هذه الكلمات قدام شيوخ الشعب اجاب جميع الشعب معاً وقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل (خر ١٩ : ٨) . عند ذاك تسلم موسى الوصايا العشر وغيرها من الاحكام وقدمها للشعب فقبلوها وتعهدوا باطاعتها (خر ٢٠ - ٢٤ : ٣) . فكتب موسى جميع اقوال الرب وبكر في الصباح وبنى مذبحاً في اسفل الجبل وذبح ذبائح سلامة للرب من الثيران .

فاخذ موسى نصف الدم ووضع في الطسوس ونصف الدم رشه على المذبح . واخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب . فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له . واخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الاقوال (خر ٢٤ : ٦ - ٨) .

نلاحظ ان رمز الاتفاقية قد ختم بالدم وان نصف الدم قد رش على المذبح الذي يمثل الله فريقاً اولاً في العهد والنصف الآخر قد رش على الشعب الذي يمثل الفريق الثاني في ذلك العهد المقطوع .

ومن ذلك الحين اصبحت جميع تعاليم الانبياء وطقوس الكهنة وتفسير تاريخ الامة وناموسها واغاني شعرائها تدور حول هذا العهد بين الله وبينهم . وقد تجدد العهد مرة بعد مرة في احتفالات شعبية عامة وصار فعلاً كل جيل من الاجيال الطالعة ملزماً به . وبهذا العهد اعتبر كل شيء في حياة الامة كأنه مرتبط بالله . وبما ان كل الامة كانت مرتبطة بالله فكل ما فعلته اقتضى ان يكون بحسب الناموس المقدس .

وأصبحت جميع الاحداث المتعلقة بتاريخ الامة تفسر على ضوء هذه العلاقة بينهم وبين الله . ولم يكن الكتاب العبران مهتمين بالتفسير العلمية او الواقعية لتاريخ امتهم فالحوادث التي دونوها كانوا يروونها ويكررون روايتها عبر الاجيال ملونة بهذه الاعتبار حتى ان بعضها كان يجتاز كثيراً من التغير والتحوير والمبالغة ليأتي مطابقاً لأهوائهم القومية وليحصلوا على التعاليم المؤثرة والموجهة للجيل . وكانت الرابطة بين الايمان والتاريخ مؤتلفة ومخلصة للغاية . فالتاريخ كما كانوا يسردون حوادثه كان محرراً ومثيراً وموجهاً للايمان . ومن جهة ثانية كان الايمان يفسر التاريخ ويلونه بما يتفق وأما في الأمة . فتاريخ العبرانيين اذاً ككل شيء آخر كان اقل رتبة من الايمان بالعهد الذي كان يربطهم مع الله .

ان لهذه العقيدة في قطع عهد بين الله وبين تلك الامة شيئاً من التناقض مع فهمنا لمعنى العدالة العام . فنسأل متعجبين : هل صحيح ان الله يظهر محاباة ويختار شعباً معيناً لا لفضيلة خاصة بهم بل ليغدق عليهم محبته الخاصة واحساناته .

فاذا كنا نحن ( الامريكيين ) ذوي نزاهة وغير منحازين الى كبرياتنا وعنجهيتنا ينبغي ان نكون في موقف يساعدنا على تفهم وتحييد التعاليم العبرية . اننا كثيراً ما ندعي بان بلادنا هي بلاد الله عالمين انه قد حباها وفرة من الموارد الغنية مع وسائل دفاع طبيعية وازدهار عزّ نظيره في اي بلد آخر تحت الشمس . ان ملايين الشبان والشابات ينعمون في هذه البلاد بامتيازات قلما يحصل عليها غيرهم في مكان آخر . فلماذا ولدوا هنا ؟ وهل كان مجيء اسلافنا الى هذه البلاد بسبب ميزة خاصة فيهم ؟ لقد كان بعضهم من ذوي المؤهلات الشخصية بدون شك كما كانوا ذوي طهارة ونقاوة

وجدان وذوي طموح . غير ان بعضهم كانوا من ذوي الاجرام او من العبيد وكانوا قد ابعدوا الى هنا قسراً كما كان غيرهم حائقين او ساخطين وغير منسجمين مع البيئة الاجتماعية الجديدة . واذا كنا صادقين علينا ان نعترف باننا شابهنا العبرانيين القدماء بان اصبحنا ورثة لمثل هذا الامتياز بفضل مجموعة من الفرص التي سنحت لاجدادنا وقبولهم تلك الفرص واغتنامهم اياها على اكمل وجه .

والآن اذا نحن تبيننا ايمان العبرانيين بان الله يحكم على اعمال الارض افلا ينبغي ان نقر بأن الله حباناً اكثر جداً مما نستحق ؟

هل من الاجحاف ان يميز الله شعباً على آخر ؟ فان كان ذلك اجحافاً او عدلاً اليس من المسلم به بأن لا الافراد ولا الامم موهوبون بالتساوي وذوو كفاءات متعادلة ؟

فقبل ان نتمق في بحث مشكلة معقدة كهذه علينا ان نسأل عن الغاية التي من اجلها يمنح الله امتيازاته للبعض ويحرمها للبعض الآخر ؟ هل يختار الله امة لمجرد صلاح فيها او لمجرد اغداقها بالبهجة والبركة والخير ؟ ام لمسؤولية خطيرة وشريفة ؟ هل هو امتياز ام عبء ثقل يعسر حمله ان يقع اختيار الله علينا ؟ ام هو من الامرين بنسبة معينة ؟

هذه بعض الاسئلة التي سألها العبرانيون انفسهم وكان عليهم ان يصارعوا ضدها . وكانت التجربة قوية عليهم والميل الى العجرفة والكبرياء يدفعهم للتفكير بانفسهم انهم افضل من باقي الشعوب وانهم متجاوزون على احسانات الله . وكان على الانبياء ان يجاهدوا مرة بعد الاخرى ليعضوا العهد المقطوع بين الله والشعب في نصابه الخاص ويظهروا معناه الحقيقي .

### ٣ - الانبياء

كان النبي عاموس اول من دان شعبه لتعديهم على حقوق الله ونقضهم العهد الذي قطعه معهم . وكان الناس يتكلمون بشوق وشغف عن اليوم العظيم المنتظر حين يظهر الله لجميع شعوب الارض احسانه للعبرانيين وحظوتهم عنده ولكنهم كانوا قد ارتكبوا جميع انواع الشر والظلم والتعدي على احكام الله . لمثل هؤلاء يقول النبي عاموس :

ويل للذين يشتهون يوم الرب

لماذا لكم يوم الرب . هو ظلام لا نور ( عا ٥ : ١٨ ) .

ان مجرد اختيار الله الامة العبرية ليكونوا شعبه الخاص لا يعني انه يسمح لهم باتباع اهوائهم وانه يتغاضى عن آثامهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويتروكهم بدون قصاص . ان الامر عكس ذلك . فبا ان الله اختارهم وحررهم من عبودية المصريين واخرجهم من ارض مصر بانتصار على اعدائهم وبمنحهم النبوة ( عا ٢ : ٩ - ١١ ) لذلك كان يترتب عليهم القيام بمسؤوليات اكثر . ولان الله ارتبط مع العبرانيين بعهد مقدس كان لا مسوغ لتعديهم ولا عذر مقبول لهم .. فيقول :

اسمعوا هذا القول الذي تكلم به الرب عليكم يا بني اسرائيل ، على كل القبيلة التي اصعدتها من ارض مصر قائلاً : اياكم فقط عرفت من جميع قبائل الارض لذلك اعاقبكم على جميع ذنوبكم ( عا ٣ : ١ - ٢ ) .

كذلك كان على يسوع ان يسلم باختلاف المواهب الشخصية والوزنات المتفاوتة فيقول : فكل من اعطي كثيراً يطلب منه كثير ومن يودعونه



كثيراً يطالبونه بأكثر (لو ١٢ : ٤٨) . ان هذه هي القاعدة المسوية للعدالة حيناً تمنح المواهب الخاصة للأفراد وللجماعات .

وبحسب رأي عاموس اذا رغب الشعب بأن يخلصوا من القصاص المريع الذي كان ينتظرهم توجب عليهم ان يقلعوا عن نجاستهم وشراهم وترفعهم وفوق كل شيء ان يتوقفوا عن استغلالهم الفقراء . فالله يطلب منهم بأن يجرؤوا العدل ويجبوا الرحمة ويعيشوا بالطاعة الصالحة ، ولا شيء آخر يستطيع ان ينجيهم . والظاهر انهم لم يصغوا الى صوت ذلك النذير فكان هلاكهم محققاً .

على ان ثمة فرصة لنجاة البقية القليلة الذين يودون الخلاص فيغيرون طرقهم . لذلك يتوسل اليهم :

اطلبوا الخير لا الشر لكي تحيوا . فعلى هذا يكون الرب اله الجنود معكم كما قلت . ابغضوا الشر وأحبوا الخير وثبتوا الحق في الباب لعل الرب اله الجنود يتأف على بقية يوسف (عا ٥ : ١٤ و ١٥) .

وكان احد الاسباب التي حملت الشعب على عدم الاصغاء لكلام عاموس ازدهار بلادهم الاقتصادي في تلك الحقبة فلم يبالوا كثيراً بالانذار . على انه لم تمض بضع سنوات حتى تعثرت البلاد في دوامة من القلق والاضطراب تحت نفوذ سلسلة من الملوك الضعفاء الذين تناوبوا على الحكم كما اصبحت تهديدات الامم القوية حولهم خطرة تنذر بقرب وقوع الفاجعة . في تلك الاحوال العvisية تنبأ هوشع النبي مقدماً بعض انذاراته للشعب ولكنه نظير عاموس بنى تعاليمه على قواعد مقاصد الله الخالدة حتى ان تلك التعاليم بالذات كانت صالحة بمجد ذاتها لجميع مختلف الاحوال صالحها وورديتها وفي جميع الاوقات ماضيا ومستقبلا .

وكعاموس هاجم النبي هوشع الظلم والطغيان والذهاب وراء عبادة الاصنام والانهاك في الشهوات والملذات . ولكنه زاد عنه انه توغل في تحري وجهة نظر الناس وتحليل مواقفهم العقلية غير مكتف باعمالهم الظاهرية . وكان سبب اضطرابهم انهم طلبوا الضمانة في قوتهم الخاصة بدلاً من قوة الله . وعوضاً عن ان يفتخروا بكونهم شعباً اميناً لله ارادوا ان يتمثلوا بالشعوب الاخرى فيقيمون عليهم ملوكاً عظماء يقودونهم في المعارك والحروب التي كان عليهم ان يخوضوها .

وكانت رسالة هوشع مبتكرة في تشديدها على محبة الله التي لا تسقط والتي وجدت وراء اقصى العقوبات التي كان يوجهها اليهم . لذلك توجب على الأمة ان تكون متأكدة من الخلاص لو عادت فرجعت الى الله بالتوبة . ولكن اذا كان الخلاص بالله بسبب تلك الثقة فيجب ان تنحصر فيه وحده وليس في ايجاد الملك وابهة السلاطين الذين كانوا يحاولون ان يلعبوا دور التحرش بين مصر واشور لانه لا يعترف بسوى اولئك الذين يضعون كل ثقتهم به . فهو الذي صرح :

وانا الرب الهك من ارض مصر . والهاً سواي لست تعرف ولا تخلص غيري ( هو ١٣ : ٤ ) .

وكان اشعيا فتى معاصراً لعاموس ومواطناً في مملكة يهوذا وهي المملكة الجنوبية بعد انقسام البلاد الى مملكتين — شمالية وجنوبية . على انه وان تنبأ عاموس في المملكة الشمالية الا ان اشعيا بقي في يهوذا ولم يبرحها ولم يكن راعياً كعاموس ايضاً ولكنه كان من الاشراف في موطنه — اورشليم . وربما كانت نبؤة عاموس لمدة قصيرة ايضاً بينما امتدت رسالة اشعيا من تاريخ دعوتـه سنة ٧٤٢ وهو تاريخ وفاة عزيا الملك

( اش ٦ : ١ ) الى سقوط المملكة الشمالية سنة ٧٢١ وربما الى مدة  
اطول من ذلك فيما بعد .

ضمّن اشعيا رسالته شجب الجور والظلم والانغماس في الملذات كما  
شجبها زميلاه عاموس وهوشع . كذلك يتفق مع هوشع بتعليمه عن  
مجيء يوم الرب العظيم ولكن غضب الله لا ينبغي ان يفسر كأنه علامة  
لنسيان الرب شعبه . انه ما زال يحبهم ويهدف بان يخلص الامة بتخليصه  
البقية الامينة له .

وهناك تعاليم اخرى للنبي اشعيا تمنح كتابته قيمة وسمواً تفوق كل  
اعتبارات زمنية . فلقد سبق فعرفنا كيف يصف اشعيا قداسة الله الجالس  
على كرسي عال . ولهذا الاله العظيم مقاصد شاملة وعامة لجميع امم  
الارض ذاك الذي مقاصده منذ القديم امانة وصدق ( اش ٢٥ : ١ ) .  
وهو سيستخدم قوة مملكة اشور الشريرة عصا تأديب ليهودا ثم يعود  
فيعاقب اشور بدورها .

هذا هو القضاء المقضي به على كل الارض وهذه هي اليد الممدودة  
على كل الامم فمن يردّها ( اش ١٤ : ٢٦ - ٢٧ ) .

هنا نجد برهاناً قاطعاً لوجود اله واحد يحكم جميع ما في الكون وهو  
كائن شخصي وله مقاصد ازلية . حقاً ان اشعيا يبني فلسفة تاريخ البشر  
على عقيدة وجود اله ويمنحها صفة كونية فكل قوات الشمس والقمر  
والنجوم وملوك الارض ينبغي ان يتضعوا ويمجدوا رب الجنود لانه ملك  
في جبل صهيون وفي اورشليم ( اش ٢٤ : ٢١ - ٢٣ ) .

اما البقية التي منها يختار الله شعبه الجديد فلم تكن في عرف اشعيا

بقية مجهولة ستكتشف في المستقبل ، انما تدعى حتى في ذلك التاريخ لتفرز  
عن المداخلات السياسية وعن خطية الامة ككل كما دعي اشعيا لكي  
يشكل زمرة من التلاميذ الأمناء في الحال وهو يستجيب الدعوة مباشرة  
( اش ٨ : ١١ - ١٧ ) . ان فكرة البقية الامينة المجتمعة من الشعب  
ليست سوى شركة الكنيسة المختارة كما نظر اليها في العهد القديم وطبقت  
عملياً في الجديد .

ثم اننا مدينون لاشعيا باعلان فكرة المسيح المنتظر . فيقول انه  
سيولد لنا ولد ونعطى ابناً وسيدعى اسمه عمانوئيل الذي تفسيره « الله  
معنا » ( اش ٧ : ١٣ - ١٥ ) .

وقبل ان يكبر ويعرف ان يرفض الشر ويختار الخير نحلي الارض  
من ملكيها ( اش ٧ : ١٦ ) هما ملك اسرائيل وملك سورية فتأتي  
اشور وتخرب ارض يهوذا . على انه سيكون هناك ولد عجيب ، وربما  
كان ذاك الذي ورد ذكره في الاصحاح السابع - من نسل داود الملك ،  
والذي لن يكون كملوك يهوذا المعاصرين بل سيكون خادماً أميناً في  
ملكه ينتفي الظلم وتبطل الحروب ويعم السلام والوئام وتتركز دعائم  
ملكوت مثالي على الارض :

لانه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه  
عجيباً مشيراً الهاً قديراً أباً ابدياً رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا  
نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من  
الآن الى الأبد ( اش ٩ : ٦ - ٧ ) .

ان اي مسيحي قرأ هذه العبارة لا يستطيع الا ان يفكر بيسوع  
المسيح الذي طبقت فيه . وكان لمثل هذه النبوءات ، كما سنرى فيما بعد ،

شان كبير في مجيء يسوع المسيح التاريخي . على ان اشياء ومن قرأ كتابته في ايامه انما كانوا يفكرون بملك ارضي من نسل داود يملك في اورشليم . في هذا الرجاء صب اشياء جميع اشواق شعبه واضعاً فيه كل آمالهم وأغلى امانيتهم . ان ظهور مثل هذا الملك سيضع حداً للمؤامرات السرية بينهم وبين الامم الوثنية حولهم ويرفض كل مصالحه مع عبادة الاصنام ومع عدم الولاء لله . ان ملك هذا الملك الجديد ستصعبه حياة جديدة من العدالة والقداسة والسلام وكلها عائدة لتطبيق العهد المقطوع بينهم وبين يهوده والى المكاسب العظيمة التي يضمنها لهم ذلك العهد .

اما ميخا وهو قروي من مملكة يهوذا فبشر في الوقت الذي تنبأ فيه اشياء وبعده بقليل . كذلك حذر الامة من استغلال الضعفاء ونبتة الى القصص الخيف الذي سيأتي سريعاً . وباحتقار كلي انحى باللائمة على الانبياء الكذبة الذين كانوا يتملقون الشعب ويداهنون اولئك الحكام الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم - رؤساء يقضون بالرشوة وكهنتها يعلمون بالاجرة وأنبياءها يعرفون بالفضة وهم يتوكلون على الرب قائلين : اليس الرب في وسطنا . لا يأتي علينا شر ( في ٣ : ٩ و ١١ ) .

لا بد ان يلحظ القارئ ذلك الفصل العظيم في ( مي ٤ : ١ - ٣ ) . فهو يكاد يكون نسخة طبق الاصل للفصل الوارد في ( اش ٢ : ٢ - ٤ ) . فمن كتب هذه الفقرة اولاً ياترى ؟ لسنا ندري لان الكتاب الاولين لم يستخدموا الاشارات التي تنبه الى مصدر الاقتباس حتى ولم يروا ضرورة لذلك . ولكن على كل حال ينهي ميخا فقرته بأسلوب اسمى واعلى وقد يكون هو كاتب الفقرة الاصيل . فالتني هنا لا يثبت الوعد بالمسيا باي ملك معين او مسيح منتظر ولكنه يصور تكميل الأمانى القومية مركزة في



حكم الهي من العدل والسلام والرحمة يصدر من اورشليم المجدة ومن  
صهيون العظيمة . والله نفسه يقول مصرحاً :

فيقضي بين شعوب كثيرين ينصف لأمم قوية بعيدة فيطبعون سيوفهم  
سككاً ورماحهم مناجل . لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب  
فيا بعد بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون من  
يرعب لأن فم رب الجنود تكلم ( مي ٤ : ٣ - ٤ ) .

ومن الجدير بالذكر ان ميخا كغيره من كتبة اسفار الوحي يرى  
السلم العالمي متوقفاً على العدالة الاجتماعية وكل منها متوقف على شروط  
الله .

ان سفر ميخا النبوي يقدم لنا ايضاً تحديداً لمعنى الصلاح ولمعنى الديانة  
الصحيحة بهذه العبارات الخالدة :

قد اخبرك ايها الانسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب الا ان  
تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك ( مي ٦ : ٨ ) .

في هذه العبارة نلاحظ ميزة خاصة وذلك لجهة شمولها اذ انها موجهة الى  
جميع الناس « ايها الانسان » . فيمخا كما يظهر لا يقصد عهد الله فقط على  
علاقته باسرائيل او بيهودا . مع ان المكانة المعطاة لاورشليم في تميم  
مقاصد الله الازلية متوقفة بلاشك على ذلك العهد . وحتى الناموس نفسه  
انما هو لجميع البشر اذ انهم جميعاً مرتبطون به ولهم نصيب في تنفيذه .

ولمدة سبعين سنة بعد ميخا او ما يقرب من ذلك لا نجد اثراً للنبوّة في  
يهودا كانت المملكة الشمالية قد دمرت للابد عام ٧٢١ ق.م . وحوالي  
سنة ٦٢٥ ظهر نبيان في يهودا هما صفنيا وأرميا .

فصفنيا شجب بجرأة نادرة عبادة الاصنام وعدم الامانة لله والوفاء له في اورشليم لان يوم الرب قريب وسيكون يوم انتقام داخياً جميع الذين يودون الرجوع الى الله بالتوبة ليكونوا بقية يكمل الله مقصده بهم . ان هذه البقية فقط ستنجو من الهلاك المقبل . ومع ان تلك الرسالة لم تكن جديدة الا انها كانت قوية وموافقة للحوادث الجارية ويجب ان ترافقها شجاعة عظيمة في اعلانها .

وارميا شخصية عظيمة في تاريخ النبوة . كانت رسالته الأولى متصلة اتصالاً مباشراً بالاصلاحات التي قام بها يوشيا الملك جاداً في تنفيذ شرائع التثنية ووضعها موضع التطبيق بصورة عامة كما اعلنت عام ٦٢١ ق . م . وكان النبي ارميا مجتهداً تلك الاصلاحات التي ادخلها الملك يوشيا اذ كانت محاولة لتطبيق تعاليم الانبياء وجعلها واقعية في حياة الشعب .

على ان ارميا راقب تلك المحاولة لتطبيق الناموس على الحياة العملية فوجدها عقيمة ومضللة . فالشريعة الموسوية كانت قد اعطيت بوعود من السلام والازدهار اذا ما طبقت في الحياة وعلى النقيض الألم والاضطراب اذا ما تعدي عليها . على انه حينما طبقتها السلطة الحاكمة ووضعتها موضع التنفيذ بشيء من العنف استمرت البلاد في حالة من الفوضى . فاعداء يهوذا ما زالوا يهددونها وما زالوا ينعمون في شرورهم ويتمتعون بالتقدم والازدهار في وثنيهم الشريرة . وفي الوقت ذاته كان الخارجون على الناموس من سكان يهوذا غالباً ينعمون بالخير اكثر ممن كانوا يحافظون على الناموس ويتمسكون بحرفية الشريعة ( انظر ارم ١٢ : ١ - ٤ و ٧ - ١٣ ) . فبعد ان قام يوشيا بادخال الاصلاح الديني باثنتي عشرة سنة قتل في معركة خاضها ضد المصريين . وبكل اخلاص وصدق نية اضطر النبي

ارميا ان ينبذ العقيدة القائلة بان الله يجازي الاشرار ويكافئ الابرار بالنسبة لحفظهم الشريعة وتطبيقهم الناموس الذي ورد في سفر التثنية . وفي تلك الحقبة ايضاً شجب النبي حبقوق العقيدة وركز موقفه على ايمان اعمق في المصير الاخير ( انظر حب ١ و ٢ و ٣ ) .

ويذهب النبي ارميا في افكاره الى ابعد من ذلك . فهو يرى بان الشرائع المدونة التي تحدد سلوك البر والصلاح لا تقدم شكلاً صحيحاً للحياة فالحلاص بالشرائع ليس سوى خيبة مريرة . ان حياة الانسان الداخلية هي التي ينبغي ان تتغير وتبدل . وهكذا اعلن النبي ارميا تعاليمه عن المسؤولية الفردية وعن الحلاص بالتغيير الداخلي بهذه العبارات :

في تلك الايام لا يقولون بعد الآباء اكلوا حصرماً واسنان الابناء  
ضرس . بل كل واحد يموت بذنبه . كل انسان يأكل الحصرم تضرس  
اسنانه . ها هي ايام تأتي يقول الرب واقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت  
يهوذا عهداً جديداً . اجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم واكون  
لهم الها وهم يكونون لي شعباً ( ار ٣١ : ٢٩ - ٣٣ ) .

لم يضمن النبي ارميا النجاة من اضطرابات الحياة وآلامها لكل من  
كان مؤمناً وعائشاً بتقوى الله . فاختبراته علمته ان الحياة التي يحياها  
الانسان بالبر والطاعة لا تعني حياة سهلة وخالية من الالم . انها مبنية على  
الايمان الداخلي العميق . لقد عاش متأكداً ، ان كان سعيداً او متألماً ،  
ان حياة الايمان في الخضوع والطاعة النابعة من اعماق القلب هي الحياة  
الفضلى المنشودة وان طرق الله ابعد جداً من مقدرة الانسان على الادراك  
ولكن سينتصر بر الله في النهاية وسيملك البر الى الابد .

وفي ايام ارميا في سنة ٦١٢ ق . م . سقطت مدينة نينوى امام جيوش بابل وميديا المتحالفين . ان خراب تلك المدينة الخيفة والمكروهة احتفل به بقصيدة وطنية حماسية نجدها متضمنة في كتابات نجحيا المتأخرة . غير ان سقوط نينوى لم يضع حداً لويلات يهوذا ولا اوقف مصيرها المحتوم .

كان حزقيال اغرب انبياء العهد القديم على الاطلاق . نعم إنه دون نبؤاته بدقة وأرخها بالارقام ولكن هنالك امور خيفة ومرعبة في اساليبه النبوية وتخيلاته الكتابية . فلقد عاش في اوقات متأزمة وعسيرة . ففي ايامه حوصرت اورشليم وحدث السبي سنة ٥٨٦ ق . م . حيث سيق اكثر الشبان الاقوياء اسرى الى المنفى في بابل . وهذا الحدث كان سبباً لتلك المراثي المنسوبة الى ارميا مع ان السفر يتضمن كتابات اخرى تعبر عن مزاج مماثل . على ان كتابات حزقيال ورسائله وان كانت منعكسة عن احوال قاسية جاءت غريبة ومستهجنة جداً .

يبدأ سفر حزقيال برؤيا عن الله بكل ما له من جلال ومجد وسلطان . فهي تذكرنا برؤيا اشعيا التي رآها في الهيكل ولكن الخيال الحصب الذي وضعها فيه حزقيال ابعد جداً مما ترمز اليه رؤيا اشعيا في الاصحاح السادس وما تفسره . « بكرة وسط بكرة بجانب حيوانات غريبة وأطرها عالية ومخيفة ملآنة عيونها حوالها للاربع . فاذا سارت الحيوانات سارت البكرات بجانبها واذا ارتفعت الحيوانات عن الارض ارتفعت البكرات ( حز ١ : ١٦ - ١٩ ) . هذه الرؤيا الخيالية كانت موضوعاً للبحث والتفسير وقد تحتل كل انواع التأويل فتعني ما يرغب المفسر ان يذهب اليه . على انها ترينا فكرة حزقيال الرهبة عن منظر شبه مجد الرب

وعن قداسة الله الذي هو فوق كل قدرة بشرية تحاول ادراكه . فلا عجب ان هو خسر على وجهه برهبة وتواضع ورعدة . ثم تتبع الحادثة التالية :

فقال لي : يا ابن آدم قم على قدميك فأتكلم معك . فدخل في روح لما تكلم معي واقامني على قدمي فسمعت المتكلم معي ( حز ٢ : ١ - ٢ ) .

من العدل ان يتضع الانسان امام الله ولكن الله نفسه يشاء بان يقف الانسان على قدميه مستقلاً وبشجاعة محققاً ذاتيته . وهذا الامر وصية من وصاياه وحكم من احكامه . فهو يحقق وجودنا في الخلق وعلينا نحن ان نحقق ذواتنا في طاعتنا له وعمل ارادته . فهناك الهامات لا يعلنها لنا ودعوات للخدمة لا نستطيع ان نقوم بها ونحن نزحف على وجوهنا . نحن لسنا شيئاً بانفسنا ولكننا بقوة الروح نحقق وجودنا وبقدرته نقف على ارجلنا بكرامة وعزة نفس هو مصدرها . وهذه الفكرة ترد مكررة في كتاب حزقيال ( انظر حز ٣ : ٢٤ و ٣٧ : ١٠ ) .

حقاً ان رسالة حزقيال احتاجت الى رجل شجاع مثله ليعلنها بأساليب مستهجنة . فلقد صنع صورة مصغرة لاورشليم فأخذ لبنة ووضعها امامه ورسم عليها مدينة اورشليم وجعل عليها حصاراً وبنى عليها برجاً وأقام عليها متوسة وجعل عليها جيوشاً وأقام مجاثق حولها وأخذ لنفسه صاجاً من حديد ونصبه سوراً بينه وبين المدينة وثبت وجهه عليها فتكون في حصار . تلك آية لبيت اسرائيل ( حز ٤ : ١ - ٣ ) واضطجع بالقرب منها لمدة تزيد عن السنة . وهي تمثيلية شديدة الغرابة اختارها لكي ينقل رسالة الله الى المسييين في بابل .



ولكن مادة الرسالة كانت اقصى من ذلك . ففي الوقت الذي كان المواطنون المتحمسون يحاولون احياء آمال الشعب ورفع معنوياتهم واعدادهم لمعركة يائسة دعي حزقيال ليتنبأ لهم باندحار مريو . وفيما بعد حين تم الاندحار تحولت رسالته الى رسالة موآسة وتشجيع ورجاء .

لقد علم حزقيال عن المسؤولية الشخصية اكثر من اي معلم آخر من كتبة أسفار العهد القديم وانبيائه . وربما شدد اكثر من النبي ارميا على دينونة كل شخص بمفرده وحسب استحقاقه الخاص امام الله . وهو ما زال موجهاً رسالته الى « بيت اسرائيل » وكغيره من الانبياء ضمنها العهد المقطوع مع الله ولكنه يشدد على المسؤولية الشخصية لمراعاة ذلك العهد والتقيد باحكامه . حتى في وقت الحرمان العام ، يقول النبي ، يستطيع الفرد ان يبقى اميناً وصادقاً والله ينجيهِ . كذلك اذا كان من بيت مشهود له بالقوى وكان خاطئاً هلك ... النفس التي تخطيء هي تموت ( حز ١٨ : ٤ ) . الابن لا يحمل من اثم الأب والأب لا يحمل من اثم الابن . برّ البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون ( حز ١٨ : ٢٠ ) .

ففي الوقت الذي كانت فيه حياة يهوذا القومية المنتظمة ، وهي البقية الباقية من الاسرائيليين ، معرضة للدمار والتشتت ظهرت اهمية هذه الرسالة التي جاء بها النبي والقت ضوءاً على ضرورة العلاقة التاريخية التي لعبتها الامة العبرية والعهد الذي قطعته مع الله . اما في السنين المقبلة فبقاء اولئك المحافظين بامانة على العهد كان متوقفاً على وفاء وامانة الفرد نفسه أكان في بابل او في اليهودية ، مع غيره من بني قومه ام منفرداً ، سيحافظ على فرائض الله التي اعطاها للشعب وسيأتي وقت وهو قريب لا يشار فيه الى مكان معين ويقال : هوذا هيكل الله وهوذا شعبه الخاص . فالهيكل

قد تهدم والشعب تفرق ايدي سبا واسرائيل العهد سيكون حيثما اجتمع  
المؤمنون وتذكروا العهد واطاعوا فرائضه بقطع النظر عن النتائج المترتبة  
على ذلك او ما ينجم عنها .

ان رسالة الساعة كانت تدور حول هذه العبارة : يا ابن آدم قف على  
قدميك ... وكانت كذلك مقدمة متوقعة للكنيسة المسيحية كما تمثلت في  
العهد الجديد وكما فهمتها الكنيسة الانجيلية . فحيثما وجد روح الله في  
القلوب المطيعة فهناك شعب الله المقدس والمختار حتى وان كانوا محاطين  
بجميع انواع الكفر والإلحاد وعوامل القنوط .

#### ٤ - تجدد النبوة بعد السبي

وحتى قبل ان بدأ حزقيال يتنبأ في سنة ٥٩٣ كان بعض الشبان  
الاشداء قد حملوا قسراً الى بابل بقصد الاستفادة من مهارتهم في التشييد  
والبناء والاعمال الفنية التي كانت المملكة تضطلع بها . وفي السنة ٥٨٧ -  
٥٨٦ ق . م . حدثت نكبة وحوصرت اورشليم وتم سقوطها فحمل  
المنتصرون معهم الى السبي جميع السكان القادرين على القيادة . اما  
الباقيون فواجهوا أزمات صعبة في بلادهم المنكودة والمنهوبة حتى ظهر  
كان كل رجاء لمستقبل ايمان اسرائيل وثقتها انحصر بأولئك المواطنين  
الاشداء الذين حملوا الى السبي في بابل البعيدة .

كذلك المسييون صادفوا تجارب قوية وقاسية لامتحان ايمانهم . نعم  
انهم كانوا عرضة للاضطهاد ولكنهم صادفوا كثيراً من الحظ كما منحوا  
شيئاً من الحرية فجمع الكثيرون منهم ثروات واصبحوا اغنياء ومترفين  
ولكن كيف يتسنى لهم ان يارسوا ديانة إلههم يهوه في بلاد غريبة بعيداً

عن هيكله العظيم وهم محاطون بهياكل ومعابد وثنية ذات ابهة وسيادة  
وسلطان. وقد بان لهم بأنه من الصعب ان يؤمنوا باله مدن جبلية خلفوها  
وراءهم في بلاد قصية في حضرة آلهة وثنية لها ما لها من ايجاد وعظمة وقدرة  
والهام .

ومع ذلك فهناك في المنفى البعيد كان على الايمان العبراني ان يزداد  
رسوخاً وسمواً واتساعاً . ان زمن النكبة السياسية والحزن الشخصي الى  
الوطن كان ايضاً زمن نمو في الايمان حتى اسمى المقامات . وهذا التطور  
العجيب جاء نتيجة لتعاليم سلسلة من الانبياء الذين اعلن الله لهم مقاصده  
لجهة البشر قاطبة بصرف النظر عن الحدود الجغرافية والفوارق الجنسية .  
وكان النبيان ارميا وحزقيال اللذان عاشا زمن سقوط اورشليم وسبي  
الشعب الى بلاد نائية اول من بدأ بهذا التعليم الشامل مخرجاً من النطاق  
القومي الضيق الى رحاب المسكونية التي تتخطى الحدود والحواجز لتعم  
العالم بأسره .

الا ان هذه الفكرة تطورت بكتابات نبي آخر محبب لدى الكنيسة  
المسيحية لانه بقوة نادرة وجمال لا يوصف سبق فرسم بالخيال روح يسوع  
المسيح وما يرمز اليه . وانه لمن السخرية الا نعرف اسم هذا الرجل  
العظيم ولا شيئاً عن حياته . ان كتاباته الملهمة اضيفت الى درج نبوءة  
اشعيا فعدت قسماً من سفره واصبح يعرف باسم اشعيا الثاني .

هذا النبي المجهول في الأسر البابلي يحاول ان يعزي شعبه باعلانه لهم  
مقاصد الله الصالحة لخيرهم وخير امتهم بخلاف الأصنام الحقيقية حولهم  
وحواليهم ، تلك الاصنام المصنوعة بالايادي والتي ليس لها قدرة على عمل  
شيء . اما السيد الرب اله الدهر فهو صانع السموات والارض لا يكل

ولا يعيا وليس عن فهمه فحص . ان حضوره ليس محصوراً بالهيكل  
المصنوعة بأيدي الناس ، فهو يرقب شعبه في منقاهم ويعد لهم الخير كالواحة  
وسط الصحراء . وسيأتي يوم الحساب حينما يصبح البابليون يائسين وتبهج  
البقية الصالحة من اسرائيل وتعيد لان خطايا اسرائيل وآثامها ستوضع  
جميعها على عبد الرب المتألم . والحق يقال ان النبي يرى هذا الامر منجزاً  
ومكتملاً... رجل الاوجاع ومختبر الحزن وكمسرته عنه وجوهنا فلم نعتد  
به ( اش ٥٣ : ٣ ) .

لكن احزاننا حملها واوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من  
الله ومذلواً . وهو مجروح لاجل معاصينا مسجوق لاجل آثامنا تأديب  
سلامنا عليه وبجبره شفيانا ( اش ٥٣ : ٤ - ٥ ) .

كثيراً ما يحسب الشعب اليهودي ان هذه الاقوال وما شابهها انما قصد  
بها اسرائيل بالذات ويوافقهم بعض المفكرين من المسيحيين ان ذلك ما  
كان يدور في خلد النبي . مع ذلك فعبد الله المتألم يصورُ تصويراً شخصياً  
ويقابل برّه بالآلام البشر الذين يتألم من اجلهم حتى ان المؤمن المسيحي لا  
يتوانى ولا يتردد بان يرى ان هذه النبوات تشير الى يسوع المسيح  
بالذات . وفي كل الاحوال لقد ابان الله للنبي مقصده الالهي بواسطة  
الآلام الكفارية التي يتحملها عبد الرب والتي بها تتم المصالحة معه وهو  
مقصد سماوي سيطبق عملياً في المسيح يسوع .

#### ٥ - الديانة اليهودية تتركز بعد السبي :

في سنة ٥٥٠ ق . م . حينما اعتلى كورش عرش مملكة فارس بدأ  
بتغيير الاوضاع شرقي البحر الابيض المتوسط وكانت تسقط بيده المدينة

بعد الاخرى . ومن ناحية ثانية ادت سياسته المتساهلة نحو الرعايا المغلوبة على امرها الى ابتهاج عام وشمل الرجاء بالحلاص جميع اولئك الذين ذاقوا مرارة الجور والاستبداد تحت حكم بابل . فلما سقطت بابل امام جيوشه القوية سمح للمسيبين من اليهود بالعودة الى اوطانهم اذا هم ارادوا وقدم مساعدة مالية لاعادة بناء الهيكل في اورشليم بقيادة نحميا . ان سفري عزرا ونحميا، وكانا سفرأ واحداً في الأصل، يرويان القصة بينا اسفار الانبياء الآخرين كحجي وزكريا وعوييد وملاخي ويوثيل كانت قد كتبت في مستهل تلك الحلقة مع ان مادة من عصور متأخرة تظهر مدسوسة في تلك الاسفار كما هي الآن . فزكريا ( ٩ - ١٤ ) بشكل خاص يتألف من كتابة رمزية يعود تاريخها الى القرن الثالث قبل المسيح .

ومع ان افراد الشعب الذين اضطلعوا بشروع البناء والترميم كانوا قلة من الفقراء وكثيراً ما تسرب اليأس الى نفوسهم الا ان العمل الذي قاموا به كان بالغ الاهمية ، فنحميا لم يقف على بناء سور المدينة فقط ولكنه وطد سوراً ثقافياً وفقهياً من الانكماش القومي فرتقهم عن الشعوب الاخرى المجاورة كالسامريين والآراميين وغيرهم من سكان تلك البلاد . وبعد الانتهاء من مشروع الترميم دشنه عزرا الكاهن بتجديد عهد الرب على اساس حفظ الشريعة . وربما كانت اسفار موسى الخمسة جاهزة في ذلك التاريخ وجاء العمل الذي أتمه عزرا الكاهن اساساً لحياة اليهود الدينية . ومن ذلك الوقت فصاعداً اصبحت روابط العرق والمحافظة الدقيقة على تطبيق احكام الشريعة سبباً للانعزالية التي تميزت بها هذه الامة وجعلتهم غير مستعدين للاندماج في اي دين من الاديان او في اي شعب من الشعوب التي حلوا بينها والتي كانوا يعاشونهم خلال العصور وحتى وقتنا الحاضر .



ان المؤلف الذي وضع سفري عزرا ونحميا ، او لنقل ان الروح الدينية ذاتها هي التي اخرجت سفري الاخبار التي تروي تاريخ الشعب العبراني حتى زمن السبي ولكنها تسرد كثيراً من الامور التي لا نعثر عليها في اسفار صموئيل والملوك وهي كما يستنتج قد اختيرت ولونت لتخدم رغبة كهنوتية كانت سائدة في ايام عزرا ، وبالاخص ذلك الالتحام بين الديانة اليهودية والقومية الاسرائيلية وابهة الكهنوت ووظيفته وتقليد ملك داود العظيم بالتقوى الكهنوتية المتأقنة .

ولم تخل تلك المحاولة من انكماش الديانة اليهودية عما حولها من اديان وثقافات وقوميات من مقاومة فقصة راعوث يمكن ان تكون قد كتبت في تلك الحقبة لتظهر بان داود نفسه كان قد تحدر من زواج مختلط كذلك الزواج .

وفي كفاحهم للمحافظة على وحدتهم القومية وحياتهم الدينية الفريدة صار كثيرون منهم انعزاليين وشديدي العداء تجاه جميع الديانات والقوميات المجاورة لهم . وكانت تلك العداوة احياناً تتلبس بثوب الديانة القومية التي تبناها اليهود ودافعوا عنها بايمان وحماس شديدين كما نرى في سفري عوبديا ويوئيل . فيوئيل ( ٣٥٠ ق . م ) يرى بأن رغبة اليهود بالسلام لا تقلل كراهيتهم وميلهم للعنف والحرب . وبعكس نبوءتي ميخا واشعيا ينادي باسم الرب :

اطبعوا سكاكنم سيوفاً ومناجلكم رماحاً .

ليقل الضعيف بطل انا ( يوئيل ٣ : ١٠ ) .

والرب من صهيون يزجر ( ٣ : ١٦ ) . ويؤكد لهم النصر والغلبة على اعدائهم حولهم .

اما واضح قصة يونان المجهول فله نظرة جديدة وطريقة . فهو يصور لنا النبي يونان حانقاً جداً حينما انتهى انذاره لمدينة نينوى بالتوبة والندامة والرجوع الى الله حتى ان الله غير قصده لحراب تلك المدينة وندم على الشر الذي تكلم ان يصنعه بهم فلم يصنعه (يو ٣ : ١٠) . ولكن الكاتب يصور الله مؤنباً يونان وربما غيره من اليهود المتحمسين نظيره ممن كانوا يشتهون ان يشهدوا هلاك اعدائهم بدلاً من رؤيتهم مخلصون . فيقول بلسان الله في نهاية السفر :

افلا اسفقت انا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهاثم كثيرة . من المؤسف حقاً ان يكون سفر يونان مشهوراً فقط بسبب قصة الحوت . ان قصة الكتاب عبارة عن تبدل جذري في نظرة الله الى العالم اجمع واهتمامه بجميع البشر على السواء وهي نظرة مناقضة لنظرة اليهود وموقفهم العملي قبل العصر المسيحي . ومن المؤسف ايضاً الا تكون هذه النظرة خاصة باليهود ولكن بالمسيحيين ايضاً . ونينوى الحديثة هي موسكو عاصمة الجمهوريات السوفياتية وكم من المرات يظهر المسيحيون الاميركان روحاً عدائية لموسكو دون ان يفكروا بان عناية الله تشمل جميع سكان الارض بمن فيهم سكان تلك المدينة - الوف النساء والاطفال الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم .

وفي احوال عصية من الارهاب والاستبداد ، وعلى وجه التقريب في المدة الواقعة بين ١٦٨ - ١٦٥ ق . م . قام كاتب سفر دانيال يشدد الشعب لحفظ جميع احكام الشريعة بدقة . فيروي قصة رجل اسمه دانيال عاش قبل عدة قرون في عصر كبت واضطهاد واستبداد مشابه لعصرهم

وكان محاطاً بمجاعة من المائلين الذين خانوا ايمانهم القديم ومع ذلك لم يرهب  
اي تهديد او اضطهاد او وعيد ولم تستطع كل انواع التعذيب ان تززع  
ايمانه وتحمله على النكوص عن حفظ شريعة الله والعمل بموجب احكامه  
بكل خشوع واحترام . وهذا الولاء تبين انه افضل خطة لان الله لم  
يجرسه فقط وينجيه في جب الاسود الذي امر الملك ان يطرحوه فيه ولكنه  
وجد نعمة في عيني الملك فرضي عنه ورمى باعدائه الذين وشوا به  
وباولادهم ونسائهم في ذلك الجب فلم يصلوا الى اسفل الجب حتى بطشت  
بهم الاسود وسحقت عظامهم كلها . واما ايمان دانيال فقد اصدر الملك  
داريوس امراً بانه اصبح دين مملكة فارس باسرها : من قبلي صدر امر  
بانه في كل سلطان مملكتي يرتعدون ويخافون قدام اله دانيال لانه هو  
الاله الحي القيوم الى الابد وملكوته لن يزول وسلطانه الى المنتهى . هو  
ينجي وينقذ ويعمل الآيات والعجائب في السموات وفي الارض . هو  
الذي نجى دانيال من يد الاسود ( د ٦ : ٢٦ - ٢٧ ) .

ان سفر دانيال يناضل بصورة مباشرة ضد الدوافع التي حملت كاتب  
سفر استير على كتابة سفره سنة ( ١٢٥ ق . م . ) . فيينا نرى هذا  
الاخير يعلم عن وطنية يهودية متطرفة نجده ايضاً يعلم عن واقعية صارمة  
قد تلزم المواطن الحقيقي احياناً على نقض بعض مطالب الناموس لتخليص  
شعبه والقضاء على اعدائه . فالشخصيات الرئيسية في الكتاب وبجملتها  
استير بالذات تدعى باسماء آلهة وثنية . وذكر الله غير وارد في كامل  
السفر . والاعتماد فيه للحصول على النصر لا يتوقف على التقوى بل على  
الحذق والشجاعة والوطنية . وهذا يتطلب صيغة يهودية جميلة تعدى  
الناموس القومي الشديد الصرامة من جهة الانعزالية والتمييز العنصري

والدم لتصبح حظية في حرم ملك وثنى . ومع ذلك فردخاي بطل القصة اليهودي يسلم ابنته بالتبني الى هذا الدرك والى الحطية على رجاء بان تصبح ملكة . وتنجح المكيدة ويتمكن كل من مردخاي واستير من استخدام نفوذهما عند الملك لتخليص اليهود من الموت وتمكينهم من اعادة اعدائهم .

ان قصتي استير ودانيال هما قصتان مرويتان لغرض سياسي في ازمان شديدة متشابهة . كذلك في العصر الحاضر نرى مؤلفاً او كاتباً ينصح باتباع سياسة الواقع والحذق مع تساهل كلي بينما نرى كاتباً آخر يتحمس لاقرار خطة مبنية على الولاء الصحيح لله ويدعو لعدم التساهل اديباً مؤكداً ان ذلك اوفر ضماناً في آخر المرحلة .

وبعد قصة دانيال يسرد السفر حلقة من الرؤى الغريبة التي ترمز الى ازدهار اعداء الامة وارتكابهم الفظائع من القساوة والكفر والاحقاد ولكنهم سيسقطون في النهاية في هلاك مؤكد . وهذا السفر هو الوحيد بين اسفار العهد القديم الذي يعلم بصراحة ان الصالحين والاشرار سيحيون بعد الموت في حالات تتناسب مع استحقاقهم : فكثيرون من الراقدين في تراب الارض يستيقظون هؤلاء الى الحياة الابدية وهؤلاء الى العار للازدراء الابدى ( دا ١٢ : ٢ ) .

#### ٦ - آمال تتحقق

ان المؤمنين من المسيحيين يرون في العهد القديم مشروعاً لم يتحقق . فالامة اليهودية لم توطد دعامة كيائها بل توالى عليها سيادة الامم ادهاراً وبقيت مشتتة في كل اصقاع المسكونة .

ثم ان نوع الرجاء الذي كانت تحلم به الامة اليهودية مدة القرنين السابقين للديانة المسيحية لم يتحقق فعلاً . وكأمة مبعثرة في بقاع الارض او مجتمعة في بقعة معينة استمرت اسرائيل خلال العصور تحمل طابعاً غامضاً وشديد الغرابة . فأبناؤها كغيرهم من الامم حصلوا على حظوظ سعيدة او فاشلة ، وعلى انتصارات سياسية واندحارات مريرة ، كما حصلوا في فترات من الزمن على كثير من ايجاد البطولة وعلى خنوع ومذلة ايضاً . حتى حيناً ربحت الامة جولات انتصارات على غيرها فقد تلطخت تلك الدورات بالقساوة والشراسة والكبرياء وبكثير من المخاوف الجديدة .

و كعجلة للرجاء تحت قيادة الله ليس في الدنيا كلها امة كافية لتحقيق مواعيده . وهو ما اعترف به بعض مفكري انبياء العبران . فلقد كرروا مراراً وتكراراً ان رجاء اسرائيل لم يكن مقتصرأ عليها وحدها ولحيورها ولبر فيها بل اعلنوا انه بواسطتها يتحرر العالم من الظلم والجور والعبودية واهوال الحروب . فئذ ايام هوشع فصاعداً تحدث الكثيرون عن البقية الصالحة التي ستكون جديرة بتطبيق العهد بعد ان اخفقت الامة بمجموعها في انجاز المهمة .. وقد يكون الشخص الواحد معدوداً من تلك البقية الصالحة .. والى هذا تشير نبوءات ارميا وحزقيال كما تصور لنا كتابات اشعياء المتأخرة العالم مفدياً بآلام عبد بار سيأتي ليتحملها كفارة عن الامة بأسرها .

غير ان ذلك الشخص لم يظهر .. ولم يقتصر الامر على الامة اليهودية وحدها ولكن جميع امم الارض كانت تتوق لمعرفة مقاصد الله الازلية واكتشاف مصائرهم وغفران خطاياهم وازالة مخاوفهم وخلاصهم من الورطة



التي كانوا يرزحون تحت ثقلها . ولم تكن الخطية ملازمة امة واحدة ،  
ولا الخوف من الموت منحصراً في شعب معين بل كانت تلك الامور  
عامة وشاملة كما كانت الرغبة للتخلص منها والسيطرة عليها امنية البشر  
اجمعين .

ان ناموس البركان معلوماً ومعروفاً ولكن الناس وهم تحت ذلك  
الناموس بقوا يشعرون بانهم خطاة في عيني الرب . كما شعر الكثيرون في  
اسرائيل بافتقارهم الى الله للحصول على الخلاص . وبعضهم اصبحوا قانطين  
وفي ياس شديد . وبعضهم ظن بان الله يساعد اولئك الذين يساعدون  
انفسهم . والبعض الآخر حاولوا بمواصلة الصلوات والطاعة والابتهاالات  
المحافظة على بقاء ذلك الرجاء القومي وكانوا ينتظرون بفارغ الصبر تلك  
الساعة حينما يد الله يده معلناً مقدرته وبره ورحمته .

✧ ✧ ✧

## الكلمة

## ١ - مقصد الله

في مستهل الكتاب المقدس كما وصل الينا نعث على هذه الحقيقة وهي ان العالم قد كوّن لمقصد الهي . ففي البدء خلق الله السموات والارض .. ورأى الله ذلك انه حسن جداً . فالكون لم يوجد بطريق الصدفة بل كوّن ووجد حسب رغبة مكوّن اعظم وبموجب مخطط وضعه موجد هذا الكون من العدم .

فلماذا خلق الله العالم ؟ ولماذا وجده حسناً ؟ وماذا كان قصده في الخلق ؟ ان مثل هذه الاسئلة تدور في خلدنا كل يوم وكل منا يسأل نفسه : لماذا وجدت ؟ من اوجدني ؟ وما المقصد من وجودي ؟ ومن عادتنا ان نسأل وكيف يمكننا ان نتم مقاصد سبق لنا ان افترضناها بصورة واقعية ككسب الاموال على قدر الامكان والحصول على اقصى حدود الرفاهية او اظهار اسمى علامات النجاح بكبرياء وعنجهية . وأهم من ذلك كله نسأل عن الهدف الذي يستحق اهتمامنا اكثر من سواه وجدير بما نبذل من جهد وقوى ؟

وفيا نطالع العهد القديم نجد ان اسمى غاية وردت فيه هي مناصرة الروح القومية لدى الاسرائيليين والعمل على تحقيق السلام والازدهار لذلك الشعب الغريب الاطوار . على ان هنالك موضوعاً اعمق وابعد مدى نجده في كل اصحاب على وجه الاجمال . ان الله دعا العبرانيين ليكونوا شعبه وليخدموه بولاء تام وبخضوع في البر والقداسة . فان هم تمموا ذلك كان بجانبهم ليعضدهم وليجزل عليهم الخيرات والبركات وهي من ثمار البر . على ان في التاريخ المتأخر عن ذلك العهد قام بعض الانبياء ورأوا بئاقب بصيرتهم وبعد نظرهم ان الخير والسلام والازدهار قد لا تتوقف على البر والصلاح . فعبد الرب البار قد يدعى ليحمل الآلام كفارة عن الآخرين . فالراحة والسلام والازدهار ليست اذن مظاهر حتمية من مقاصد الله لنا في هذه الحياة الارضية . ان القصد الشامل لوجودنا هو ان نكون متحدين بذاك الذي بيده اسمى معاني الحرية والذي في محبته اكمل السلام بصرف النظر عما يحيط بنا من ظروف خارجية .

ان ادراك هذا الهدف ومعرفة الطريق التي تؤدي اليه كان وقفاً على الشعب العبراني اولاً . اما خارج تلك الامة فقليلون كانوا قد عرفوا شيئاً عما قدره الله لهم ولمصائرهم ووقفوا على مقاصده من اجلهم . وكذلك في الداخل لقد حسب الكثيرون بان قصد الله انما كان عبارة عن خطة لاعادة بناء مجدهم كأمة مستقلة وذات سيادة بين امم الارض ، ظانين ان ذلك يتم بمهارة عسكرية ومجنكة سياسية وشجاعة . وآخرون انتظروا آية سماوية تعيد اسرائيل الى مجدها الغابر ، فيما اقتنع سواهم بان المسلك الوحيد لخلاصهم انما كان بحفظ الشريعة اليهودية فاحكامها غاية المطلوب حسب شرح الرؤساء والمعلمين من اهل الناموس . وكثيرون منهم

شكروا الله على الشريعة التي انزلها الله عليهم وحاولوا تطبيقها نصاً وحرفاً . وفي عملهم هذا اصبحوا متعجرفين ومدعين ومتظاهرين بقداستهم وبرهم الذاتي وكثيراً ما تخطوا روح الشريعة ليستغلوا كل فائدة مادية عالمية في محاولتهم التمسك بحرفيتها . وكان البعض منهم اشد شعوراً وحساسية من سواهم وغير راضين عن تطبيق حرفية الناموس على حساب الجوهر معترفين بانهم رغم كل محاولة لم يتمكنوا من حفظ الشريعة بجذائرها وهم يحتاجون الى روح الشريعة لا الى حرفها مع انهم عرفوا ان الشريعة تتطلب منهم ان يحفظوا جميع احكامها فاذا نقضوا واحداً منها فقد اخطأوا في الكل ووقعوا تحت دينونة الناموس .

وربما وجد الكثيرون ممن امكنهم ان يعبروا عن آرائهم بحرفية فكانوا يقصحون عن اعمق مشاعر اليأس والقنوط كما حدث للرسول بولس فيعبرون عن اخفاقهم المرير وعطشهم الشديد الى شيء غير ارضي : عالمين بي من الاول ان ارادوا ان يشهدوا في حسب مذهب عبادتنا الأضيق عشت فريسياً ( أ ع ٢٦ : ٥ ) . فهل هذا ما قاده الى ملء الحياة بالله التي كان يتوق اليها ؟ دعه يجيب عن ذلك بنفسه :

« اذا أجد الناموس لي حيناً اريد ان افعل الحسنى ان الشر حاضر عندي . فأني اسر بناموس الله بحسب الانسان الباطن . ولكني ارى ناموساً آخر في اعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني الى ناموس الخطية الكائن في اعضائي . ويحي انا الانسان الشقي . من ينقذني من جسد هذا الموت ( ر و ٧ : ٢١ - ٢٤ ) .

## ٢ - الهدف التاريخي

لقد افترض كتبة الاسفار الالهية ان للحياة البشرية هدفاً سماوياً .  
واولئك القوم الذين نشأوا منغمسين بالتقاليد الكتابية والثقافة الدينية  
كانوا معرضين لان ينظروا الى حوادث التاريخ بهذا المنظار ويفسروها  
كأنها متممة لمقصد الهي . وقد يستعيضون بمقاصدهم الخاصة فيضعونها  
مكان مقاصد الله الازلية وقد يكونون احياناً مضطربين وقلقين لعدم  
تحقيق احلامهم الذهنية بموجب الاحداث التاريخية . ولكنهم في الوقت  
نفسه كانوا يفترضون مقصداً سماوياً تعمل جميع وقائع التاريخ على تحقيقه  
وسيتحقق في النهاية .

ان مثل هذه الافكار كانت عرضة للتحدي والانكار . فلقد ذهب  
بعضهم الى ان العالم اشبه شيء بآلة كبيرة معقدة تدور وتدور بلا هدف  
فتنزل الاعزاء عن الكراسي وترفع المتضعين ولكنها في الشوط الأخير  
ستسحق كل ما يجيء في طريقها بدون شفقة ولا رحمة . فيقتوح فيلسوف  
معاصر ثلاثة أسئلة عظيمة ينبغي ان يجيب عليها جميع الناس : من اين ؟  
والى اين ؟ ولماذا ؟ ثم يجيب عليها بنفسه فيقول : من العدم ، وبدون  
هدف . وبلا سبب .

ان مثل هذه الافكار لم تكن غريبة عن جماعات عاشت عبر التاريخ  
غير متأثرة بروح التوراة . فتاريخ الشرق برمته كان ولا يزال موضوع  
دورات متتابعة حتى ان الحاضر ليس سوى اعادة الماضي وهذا كله  
سيتكرر في مستقبل الايام . ان هذه الافكار يعززها احد اسفار العهد  
القديم الذي يتحدث فيه الكاتب تفسير مقاصد الله في الحياة كما يعطيها



انبياء وحكاماء العبران . ان ذلك الكاتب المتشائم الذي كتب معظم سفر الجامعة يؤكّد انه حتى في حالة وجود مقصد الهي في حياة البشر فاننا لا نستطيع ان نعرفه :

«لما وجهت قلبي لاعرف الحكمة وانظر العمل الذي عمل على الارض وانه نهراً وليلاً لا يرى النوم بعينه رأيت كل عمل الله ان الانسان لا يستطيع ان يجد العمل الذي عمل تحت الشمس . مهما تعب الانسان في الطلب فلا يجده والحكيم ايضاً وان قال بمعرفته لا يقدر ان يجده » .  
( جا ٨ : ١٦ - ١٧ ) .

فهو ميل بان يعتقد ان لا معنى للحياة ولا سبب ولكنها تكرر باطل وممل :

ما كان فهو ما يكون والذي صنع فهو الذي يصنع فليس تحت الشمس جديد ( جا ١ : ٩ ) .

باطل الابطال قال الجامعة الكل باطل ( جا ١٢ : ٨ ) .

على ان ثمة ما يدعو الى العجب وهو انه قبل ادخال هذا السفر في الكتب القانونية عمد احد الكتاب الى زيادة بعض التصريحات من الايمان ليخلص الانسان من هذا التشاؤم المظني والشك المريب .

اما باقي الاسفار الكتابية فتعارض هذا الشك معارضة شديدة . فاشعياء في القرن الثامن قبل الميلاد يرى حتى اعداء اشور جزءاً متمماً لمقاصد الله الازلية مع ان تلك الحملة ستسبب خراباً عظيماً الا ان الله طريقه الخاصة : قد قضي بفناء فائض بالعدل . لان السيد رب الجنود يصنع فناء

وقضاء في كل الارض ( ١ ش ١٠ : ٢٢-٢٣ ) . وهكذا بعد مضي نحو  
ثمانية قرون حينما تعرضت الكنيسة المسيحية الناشئة للاضطهاد كتب  
في سفر الرؤيا :

وهو سيسكن معهم . . . وسيمسح الله كل دموعه من عيونهم والموت  
لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لان  
الامور الاولى قد مضت ( رؤ ٢١ : ٣ - ٤ ) .

وهكذا نرى ان كتاب الوحي الالهي افترضوا في اوقات الفرح  
واوقات الترح ، في الرخاء والهناء كما في العسر والشقاء وجود حركة في  
التاريخ ذات هدف معين وغاية مؤكدة تشمل جميع الذين يضعون كل  
ثقتهم بالله . مع ذلك فحوالي نهاية العهد القديم ساد شعور عميق بالقلق  
والخيرة والحزن والانتظار فكيف ومتى سيعمل الله ليخلص البقية الصالحة  
المؤمنة به ؟

### ٣ - والكلمة صار جسداً

لقد اكمل الله ظهوره النهائي واتم عمله الفدائي « لما جاء ملء  
الزمان » ( غل ٤ : ٤ ) . وملء الزمان هذا لم يكن وقتاً محدداً فحسب  
بل كان فترة اشارت اليها الحوادث الماضية والتي لاجلها تمت جميع  
الاستعدادات السابقة واللاحقة . فخروج اسرائيل من مصر وتنظيم ممارسة  
طقوس العبادة في هيكل اورشليم ، وعمل الانبياء ، والسبي وما رافقه من  
تفسير نبوي للايمان ، والتبشير الاعلاني بان وقت عمل الله الخلاصي اصبح  
قريباً - كل هذه الاحداث وكثير غيرها مهدت الطريق لمجيء يسوع  
الذي يدعي المسيح ابن الله الوحيد .

ان انجيل يوحنا يظهر يسوع المسيح ككلمة الله متضمنة في ناسوته .  
فما هو المقصود بالكلمة يا ترى ؟

كثيراً ما يعلن عن الله في العهد القديم متكلماً . وحيناً يتكلم لا ينير  
افكار سامعيه فحسب ولكنه يرسل قوة . ان قصة الخلق المذكورة في  
الفصل الاول من سفر التكوين تمثل كلمة الله مبدعة الخلائق المتنوعة .  
والكلمة هنا تعني بالأكثر النظام او الطريقة التي يعلن الله بها عن ذاته او  
عن مقاصده لجهة البشر . وهكذا عاد الرب يتراءى في شيلوه لان الرب  
استعلن لصموئيل في شيلوه بكلمة الرب ( اصم ٣ : ٢١ ) . وفي عدد من  
الحوادث كما في هذه الحادثة التي اشرنا اليها كثيراً ما يظهر بان كلمة الله  
كان شخصاً آخر غير الله منتدباً لخدمته .

وفي بعض الكتابات التي يعود تاريخها الى تلك الحقبة كانت الكلمة  
تعني انها خارجة من الله كما يصدر النور عن جرم الشمس . فالفيلسوف  
اليهودي فيلو الاسكندري الذي كان معاصراً للمسيح علم بان الكلمة  
خرجت من الله الواحد الأحد واوجدت هذا الكون ومعنى هذا العالم .

اما كاتب الانجيل الرابع فغيّر الفكرة اليهودية القديمة عن الكلمة  
والتعليم الاغريقي الجديد الذي يمثله ذلك الفيلسوف اليهودي فيقول : في  
البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ( يو ١ : ١ ) .  
ومع ذلك فهو لا يجعل الكلمة مشتركاً في عملية الخلق ولكنه بلا شك  
فكر به كما فكر به سواه انه يقدم المعنى والقصد المعقول لتكوين هذا  
الكون وكل ما يحتويه . فالكلمة ليس شيئاً خارجاً عن الله ومنفصلاً عنه  
بل بالاحرى عمل خلق الله ذي المعنى والمقصد .

والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ( يو ١ : ١٤ ) . فیسوع كان عمل  
الله الدال على غاية وعلى معنى في انسان . وهكذا يكتب الرسول بولس :  
ان الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه ( ٢ كو ٥ : ١٩ ) .

ان جزءاً هاماً من ارسالية يسوع كانت تعاليمه . فكم كانت امثاله  
غنية فوق حدود التصور امثال السامري الصالح والابن الضال والبيت  
المبني على الصخر وذاك المبني على الرمل والغني الغبي والدينونة الاخيرة .  
وكم نكون فقراء بدون تعليمه الخالد المتضمن في القاعدة الذهبية وفي  
توصياته الاخرى بان نحب اعداءنا ونبارك لاغنيا ونحسن الى مبغضينا  
والمسيئين الينا ، وحديثه مع المرأة السامرية على البئر ومعاملته الرقيقة  
لتلك المرأة الخاطئة وللمشتكين عليها . ان مثل هذه التعاليم ولا شك  
الهيّة بكلمات الرب يسوع اللطيفة .

و كذلك اعماله اذا ما نظرنا اليها بعين الايمان نجدها اعمال الله بالذات .  
فهو يشفي المرضى ويشبع آلاف الجياع من خمسة ارغفة وسمكتين يجدها  
في حوزة فتى كان مستعداً بان يشارك بها غيره ، ويطرد الباعة والصارفة  
من هيكل الله اولئك الذين كانوا يدنسون الهيكل بسبب جشعهم المادي  
وعبادتهم للمال ، ويهيج قلوب الاطفال بوضعه يديه عليهم ومباركتهم ،  
ويصعد مثباً وجهه نحو اورشليم مركز مقاومة الرؤساء له ويحزن لمصير  
تلك المدينة المقدسة ، ويجعل من عناصر الطعام والشراب عهداً وتذكيراً  
للحياة المكرسة للملايين التي لا تحصى من المؤمنين باسمه . كذلك اقواله  
وافعاله مثلت جانب الله في اداة الخطية وفي المسالحة والاشراق والشفاء  
والحياة المنتصرة .

وفوق كل ذلك كانت حياته كلها عبارة عن كلمة الله الازلية . فكان مجرد حضوره الشخصي يجعل القلوب الحساسة والمتفتحة تعرف انها في حضرة الله .

ففي كامل العهد الجديد نجد تشديداً على كون المسيح انساناً : لانه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح ( اتيمو ٢ : ٥ ) . فلقد ولد في ضعف وفقر ونما كولد وعمل وكدّ وتعبد وجاع وعطش وبكى وتألم ومات وكان انساناً بشرياً . وكل من انجيل يوحنا والرسالة الى العبرانيين يشددان على انسانيته الكاملة كما يرفعانه الى اعلى مراتب الالهة .

وفي ذات الوقت لقد ذكر عنه انه كان يغفر الخطايا ومن يقدر ان يغفر خطايا الا الله وحده ( مر ٢ : ٧ ) . وقد روى التلاميذ عنه ان الريح ايضاً والبحر يطيعانه ( مر ٤ : ٤١ ) . فيسوع اذن هو الذي ارسله الله ليتكلم بكلام الله ( يو ٣ : ٣٤ ) وفي الوقت نفسه هو من يقدم له السجود والعبادة لانه الله كما يتكلم عنه بولس الرسول : لكن لنا اله واحد الآب الذي منه جميع الاشياء ونحن له . ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الاشياء ونحن به ( اكو ٨ : ٦ ) .

فمن هو هذا الشخص يا ترى ؟ إنسان هو ام اله ؟ اننا نتنكر لشهادات كثيرة من العهد الجديد اذا حاولنا تجاهل انسانيته . وفي الوقت ذاته يتضح لنا ان في حضوره بالجسد ، وفيما بعد في حضوره بالروح ، لمس الناس حضور الله بالذات وخبروا قدرته الخارقة . فكيف نستطيع ان نفسر هذا ؟



ينبغي ألا ننتظر الوصول الى تفسير جازم وقاطع . ففي كل انسان بشري مجموعة من الاسرار لا يمكن ادراكها وقد تكون تلك الاسرار غامضة حتى عن الشخص المعني بذاته . فكلم بالاحرى ذلك الاله الازلي الذي خلقنا بقدرته العجيبة التي هي فوق مدار كنا الضعيفة فهماً ووصفاً . وحينما يطلب منا ان نفكر تلك الشراكة بين الله الازلي وذلك الانسان العجيب الذي دعي يسوع والذي عاش منذ الف سنة نصطدم بسر مزدوج . ومع ذلك فعلى اولئك الذين يؤمنون به وينظرون اليه بوقار واحترام ان يجيبوا على قدر طاقتهم عن السؤال الخالد الذي وجهه هو بنفسه الى تلاميذه : وانتم من تقولون اني انا ( مر ٨ : ٢٩ ) . فليسمح لي القراء ان اقدم جوابي الخاص بشأن هذا المسيح الذي نعرفه في الكتاب المقدس والذي نشهده ايضاً في اختباراتنا الدينية يوماً بعد يوم .

هل لاحظتم قائد فرقة موسيقية تعزف سمفونيات رائعة ؟ انه يقود العازفين بمهارة حتى ان الذين يتذوقون الموسيقى ويعرفون قيمتها الفنية يقولون انه يلعب الفرقة كلها باشارات يديه كأن اولئك العازفين اجزاء من آلة موسيقية واحدة يتولى العزف عليها بنفسه . فليس من قطعة او مجموعة من القطع تقوم بدورها الا باشارة منه . وليس من نغمة او تغيير في العزف يجري بدون حركة من يديه او التفاتة في عينيه او انحناء في الرأس او الجسم او كليهما معاً . وقد يحدث احياناً ان يكون هو واضع اللحن الذي تشترك في اخراجه الفرقة بكاملها عند ذاك تكون كامل المعزوفة له . فهو الذي تصورهما في مخيلته وفي اعماق مشاعره فوضع نوطتها على قرطاس وها هو الآن يجسدها نغماً وسجراً .

لنعد الآن الى الفرقة الموسيقية العازفة نجد في مقدمتها عازف الكمان

الذي يكون عادة حلقة وصل بين القائد العام وبين باقي اللاعبين . فهو وان تفرد بالنغم الشجي الرفيع الذي توقعه اوتار كمانه الا انه يرسم امام العازفين خطة الامثال لاشارات القائد والتقيد بها . فما هي الموسيقى التي تنبعث من كمانه ؟ انها ولا شك نغم اوتار الكمان ولكنها في الوقت ذاته تعبيراً لما دمجته عبقرية الموسيقي الفنان واطع اللحن ومتروجه الى لغة السمع . انها مسألة غير متعلقة بالسمع فتعزى القطعة الى العازف وحده او الى القائد على انفراد . فكلها للعازف وهذا صحيح وكلها للقائد وهذا ايضاً حق لا غبار عليه . ولا شيء يضير قائد الفرقة او ينقص من عبقريته المنتجة . كذلك العازف يصل الى اسمى مراتب الفن بطواعيته لاشارات القائد والعمل بوحى منه وتوجيهه .

في مثل هذا الشبه يسلم يسوع قيادة حياته لارشاد الله وتوجيهاته . فكلماته واعماله ووجهة نظره وكيانه بالذات قدمها كلها وبمطلق الحرية ليدي الله وهو الذي شهد بذلك حينما قال : انا لا اقدر ان افعل من نفسي شيئاً . كما اسمع ادين ودينوتي عادلة لاني لا اطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي ارسلني ( يو ٥ : ٣٠ ) . والله اوضح له سره واطلعه على مقصده الالهي وملاه من روحه بشكل لم يسبق ان حصل عليه احد . وهو بدوره تجاوب مع مشيئة ابيه السماوي تجاوباً كلياً . ففيه تمت الطبيعة البشرية مع ارادة الآب حتى حينما كان يقاسي آلام الموت صلى طالباً : لتكن لا ارادتي بل ارادتك ( لو ٢٢ : ٤٢ ) . فكلمات من كانت هذه الكلمات واعمال من كانت تلك الاعمال وحياته من كانت تلك الحياة ؟ انها كلها كانت صادرة عن شخصه البشري ولكنها كانت في الوقت ذاته انشودة سماوية من نظم وتلحين الله نفسه . وهذا ما يذكروننا به دستور

الايان النيقاوي حيث يقول : اله من اله ، اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء .

#### ٤ - الجلجثة

تلك كانت الحياة المثالية التي اتقنت فن تبيان مقاصد الله وهي التي تنكر لها الناس ورفضوها . حتى التلاميذ الذين تبعوه وسمعوا تعاليمه واعجبوا بها وقبلوها وقعوا في كثير من الحيرة والارتباك . فجميعهم تركوه في ساعة الشدة ولاذوا بالفرار واولئك الذين قاوموه ورفضوا تعليمه ازدادوا الآن قساوة وبربرية .

ويسوع بحياته وامثاله وتعاليمه حطم اصنام التظاهر والادعاء التي كان الناس يتسترون وراءها ومزق اثواب الرياء التي كانوا يتلبسون بها مخفين تحتها حياة اثيمة هالكة . لقد نزع عنهم برهم الذاتي لكي يروا حاجتهم القصوى الى مراحم الله ويتكلوا على محبته العظمى واخترق القوانين الخارجية الى لبابها ليبرهم ان جوهر الشريعة لا يختلف عن طبيعة الله بالذات . وامام الله ادر كوا انهم خطاة لا حول لهم ولا طول .

وقاومه الرؤساء كعادتهم حينما اصبحت ادعاءاتهم الفارغة مهددة وحينما اضحت مراكزهم الاجتماعية على وشك الانهيار . وكان من الطبيعي ان يثوروا بجنى على شخص حاول ان يكشف الستار عن حقيقة حالهم ووضع اثمهم عارياً في قفص الاتهام امام بر الله .

وبما ان اليهود الذين عمل يسوع بينهم وبشرهم برسالته كانوا امة مغلوطة على امرها وتابعة لسلطان رومية كان من الطبيعي تأليب السلطة

عليه واستعداد الحكام الاجانب ضده وتحريضهم على التخلص منه بالسعاية الكاذبة والاستعانة بشهود زور . فلقد ادعوا بأنه كان ثائراً ضد قيصر لانه يطلب ان يكون ملكاً وانه يسبب شغباً في الشعب اذا اطلقت حريته . وبما ان وظيفة الوالي الروماني الحفاظ على النظام واستتباب الامن في البلاد حتى تزدهر التجارة وتنصب الاموال في خزائن رومية ، وبما ان اليهود كانوا مشهورين بمقاومتهم للسلطة الحاكمة فلماذا لا يستغلون ظرفاً كهذا ويتخذون من هذه الحالة ذريعة للتخلص من عدو كان يهدد كيانهم الديني والاجتماعي . وهكذا سلم يسوع بخيانة دينته ليد اعدائه في ذلك المساء فيما كان يصلي في بستان جشسياني . وبعد المحاكمة لم يجد المسؤولون عليه علة واحدة لادانته ومع ذلك حينما وجد ييلاطس انه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب ( مت ٢٧ : ٢٤ ) حكم على يسوع بالصلب فسمروه على الصليب معلقين اياه بين لصين اثيمين .

وفي اثناء ساعات العذاب التي قضاها يسوع على الصليب واصل رسالة الغفران والمحبة والمصالحة التي كانت موضوع خدمته في السنين السالفة . وفيما كان يتألم صرخ قائلاً : يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون ( لو ٢٣ : ٣٤ ) . والصحيح انهم لم يعلموا . وهي نتيجة مخيفة للخطية التي تشوه رؤيانا وتحرق احكامنا حتى لا تقوى قلوبنا الاثيمة ان تميز بين الخير والشر حتى حينما نواجه ابن الله البار .

ولا يحق لنا ان نحقر اليهود لانهم اقترفوا هذه الجريمة المنكرة واطفروا جميع ضروب القساوة والبغضاء . فاذا كان المعذبون من اليهود فيسوع ايضاً كان يهودياً . وهكذا كانت امه وتلاميذه الذين صحّ فيهم قول النبي القديم : اضرب الراعي فتتبدد الحراف . وعند قاعدة الصليب انقسم القوم

الى فريقين كما هي الحال في كل زمان ومكان . فالبعض يقبلونه بفرح  
والبعض الآخر يرفضونه ويتكبرون لرسالته ودعوته ومبادئه ونموذج حياته  
الكاملة .

وفي اشد ساعات آلامه يمنح يسوع وهو على الصليب غفران محبة الله  
للص تائب . ففيما كان واحد من اللصين يجدف عليه ويطلب منه ان  
يخلص نفسه واياهما انبرى له رفيقه الآخر مؤنباً .

فأجاب الآخر وانتهره قائلاً : اولا انت تخاف الله اذ انت تحت  
هذا الحكم بعينه . اما نحن فبعدل لاننا ننال استحقاق ما فعلنا . واما هذا  
فلم يفعل شيئاً ليس في محله . ثم قال ليسوع : اذ كرني يا رب متى جئت  
في ملكوتك . فقال له يسوع : الحق اقول لك إنك اليوم تكون معي  
في الفردوس ( لو ٢٣ : ٤٠ - ٤٣ ) .

وها قد اقتربت النهاية :

فنادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا ابتاه في يديك استودع روحي .  
ولما قال هذا اسلم الروح ( لو ٢٣ - ٤٦ ) .

#### ٥ - فجر القيامة

وبعد موت يسوع أحسّ التلاميذ بخيبة الامل واستولى عليهم الخوف  
والحزن الشديدان . فكل آلامهم كانت متعلقة فيه وجميع احلامهم كانت  
مر كزة عليه . وكانوا يرجون انه هو المزمع ان يفدي اسرائيل ( لو ٢٤ :  
٢١ ) . واما الآن فقد رأوه يموت وتموت بموته جميع احلامهم الذهنية  
ويتحطم كل رجاء لهم .



اما الحوادث التي تلت فن الصعب ان تجد لها انسجاماً تاماً الا انها جميعاً تتفق على ان يسوع حي وانه قام من الاموات . فاقدم نص عن قيامة المسيح يرد في ( ١ كو ١٥ : ٥ - ٨ ) لان جميع رسائل بولس يرجح انها كتبت قبل الاناجيل الاربعة ببعض الوقت . فبولس يصرح بأنه بعد موته ظهر اولاً لصفاء ثم للاثني عشر وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة اخ اكثرهم باق الى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل اجمعين . وآخر الكل كانه للسقط ظهر لي انا .

فهل كانت تلك الظهورات التي ظهرها المسيح مطابقة للحواس العادية؟ ان بعض الحوادث المذكورة تؤكد انها كانت كذلك . فكل من البشيرين الاربعة يخبر عن القبر انه وجد فارغاً قبل ان شوه يسوع حياً في غير مكان . ولوقا يصف يسوع المقام من بين الاموات يا كل سمكاً مشوياً وشيئاً من شهد غسل قدام تلاميذه ( لو ٢٤ : ٤٢ - ٤٣ ) ويوحنا يروي قصة توما المشكك يدعوه يسوع ليرى اثر المسامير ويضع يده في جنبه ولا يكن غير مؤمن بل مؤمناً ( يو ٢٠ : ٢٧ ) . ومن ناحية اخرى يضيف بولس الرسول ظهور يسوع له وهو في الطريق الى دمشق ( ١ كو ١٥ : ٨ وأع ٩ : ١ - ٨ ) . وقد ذكر ظهوره ايضاً لتلميذين كانا سائرين الى عمواس وقد مشى معها مسافة طويلة وامسكت اعينها عن معرفته حتى اخذ الخبز وبارك وكسّر وناولهما فانفتحت اعينها وعرفاه ثم اختفى عنها . فقال بعضها لبعض الم يكن قلبنا ملتهباً فينا اذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب ( لو ٢٤ : ١٣ - ٣٢ ) . ومريم المجدلية لم تعرفه وظنت انه البستاني ( يو ٢٠ : ١١ - ١٦ ) .

وليس هنالك ذكر لاية حادثة ظهور لغير المؤمنين . فمهما كانت طبيعة يسوع القائم من الاموات يظهر ان عيون الايمان فقط هي التي كانت تحظى برويته . وبالاكثر تلك الرواية عن ظهوره وسط تلاميذه والابواب مغلقة ( يو ٢٠ : ١٩ ) واختفائه الغريب عن الانظار ( لو ٢٤ : ٣١ ) .

وعلى اولئك الذين يحاولون تجنب الصعوبات ويكتفون بالقول ان حادثة القيامة لم تكن سوى اسطورة ان يفسروا من ناحية اخرى كيف ان نفس اولئك التلاميذ الذين ذعروا وتشتتوا ولم يظهروا شيئاً من الشجاعة بل تركوا معلمهم ولاذوا بالتستر والاختفاء انقلبوا فجأة وآمنوا ان مسيحهم حي وانه معهم دائماً ووقفوا مستبسلين في وجهه الرؤساء يدافعون عن عقيدتهم بشجاعة لا نظير لها في تاريخ البشرية المديد . ومهما حاولنا وصف اختبارهم لسيدهم القائم من الموت فروؤيتهم اياه كانت واضحة وصریحة وإيجابية لا تقبل الشك على الإطلاق .

وبحسب نص الكتاب المقدس كانت القيامة حدثاً فريداً في التاريخ . فاذا نحن قبلناها بهذه الروح فلا ننتظر ان نفسر بحسب اختباراتنا البشرية اما ان نرفضها فكأننا نتروك انفسنا بدون تفسير لقوة الايمان الحارقة والمغيرة للحياة التي إتصفت بها الكنيسة الاولى كما نفقد المفتاح المسيحي لفهم الحياة المنتصرة والمغيرة وادراكها . فالأفضل لنا ان نقبلها كما هي كعمل الله القدير شاهداً لسلطان المسيح ومظهرأ قدرته المظفرة والمنتصرة على الموت عدو البشرية اللدود ومشجعاً للتلاميذ في العمل الذي كان ينتظرهم . وما عمله المسيح لاجلنا في حياته وموته وقيامته سنبجته في الفصول الآتية ..



## ٧

### مشابهون صورة ابنه

ومع ان المسيا المنتظر قد جاء منذ عدة قرون فلقد استمر الناس ، رجالا ونساءً ، يرتكبون الخطية ويخافون ويموتون . فهل حصل تغيير ما يا ترى ؟ نعم ... ان جميع الذين عرفوه لا يمكن ان تبقى حياتهم كما كانت قبل مجيئه .

١ - ولكننا نرى يسوع ... لو قال احد المشككين المعاصرين بان الموت والخطية لم يقهرا بعد كما يدعي الانجيل فلا بد من ان يجد من يتحداه بهذه الحقيقة المعلنة في العهد الجديد : على اننا لسنا نرى الكل بعد مخضعا له ولكن الذي وضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالجد والكرامة ( عب ٢ : ٨ - ٩ ) .

قد يكون صحيحاً ان البشر ما زالوا يتألمون ويخافون ولكننا ونحن نأظرون الى يسوع الآن نرى بان الألم ليس هزيمة . ان قبول الألم بخضوع وايمان ومحبة ثابتة يمكن ان نعتبره ضرورياً لاجل الفداء . ان الألم قد

يكون الرسالة الوحيدة لتكميل ايماننا بالله بتسليم مطلق وصيرورتنا بركة  
للآخرين .

الذي في ايام جسده اذ قدم بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات  
للقادر ان يخلصه من الموت وسمع له من اجل تقواه . مع كونه ابناً تعلم  
الطاعة بما تألم به . واذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص  
ابدي ( عب ٥ : ٧ - ٩ ) .

وقد تسوء الحال معنا في العالم وقد تقع علينا اصناف البلايا وضروب  
الشقاء . فبولس الرسول كان مصاباً بشوكة مزمنة وقد حلى من اجلها  
بجراحة ولكنها بقيت ملازمة له فيكتب بهذا الصدد :

من جهة هذا تضرعت الى الرب ثلاث مرات ان يفارقني . فقال لي  
تكفيك نعمتي لان قوتي في الضعف تكمل . فبكل سرور افتخر بالحرى  
في ضعفاتي لكي تحل علي قوة المسيح . لاني حيناً انا ضعيف فحينئذ انا  
قوي ( ٢ كو ١٢ : ٨ - ١٠ ) .

انها ليست مجرد نظرية فقط ... ان بولس يروي لنا هنا اختباراً  
واقعياً . وشهادته هذه مؤيدة بالاضطهادات الكثيرة التي تحملها بصبر  
وفرح وايمان دون نكوص ولا ارتداد الى الوراء مفضلاً ان يتمتع  
بالشركة مع اناس غرباء من كل أمة - رجال ونساء يشاطرونه بهجة  
الايمان والرجاء والمحبة على مشاكلة هذا الدهر . وهي شهادة الملايين من  
المؤمنين المعروفين والمجهولين والموزعين في كل بقعة تحت الشمس .

وكثيرون اذ يتطلعون الى يسوع بالايمان يتغلبون على جميع مخاوفهم .

وبه يحصلون على شعور بالطمأنينة وعلى ثقة بالله وبمحبه التي لا تترك مجالاً للخوف اذ لا خوف في المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج لان الخوف له عذاب واما من خاف فلم يتكامل في المحبة ( ايو ٤ : ١٨ ) .

ان كان الله معنا فمن علينا ( رو ٨ : ٣١ ) . وكون الله معنا قد عرفناه وتحققناه في معرفة محبه التي اظهرها بابنه ربنا يسوع المسيح . ومتى كان الله معنا فلا ينبغي ان نخشى اي انسان او اية كلثة في الحياة .

كثيرون من البشر يقنطون من امكانية التمتع بهناء الحياة في هذا العالم . فمع جميع المغريات والتجارب حولنا ، ومع وجود الشر متغلغلاً في قلب الحكومات والمؤسسات الصناعية والتجارية وجميع التسويات التي تقض مضجع المؤسسات الاجتماعية حتى الكنائس نفسها ، من السهل ان نستنتج بان الصلاح الحقيقي متعذر وجوده هنا على هذه الارض .

ولكننا نرى يسوع ... فلقد عاش في عصر مبتل بالشهوة الجاحمة بين شعب مغلوب على امره ومحكوم من قبل سلطة وثنية . ومع ذلك عاش بكامل الطهارة والقداسة والجمال مما يبردنا من جميع اعدائنا . ففيه نرى انساناً عاش في تاريخ معين وسط عاصفة من غبار وحرارة الكراهية البشرية : مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية ( عب ٤ : ١٥ ) .

وكثيراً ما ننساق الى الكبرياء والتشامخ معتدين بما حققناه وضحينا من اجله ومتفاخرين بفضائلنا حتى وباتضاعنا احياناً . ان مثل هذه الكبرياء هو أعدى اعدائنا . انه يقطع اوصال خضوعنا لله والاتكال عليه . انه يجرنا الى الغرور والجشع والباطل والانانية جادين وراء الضمانات المادية



بالشروط التي نعليها نحن . ان هذه الكبرياء ، وبالاخص ببرنا الذاتي ، يهدد كل ما يمكن ان يعمل الله من اجلنا وبواسطتنا .

ولكننا نرى يسوع ... حينما نقابل انفسنا ببعض الجيران - وكثيراً ما ننظر اليهم نظرة خاطئة - قد نظن باننا صالحون ولا غبار علينا ولا تثريب . ولكن جيراننا ليسوا المثل الأعلى الذي يضعه الله امامنا والذي ينتظره منا : ينبغي ان نتطلع الى يسوع للحصول على النموذج الكامل . فحينما ننظر اليه نرى محبته التي لا توصف ونرى طهارته وتواضعه وتسليمه المطلق لارادة ابيه السماوي عند ذاك اي متسع يبقى لدينا للاكتفاء الذاتي ؟ وهذا ما ذهب اليه « اسحق وات » في ترنيمة التي ترجمتها :

|                   |                    |
|-------------------|--------------------|
| حين ارى صليب من   | قضى فحاز الانتصار  |
| رجي ارى خسارة     | وكل مجد الكون عار  |
| ياربي لا تسمح بان | افخر الا بالصليب   |
| مكرساً نفسي وما   | املك للفادي الحبيب |

اننا نعيش في عصر كثير فيه النزاع بين البشر . فالصراع الدائر بسبب التفرقة العنصرية ، والمشادة القائمة بين الصناعات والتقنيات العالية ، والصراع بين الشبية والمتقدمين وبين الجيران وبين الأمم - ان هذا الصراع يمزق مجتمعنا شر تمزيق وينذر باندلاع نار حرب ضروس تكون حرب افناء فتأكل الاخضر واليابس معاً . وهكذا نسمع اصواتاً مكثرة من الشبهة والشك والكراهية ويتعذر علينا ان نقى انفسنا من قواتها المخربة .

ولكننا نرى يسوع ... نراه مصلياً لأجل اولئك الذين كانوا يجلدونه

ويعذبونه ويصلبونه ويميتونه طالباً لهم الغفران لأنهم لا يعلمون ماذا يعملون . ونسمعه يدعونا من الشريعة القديمة - شريعة الاخذ بالثأر والعين بالعين والسن بالسن - الى شريعة المحبة المتساهلة . فيوجه لنا كما للناس القدماء قوله :

سمعت انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . واما انا فاقول لكم : احبوا اعداءكم . باركوا لاعنيكم . احسنوا الى مبغضيك . وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم . لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السموات . فانه يشرق شمسك على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين ( مت ٥ : ٤٣ - ٤٥ ) .

وما زال وادي ظل الموت امامنا وعلينا ان نعبده . والناس في هذا العصر غير راغبين بان يواجهوا هذا المصير بهدوء ورزاق وقد نحاول صرف هذه الحقيقة عنا بالفكاهات وسرد النوادر والملح او بمراقبة المصارعة على شاشة التلفزيون متجنبين الاقرار بحقيقة الموت . ومع ذلك فقلما نستطيع ان نخفي جزعنا من الموت المتسلط على الجميع . ان محاولاتنا اليائسة لاختفاء حقيقة اعمارنا وللظهور اصغر سنّاً مما نحن وطلبنا من الذين يقولون دفن موتانا اخفاء الشحوب البادي على وجوه احبائنا الراحلين ، وتجنبنا ذكر ما يمت بصلة الى الموت او يجعله يخطر بالبال في الموسيقى الكنسية وفي المواعظ والصلوات التي نقدمها جميعاً تظهر بقوة تلك المخاوف التي تحاول الجماهير التهرب منها والابتعاد عنها .

ولكننا نرى يسوع ... ليس انه مشى مثبتاً وجهه نحو صليب الجلجثة ولكنه مات هناك بكل ايمان وولاء . فهل كان هو الآخر فريسة لذلك

العدو الخيف ؟ قد يمكن ان يظهر الأمر هكذا غير انه الحقيقة انه قد قام المسيح من الاموات وصار باكورة الراقدين . فانه اذ الموت بانسان بانسان ايضاً قيامة الاموات ( اكو ١٥ : ٢٠ - ٢١ ) .

## ٢ - نظرة جديدة الى الانسان

حيناً تعترضنا المشاكل المعقدة كثيراً ما نسمع في تفسيرها القول التالي : يتعذر علينا تغيير الطبيعة البشرية . واما يسوع فعاش نوعاً جديداً من الحياة وكان رائداً لحياة بشرية مجددة وفتح الباب امام الآخرين ايضاً وعلّمهم بالانكسار في الحياة الكاملة داعماً تعاليمه بالمثل الصالح الذي قدمه بنفسه وقال : فكونوا انتم كاملين كما ان اباكم الذي في السموات هو كامل ( مت ٥ : ٤٨ ) وعاش هو كما علم فاعتبره الملايين من المؤمنين الاله المتجسد بالذات .

لقد شاهدنا في هذا العصر كثيراً من المحاولات التي جربت ان تجرد الانسان من صفات الانسانية . ففي كثير من الصناعات الآلية اصبح الانسان مجرد آلة صماء . وفي الجماعات كما في الحكومات ينظرون الى البشر كأدوات للاستعمال و كوسيلة للوصول الى غاية وليس كغاية بحد انفسهم . وهؤلاء اصحاب المصالح يستخدمون الاعلان للتلاعب بعواطف البشر وحملهم على ابتياع سلع هم بغنى عنها وقد تضررهم بدلاً من ان تنفعهم . ان مثل هذا التصرف قد اتقنته الدعاية الشيوعية الجهنمية في البلاد الصينية واستخدمت ما يعرف « بغسل الادمغة » وتعريضها لعملية نقل المبادئ الحزبية الى الدماغ بالقوة كما نتعرض لها نحن يومياً في مطالعنا المجلات المشبوهة او في اصغائنا للبرامج التلفزيونية كل يوم .

وفي مثل هذه الاوقات التي نعيشها يصعب علينا عدم الاشتراك مع  
المحتكرين في استخدامنا الآخرين لتنفيذ غاياتنا الخاصة . وليس من احد  
يستطيع ان يحقر الآخرين بدون ان يحقر انسانيته بالذات .

كذلك نحاول بعض تعاليم علم النفس بان تؤثر في ادراكنا لطبيعة  
الانسان . فالبشر يحسبون مجرد آلات او جماعات لدوافع عاطفية غامضة  
تكون مستقلة عن قوانا العاقلة ولا تخضع لسلطان سيادتنا عليها . ان مثل  
هذه النظريات تشجع التسليم الادبي والانكسار الروحي . اما حياة  
يسوع وتعاليمه فتعطينا نظرة مختلفة تماماً . فقد عاش نفسه مجرية وجمال  
مقدماً رؤى ادبية جديدة من المرتفعات الروحية التي عليها يستطيع  
السكان البشرى ان يحيا بكامل الخضوع والتسليم لله . وفي الوقت ذاته  
اظهر اهتماماً كلياً بالآخرين حتى سما بضمون معنى المحبة الاخوية الى  
اسمى درجات السمو والارتفاع .

فكم هو جميل ان نتبه لذلك التحذير بان : نطرح كل ثقل والخطية  
المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع امامنا . ناظرين الى  
رئيس الايمان ومكمله يسوع الذي من اجل السرور الموضوع امامه  
احتمل الصليب مستهيناً بالحزى فجلس في يمين عرش الله ( عب ١٢ :  
١ - ٢ ) .

### ٣ - التغير بالصليب

ان اشد عقبة وقفت في وجه قبول المسيح سيداً ورباً في القرن الاول  
المسيحي هو انه حكم عليه ومات على الصليب اذ كيف يستطيع المرء ان

يقتنع بان رجلاً نفذ فيه حكم الاعدام صلباً كان الشخص الذي وقع عليه اختيار الله ؟ ان ذلك حسب جهالة كبرى عند اليونانيين المثقفين وعثرة لليهود الذين اعتبروا الله شخصاً لا يدنى من جلاله ومجده وعظمته وقدرته وسلطانه وكانوا ينتظرون آيات وعجائب ترافق مجيء المخلص العتيد . حتى المسيحيين الاولين لم يقللوا من اهمية الصليب فجعلوه محور تبشيرهم وعبادتهم وايمانهم فيستطيع بولس ان يصرح بهذه الحقيقة :

لان اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة ولكننا نحن نركز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولل يونانيين جهالة واما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله . لان جهالة الله احكم من الناس وضعف الله اقوى من الناس ( ١ كو ١ : ٢٢ - ٢٥ ) .

فما كان يظهر ضعفاً في الانجيل صار فعلاً محور قوته ولذلك يرغب المسيحيون في كل مكان :

|                 |                   |
|-----------------|-------------------|
| حين ارى صليب من | قضى فحاز الانتصار |
| ربحي ارى خسارة  | وكل مجد الكون عار |

فما معنى الصليب يا ترى ؟

انه اولا دينونة الله للخطية . ففي صليب الجلجثة نرى عمق عداوة الانسان لله . فهناك كان جماعة من الرؤساء الصالحين بحسب المقاييس البشرية ، والمسؤولين عن قيادة الشعب دينياً وحكومياً . وهنالك رجال



عسكريون يقومون بتنفيذ الاوامر ويتممون واجباتهم بامانة واخلاص في خدمة القصر الروماني . وهنالك بيلاطس الوالي الذي كان يحاول ان يخلص ذلك الانسان بعد ان تحقق من براءته وعرف مقدار التحامل الذي اظهره الرؤساء للتخلص منه ولكنه خاف من سوء العاقبة ومن حدوث شغب في الشعب . وهنالك ايضاً وقف تلاميذ احبوه ورافقوه وتركوا كل شيء وتبعوه وحينما قبضوا عليه انصرفوا عنه منهزمين (مر ١٤: ٥٠) . ولو شهد بعضهم المحاكمة ووقفوا مدافعين عنه وداحضين شهادات الزور والافتراء التي وجهت اليه لربما كانوا غيروا مجرى المحاكمة وساعدوا بيلاطس على الوقوف بثبات في وجه التعدي . ولكنهم لم يكونوا هناك .

ان اولئك القوم الذين سبوا موت ابن الله كانوا بالحقيقة اناساً نظيرنا . فلقد كانوا جميعاً قائمين بوظائفهم التقليدية ومحافظين على رغباتهم الشخصية وعلى عادات ورتوها عن بيتهم وعن مجتمعهم ولم يكن الى جانب الله والى جانب الحياة الابدية سوى يسوع وحده .

هل كنت هناك حين صلبوا سيدي ???

اننا نقف امام الجليئة مذنبين وخطاة مجرمين وهو ما كان ضرورياً لخلاصنا . ان اتكأنا على برنا الذاتي وعلى مقدرتنا واعمالنا ينبغي ان نتحطم كلها لان في الله وحده خلاصنا .

ومع ذلك اذا كنا محطمين ويائسين وبدون حيلة قد نغرق في حمأة تبكيت الضمير تصل بنا الى شفير الهاوية فيما نكون احوج الى شيء

آخر . نحن بحاجة الى رجاء . . . الى رجاء بالله الذي يكون حافظاً لنا ويوجهنا نحو غنى الحياة الفضلى التي جاء المسيح ليمنحنا اياها .

لقد حصل الكثيرون على مثل هذا الرجاء امام قاعدة الصليب الذي حطم جميع مباهجهم بادانته اياهم لان يسوع على الصليب يصلي لاييه السماوي قائلاً : يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون ( لو ٢٣ : ٣٢ ) وبصلاته هذه نتأكد بانه كان يخاطب قلب الآب السماوي كما كان يفعل بتعاليمه وافعاله وسيرة حياته . اننا لا نلمس هنا روحاً مساحية لانسان مائت ولكننا نلمس هبة غفران الله بالذات .

فطوبى لأولئك الذين يكتشون طويلاً عند الصليب ليطهروا كبرياءهم ولينزعوا عنهم برهم الذاتي ويرفعوا رجاءهم الى محبة الله الغافره . حينذاك يصرخون من اعماق قلوبهم : اللهم ارحمني انا الخاطيء ( لو ١٨ : ١٣ ) . ان توبة صادقة كهذه التي تحمل الخاطيء على ان يطرح نفسه على الله وحده لا يمكن ان تذهب عبثاً .

وحينما نرجع بالتوبة نحصل على غفران الله . فهو الآب المحب الذي طالما انتظر بشوق ولهفة عودة ابنائه الضالين ليدفنوا كبرياءهم وليعودوا الى الحمى الوالدي ( لو ١٥ : ١١ - ٢٤ ) . ان غفرانه هذا يعطى مجاناً وبدون حد وبغير قيد او شرط . ان مثل هذا الغفران يجعل كل شيء جديداً لدى الشخص الذي يتقبله بالايان . والانسان الخاطيء يعلم جيداً ان في المقابلة التي تحصل بين الوالد وولده لا يحسب حساباً لشيء بل بفرح وشكر يولد ثانية الى حياة جديدة لا بحسب شروط الناس القائمة على الضغط والمساومة ولكن بموجب شروط محبة الله الخالدة . فتصير خدمة

الله التي كانت تظهر له مستهجنة من قبل مظهراً جميلاً من الاعتراف بشكر  
الله والولاء التام له .

فالانسان المتجدد والمولود ثانية بالروح لا ينبغي ان يخشى من اي  
شيء او اي كان اذ هو مصالح مع الله والله يصبح حافظاً له . وفي الوقت  
نفسه يكون هذا المتجدد سعيداً لخدم جميع الناس بكل تواضع اذ لا  
حاجة له ليجد مكافئاً للحصول على الشهرة او المكانة العالمية . لذلك ينبغي  
ان تلغى فكرة السباق القديمة التي تتطلب المنافسة مع الجيران والتفوق  
على الاقران لانه الآن يكون قد تحرر من مثل هذه الحاجات . وبقلب  
موحد يطلب خدمة الله الذي منحه هذا التجديد في الحياة .

#### ٤ - مقام في مجد ( ١ كو ١٥ : ٤٣ ) .

ان الكتاب المقدس غير واضح من جهة مصير اولئك الذين يرفضون  
محبة الله . ففي العهد القديم لا نجد نصاً صريحاً في هذا الموضوع باستثناء  
ما ورد في سفر دانيال ١٢ : ٢ عن اولئك الذين سيستيقظون الى العار  
للزدرء الادبي . كذلك في معظم كتابات العهد الجديد الاولى المنسوبة  
الى الرسول بولس لا نعثّر على تعليم بشأن القصاص المؤبد ولكننا نجد  
غالباً مقابلة بين الموت والحياة . ومن ابرز تعاليم بولس ما ورد في (رو ٦ :  
٢٣ ) لان اجرة الخطية هي موت . واما هبة الله فهي حياة ابدية بالمسيح  
يسوع ربنا . وفي اقدم الاناجيل ، ونعني به انجيل مرقس ، نجد شيئاً  
قليلاً جداً عن العذاب الابدي ولا نجد نصاً حرفياً غير ملتبس . وكذلك

في انجيل يوحنا لا نجد سوى المقابلة بين النور والظلمة وبين الحياة والموت .

ان هذا يعطينا بعض الاسباب للاعتقاد بان الاقوال المنسوبة الى السيد المسيح في الانجيلي متى ولوقا وما جاء في سفر الرؤيا بخصوص العذاب الابدي انما تعود الى غير الكنيسة الاولى وحماسها في وقت الاضطهاد محاولة ان تحمل ابناءها على التمسك بالايمان وكبح جماح غيظهم في وجه المضطهدين . ثم ان في الترجمات القديمة للكتاب المقدس لم يقصد بكلمة جهنم سوى مقر الاموات ككلمة الجحيم في اليونانية او الهاوية او عالم الاموات وقد ساعدت تلك الفقرات على المغالاة في ابراز فكرة العقاب المؤبد في الانجيل . ان لهذه الفكرة مكاناً مبهماً في الكتاب المقدس ولم تظهر في تاريخ الكنيسة الاولى ولا في دساتير ايمانها وعقائدها ويظهر ان كثيراً من نصوص العهد الجديد تنقضها في وصفها ملك يسوع النهائي شاملاً لجميع البشر . فبولس الرسول يكتب من السجن قبيل استشهاده:

لذلك رفعه الله ايضاً واعطاه اسماً فوق كل اسم . لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الارض ومن تحت الارض . ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب ( في ٢ : ٩ - ١١ ) .

وليس على اولئك الذين يعيشون بحسب مراحم الله ويجتهدون بان يأتوا بالآخرين لتسليم حياتهم وتكريسها في خدمته ان يهتموا في كيفية التي سيعامل الله بها اولئك الذين لم يعرفوا المسيح . فالانجيل هو كلمة الله للخلاص وليس للهلاك .

ومن ناحية اخرى نرى بان الانجيل والاختبار يدلاننا على أن الخطية هي مصدر الصراع والشر والألم والحزن والحماقة والطيش في هذه الحياة كما ان لدينا الدليل القاطع بان نتائجها الوخيمة ستستمر حتى بعد القبر طالما بقي التمرد على الله مرعياً .

والعهد الجديد جلي جداً وواضح المعالم ومتماسك في تعاليمه بان اولئك الذين يدخلون في شركة محبة الله ويصبحون تجاري لهذه المحبة في العالم سيسكنون معه الى الابد .

اما في هذه الايام التي تجمعت فيها اصناف المادة لخدمة رغبات الانسان والتسلط على جميع اهتماماته فيجد الكثيرون صعوبة في تصديق امكانية وجود حياة ثانية بعد الموت . والفكرة القائلة بانفصال الروح عن الجسد او الوجود اللاشعوري بدون وسائل للعمل او للاتصال تظهر كأنها فكرة غير مقنعة وغير عملية . زد على ذلك ان الكتاب المقدس خالٍ من مثل هذه العقيدة وليس ما يؤيدها في جميع اسفاره .

ان اتكأنا الحاضر على الله في تفكيرنا وشعورنا وإرادتنا متوقف على الله بالذات لانه هو صانعنا وحافظنا جسداً وروحاً كما انه مصدر حياتنا وبه نحيا ونتحرك ونوجد . فاذا اراد الله، وهو الذي منحنا هذا الجسد الحاضر، الا يقدر ايضاً ان يجهزنا باجساد توافق احتياجاتنا حينما تنتهي حياتنا هنا على الارض ؟ وهذا ما يؤيده الرسول بولس حينما يشرح لنا في رسالته الاولى الى اهل كورنثوس ( ١٥ : ٣٥ - ٣٧ ) قدرة الله على صنع اجساد متنوعة . ولاننا نعرف التي لنا في المسيح يسوع ابنه نتأكد بانه سيستخدم هذه القدرة ليمنحنا كل ما نحتاج اليه في الحياة الابدية .  
وجميع الفنون التي لا تدر كها سوى السماء قائلين :



آمين . البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة  
والقوة لاهنا الى ابد الابد - آمين . ( رؤ ٧ : ١٢ ) .  
لأننا نعلم انه ان نقض بيت خيمتنا الارضي فلنا في السموات بناء  
من الله بيت غير مصنوع بيد ابدي ( ٢ كو ٥ : ١ ) ،  
ان هذا ليس مجرد بقاء . فلقد يكون عبثاً كبيراً بان نجيا للابد  
برغبات مقيدة بالوقت وبوحشة وانفراد وخوف وعبث - فهذه تشكل  
جحيماً بعينه . فبدون الشركة مع الاله الازلي ومشاطرته الموارد  
الغنية التي لا تنضب ستكون الحياة الابدية غير مقبولة ولا معقولة ولا غرارة  
ويسوع هو الذي اعلن لنا هذا الأمل وهو الذي فتح الباب امامنا  
للوصول اليه وتحقيقه . ونحن نتنظر بشوق لان نكون معه في تلك  
الحياة الفضلى :

لا تضرب قلوبكم . انتم تؤمنون بالله فأمنوا بي . في بيت ابي  
منازل كثيرة . والا فاني كنت قد قلت لكم . انا امضي لاعد لكم  
مكاناً . وان مضيت واعدت لكم مكاناً آتي ايضاً وأخذكم  
الي حتى حيث اكون انا تكونون انتم ايضاً ( يو ١٤ : ١ - ٣ ) .  
هناك سنكون في شركة معه ومع احبائنا الذين سبقونا الى  
ديار المجد ومع زمر المؤمنين من رجال ونساء . فما ابهج ذلك  
اليوم الذي سنشارك فيه معه ومع جميع المطوبين - ذلك الجمع  
الذي لا يستطيع احد ان يعده من كل الامم والقبائل والشعوب  
والالسنه ( رؤ ٧ : ٩ ) حيث ستمجده بحياتنا وتسايحنا وانغامنا  
وجميع الفنون التي لا تدركها سوى السماء قائلين :  
آمين . البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوة  
لاهنا الى الابد - آمين . ( رؤ ٧ : ١٢ ) .

## الجزء الثالث

### ٨

مع الله

## المعزي

### ١ - من يسير في الظلام

ومع كوننا اتينا من الله خالقنا وصانعنا من العدم ، ومع انه يبّين لنا هدفنا الصحيح في شخص يسوع المسيح ، فلا يزال هنالك جماهير غفيرة من البشر يتخبطون في الظلام . فنقرأ في ( يو ١٢ : ٣٥ ) قول السيد والذي يسير في الظلام لا يعلم الى اين يذهب . آه كم من اناس يمكن ان يقال عنهم هذا الكلام وتنطبق عليهم هذه الحقيقة المؤلمة !!

حقاً اننا محاطون بظلمة حالكة من كل صوب . فالصغار يأتون الى هذا العالم في ضعف الطفولة معتمدين كلياً على والديهم الذين كثيراً ما يخفقون في اداء مسؤولياتهم كوالدين . وكثيراً ما يبدأ الاولاد حياتهم بشيء من العطب العقلي او الجسدي وقد تلازمهم العلل منذ الطفولة بسبب نكبة او مرض او حادث اصطدام قبل ان يبدأوا مباشرة بالوقوف

على اسرار الحياة . وكثيراً ما يتألمون بسبب سوء تصرف الكبار امامهم  
والاساءة الى ارواحهم وتشويه عواطفهم الغضة بالقذوة العاطلة وبواسطة  
المؤسسات المغلفة بالآثام والشرور .

وفي انتقاهم الى طور الحداثة يكونون في امس الحاجة الى تحقيق  
ذواتهم . الا انهم كثيراً ما يصادفون مقاومة شديدة من والديهم وذويهم  
ومدبري امورهم وقلماء يفلحون في تلك المحاولات دون اقتباس بعض  
العادات السيئة وتبني ضروب من طرق التفكير الرديئة . وفي حداتهم  
يقابلون العالم الشرير حولهم مصوباً نحوهم نيران بطارياته الثقيلة من التجارب  
والاخطار والخاوف قبل بلوغهم سن المراهقة فسن الرشد . فكل بدعة  
جديدة يصطدمون بها في هذه المرحلة يتصورونها طرافة ينبغي تقليدها  
كأحدث نموذج لمظاهر المدنية العصرية والنجاح المادي . فهم مدعوون  
ليعيشوا في صخب دائم من الضجيج المشتت للفكر في وسط غمرة من  
الاضواء الباهرة ينخسف فيها صوت الضمير ويختفي فيها صوت الله . وفي  
الوقت ذاته تواجه الشبيبة تهديدات الطامة الكبرى حين تأخذ امتهم في  
الاستعداد لحوض حرب ضروس ربما كانت حرب افناء عام وتدمير لجميع  
معالم المدنية . ولا يكفي ان يكونوا هم مهددين بالخراب الشامل ولكن  
عليهم ان يكونوا على استعداد لانزال الدمار بغيرهم حيناً تدعوهم بلادهم  
لتسديد الضربات الشديدة على الاعداء . وهكذا يمكن القول ان الشباب  
بوجه الاجمال وفي كل مكان معرضون للسير في الظلام وهم لا يعلمون الى  
اين يذهبون .

وفي طور البلوغ يجد الكثيرون من الناس انفسهم عالقين في اشراك  
قوى الظلام . ففي محاولتهم اقتناء ما يخفف عنهم اعباء العمل الشاق وينجهم

الراحة بصورة أوفر، وفي سعي النساء للحصول على النفوذ ومظاهر النجاح لازواجهن واولادهن تحد المنافسة غير المشروعة كل جهد لايجاد البيئـة الاجتماعية الصالحة والسلام الحقيقي . فكثير من المطالبـة الادبية لا تحصل الا بالمساومات والتسويات الخالفة للوجدان . ولكن لدى الوصول الى الدواسة ( وهي آلة تدار بالدوس لتعذيب المذنبين ) لا يرى الاسرى طريقاً للنجاة افضل من الاسراع اليها للحصول على حريتهم التي تنقـص امامهم كلما جدوا في اثرها . وهكذا كلما جد البشر جاهدين للحصول على الضمانات وتكديس القوى والنفوذ شعروا بالخطر اكثر من السابق واحسوا بعدم الركون الى تلك الضمانات المنشودة . وفي الوقت ذاته يذهب القسم الاكبر من دخلهم الى محاولة الامة الحصول على الضمانة الجماعية بواسطة القوة التخريبية - تلك القوة التي تهدد جميع ما يودون الذود عنه .

وفي سن الشيخوخة حين تكثر الـاوجاع تضعف القوى الجسدية وتفقد الحواس ويصبح الموت على قاب قوسين او اقرب مهدداً بوجهه الكالـح وقبضته الخفيفة التي تترك اثرها في النفوس وعلى حيا اولئك المسنين وفي حركاتهم وسكناتهم الثقيلة فتراهم وقد شارفت شمس العمر على المغيب يدبون حثيثاً نحو المصير الابددي دون ان يكون عندهم شوق اليه . فلا عجب اذن ان يصل اكثر الناس الى النتيجة التي عبر عنها صاحب الجامعة في تشاؤمه حيث يقول : رأيت كل الاعمال التي عملت تحت الشمس فاذا الكل باطل وقبض الريح ( جا ١ : ١٤ ) .

فهل النجاة من العبث يا ترى مجرد وعد للمستقبل وهل كل ما بامكان الله ان يفعله من اجلنا ان يضع لنا هدفاً مثالياً هو ابعد من ان نصل اليه

او ندركه في هذه الحياة ؟ وفيما نحن سائرون في الطريق الطويل ، ابتداء  
من الدرك الذي وصلت اليه الانسانية في ابتعادها عن الله ، هل نسير نحو  
مدينة الله المقدسة التي هي تعبير لاسمى معانينا وانبل غاياتنا واجد رجاء  
لنا - هل نسير وحدنا يا ترى ؟

## ٢ - المعزي

يروى لنا البشير يوحنا في انجيله ان يسوع قبيل موته وعد تلاميذه  
قائلاً : بهذا كلمتكم وانا عنكم . واما المعزي الروح القدس الذي سيرسله  
الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم ( يو ١٤ :  
٢٥ - ٢٦ ) .

ان الكلمة اليونانية المعزي او المشير تشتق من اصل كلمة معناها  
تقديم المساعدة . فالبراقليط الذي وعد بارساله الرب يسوع هو مساعد .  
فهو لا يعزينا فحسب ولكنه يرشدنا ويشجعنا ويعلمنا . ان الروح القدس  
ينحنا كل هذه الانواع من المساعدة وبالاكثر يمنحها لاولئك  
الذين يطلبونه ويدعونه بالحق .

والروح الالهي كان وما يزال عاملاً في جميع الاماكن والازمان  
وبين جميع الشعوب وسائر البلدان . فالعهد الجديد يصف الروح ملهماً  
ومتكلماً بواسطة عدد من انبياء العهد القديم وكتبة الاسفار كما نقرأ في  
( مت ١٢ : ٣٦ ) وفي ( عب ٣ : ٧ - ١١ ) . كذلك يذكر الرسول  
بولس الروح القدس معداً قلوب الناس لسماع كلمة البشارة . وحيثما  
وصف الله حاضراً في قلوب البشر ذلك الحضور بالذات دعي بحضور



الروح القدس . وكذلك الله الذي هو دوماً حاضراً في كل مكان يدعى بالروح القدس .

وبعد ان اتم يسوع رسالته وارتفع عن تلاميذه بالجسد حصلوا على اختبار عظيم لعمل الروح القدس بينهم . فلم يجدد الله حضوره الدائم معهم حتى في اوقات الشدة والاضطهاد ولكنه جاء يحمل لهم المعنى الجديد الذي منحهم اياه يسوع فشعروا كأن يسوع بشخصه كان حاضراً معهم في كل حين بدون ان تحده عوامل جغرافية او زمنية وقد عبر عن هذه الفكرة بولس بقوله : واما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية ( ٢ كو ٣ : ١٧ ) .

ومع ان البشر ضلوا بعيداً عن الله الا انه لم ينقطع عن طلبهم منتظراً عودتهم اليه . ولأولئك الذين يجدونه بالمسيح ويحصلون على الغفران بالصلب يعلن الله لهم حضوره باستمرار .. اذن لسنا بعد وحدنا لان الله معنا . وفي نهاية خدمته الارضية قال لهم يسوع : وها انا معكم كل الايام والى انقضاء الدهر ( مت ٢٨ : ٢٠ ) . وذلك الاله الذي عمل وتكلم مدافعاً عنا بالمسيح هو باقٍ معنا طول الايام والى ابد الآبدين .

ان اول اختبار للتلاميذ بجول الروح القدس في وسطهم بعد ظهور يسوع الاخير لهم ببضعة اسابيع جرى فيما كانوا يحتفلون بذكرى عيد الحصاد الذي كان اليهود يعيدونه بعد الفصح بخمسين يوماً ولذلك دعي بعيد الخمسين . وقد وردت الحادثة في الاصحاح الثاني من سفر الاعمال الا انها كغيرها من الحوادث كانت عرضة للتلوين بظهور مختلف الآيات الخارقة . ولا شك ان القصد من ورائها لم يكن سوى تبيان عمل الله العجيب في

وسط الجماعة. على ان التغيير الذي طرأ عليها يعود بالاكثر الى ترداد ذكر ذلك الخبر عن جماعة بلغت أقصى حدود الحماس في اعلانهم للجهاهير الحاضرة سر قوة الله الروحية كما حصلوا عليها في ذلك الاختبار . وفي كل حادثة نجد آيات كافية قابلة للتنوع والمراجعة والمبالغة والتحقيق في روايتها في تاريخ لاحق .

وان وجدت هنالك جماعات من كل امة تحت السماء ويتكلمون بلغات مختلفة حينما حلّ عليهم الروح القدس بالبركة استطاعوا ان يتفاهموا بعضهم مع بعض وربطتهم شركة من الإلفة والمحبة ووحدة الهدف . هذا وقد بلغوا درجة من الحماس الروحي حملت اولئك المتفرجين ان يرتابوا بهم وان يستهزئوا قائلين انهم قد امتلأوا سلافة . غير ان بطرس اظهر شجاعة فائقة فوجه للجمهور رسالة الانجيل لاول مرة . ويقال انهم قبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس . وكان ذلك بدء العمل . وليس ابلغ من وصف تلك القوة التي وحدتهم ومنحتهم بهجة الشركة بواسطة الروح القدس من خاتمة الاصحاح الثاني من سفر اعمال الرسل وهو تاريخ نشأة الكنيسة المسيحية بالذات :

وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كل شيء مشتركاً . والاملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج . وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة . واذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب . وكان الرب كل يوم يضم الى الكنيسة الذين يخلصون ( اع ٢ : ٤٤ - ٤٧ ) .

### ٣ - عمل الله في القرون الاول

ان سفر اعمال الرسل الذي كتبه القديس لوقا ملحقاً لانجيله الذي دعاه الكلام الاول يدور حول قائدين عظيمين هما بطرس وبولس ولكن يمكن ان يقال بكل احترام ووقار ان بطل هذا السفر الجليل هو الروح القدس بالذات ومن الواضح الجلي بأن الايمان بحضور الله مع الرسل وقدرته التي ظهرت في وسطهم هما اللذان ارشدهم واصلاحهم وسندا اعمالهم ومكناهم من عمل امور خارقة لا يستطيع البشر العاديون ان يعملوها. وهكذا اوصلوا عمل المسيح الى بلدان كثيرة وعملوا على نشر الانجيل في العالم القديم المعروف آنذاك وخنمروا المجتمع بخميرة الايمان المسيحي في كل مكان .

ولسنا نقصر على رواية لوقا للوقوف على تلك الحوادث التي رافقت الكنيسة في العصر الاول المسيحي ، فجميع الكتابات في العهد الجديد من ثمار تلك الكنيسة ما خلا جزءاً قليلاً من تلك الاسفار كان نتاج القرن الثاني المسيحي . حتى الاناجيل نفسها تروي لنا الكثير عن ايمان الكنيسة الأولى كما اننا نجد معيناً غنياً من المعلومات في الرسائل التي كتبها بولس الرسول للكنائس المختلفة التي اسسها وزارها وكان له شأن معها .

ان موضوع كل رسالة يحدثنا عن حالة الكنيسة التي وجهت اليها . ففي رسالته الى اهل غلاطية ( ٤٨ - ٥٠ ب . م . ) يوبخ الرسول بولس الشعب لتبنيهم تعاليم تسربت اليهم بسهولة بعد زيارته الاولى لهم مؤداها ان المسيحيين ينبغي ان يخضعوا ايضاً للشرعية الموسوية ويتقيدوا بتطبيق احكامها وهذا الموضوع يحمله على الاستشهاد بلوحة تاريخية ليست بذات

قيمة عن المجمع الاورشليمي الاول ومعالجة العقيدة اللاهوتية الهامة عن  
التبرير بالايمان لا بالاعمال وعن العلاقة الشخصية بالله والايمان به بخضوع  
وتسليم تامين لا ان يتقيد بالناموس الحرفي ويستعبد لنصوصه واحكامه  
وفي رسالته الاولى الى اهل تسالونيكى ( ٥٠ ب. م. ) يتحدث  
بولس عن خيسته في تنفيذ رغبة عزيزة عنده للقيام بزيارة ثانية لهم ويذكر  
التقارير المشجعة التي وصلتته عن ايمانهم وعن اعمالهم . وهو يتوقع مجيء  
المسيح الثانى بسرعة . وبما انه لا يمكن تحديد ذلك الموعد بالضبط فهو  
يحثهم على ان يبقوا مستعدين دوماً لابسين درع الايمان والمحبة وخوذة هي  
رجاء الخلاص . اما رسالته الثانية للكنيسة فكانت لتسكين وتلطيف  
روعتهم التي حصلت من توقعهم مجيء يوم الرب بسرعة وقرب نهاية العالم  
فبولس يرى من الضرورة ان ينصرف الناس الى اعمالهم بهدوء واضعين  
كل ثقتهم بالله الذي بيده جميع حوادث المستقبل .

واما الرسالتان الاولى والثانية الى اهل كورنثوس فكانتا موجّهتين  
الى كنيسة منقسمة على ذاتها بسبب العقائد وممارسة الطقوس . فيكتب  
بولس معالماً تلك القضايا ولكنه يشدد بالاكثر على وحدة الايمان بالمسيح  
والحاجة الى وضع المحبة وخير الكنيسة فوق كل كبرياء وآراء شخصية .

ورسالة بولس الرسول الى اهل رومية عبارة عن بيان صريح منظم  
للعقيدة المسيحية كما نجدها في العهد الجديد . على انها كتبت لمعالجة الخلافات  
الناشبة بين اليهود والمنتصرين من الامم كما وصلت اخبارها الى الرسول .  
فيعالج في الاحد عشر اصحاحاً الاول سيادة الله على احداث التاريخ  
والطريقة العجيبة التي استخدم فيها احياناً اليهود واحياناً اخرى الامم لتتميم  
مقاصده الالهية . ثم يعود الى موضوع وحدة الكنيسة والحاجة الى وفرة

المحبة والصبر والاحتمال للحفاظ على وحدة الحياة وعلى الشهادة صحيحة  
وكاملة .

والرسالتان الى اهل كولوسي واهل فيلي كُتبتا من السجن حيث  
كان بولس ينتظر مصيراً مجهولاً فيؤ كد لهم محبته واهتمامه بهم ويخبرهم  
كما يؤ كد ثقته الكاملة بالله واستعداده لان يحيا او يموت لاجل مجد  
المسيح . وقوة الروح القدس في حياة الكنيسة يقررهما الرسول في كتابته  
بصورة رائعة وهو يدرك انه قد يطلق سراحه او يقدم لتنفيذ حكم الاعدام  
فيه في اي وقت ولكنه يلهم في كل حين ويردد بفرح عظيم آيات الشكر  
والحمد والامتنان للامان الذي يملأ كل حياته .

وثمة رسالة اخرى كتبها بولس من السجن كانت موجهة الى شخص  
يدعى فليمون ارسل اليه عبداً اسمه انسيمس كان قد هرب من سلطة سيده  
وكان بولس قد اقنع انسيمس بالعودة الى سيده مؤكداً له بثقة ان فليمون  
سوف لن يعيده الى خدمته كعبد بل كأخ محبوب : لا كعبد في ما  
بعد بل افضل من عبد اخاً محبوباً ولا سيما الى فكم بالحري اليك في الجسد  
والرب جميعاً ( ١٦ )

واما الرسالة الى اهل افسس فقد يكون حقاً ان بولس الرسول كتبها  
من سجنه . على ان بعض العلماء يرجحون بأنها ليست له مع انها تحمل اسمه  
وتحتوي على كثير من المشابهات لرسائله التي لا اعتراض عليها . وعلى كل  
حال فهي سجل حافل بالنصائح القيمة والدعوة للتمسك بالوداعة والوحدة  
مع كثير من الارشادات للحياة القوية والمستقيمة وسط بيئة وثنية مناوئة .

حتى الاناجيل ، وجميعها كتبت بعد موت بولس الرسول في رومية  
حوالي السنة ٦٥ ب. م تقدم لنا بعض البينات عن نشوء الكنيسة الاولى



وامتدادها في القرن الأول الميلادي . فبعض التقارير الواردة في اقدم الاناجيل ، ونعني به انجيل مرقس ( حوالي ٧٠ - ب . م . ) تظهر مديحة ومزخرفة بعض الشيء في انجيل متى ( ٨٥ - ٩٠ ) وانجيل لوقا ( ٨٥ - ٩٠ ) ولربما عاد السبب الى انتشار الروايات الشفهية ووفرة التقاليد . على انه من المؤكد ايضاً ان الانجيليين الآخرين اعتمدوا على مصادر اخرى مجهولة عندنا بالاضافة الى اعتمادهما على انجيل مرقس بالذات . اما يوحنا ، ويرجح بانه كتب حوالي ( ٩٠ - ٩٥ ) فيقدم بياناً ظاهراً عن الانشقاق الذي حصل بين اليهود وبين الكنيسة المسيحية الناشئة . ففي زمن يسوع كان من المستهجن حقاً ان يشار الى اليهود مراراً وتكراراً وكأنهم اعداء المسيح لانه هو نفسه كان يهودياً وكذلك كان اتباعه الاولون . والحق يقال بان يسوع نفسه كان يواظب على اجتماعات المجمع حسب عاداته ايام السبوت ( لو ٤ : ١٦ ) . وفي متى ولوقا وسفر الاعمال نجد علامات لاتساع شقة الخلاف بين المسيحيين وبين اليهود كما يقدم يوحنا توضيحاً قاطعاً عن ذلك . واما رسائله الثلاث فتشدد على صدق العقيدة وعلى وجوب ممارسة المحبة الاخوية .

ورسالة يعقوب الرسول ( ٩٠ ) تقدم تعاليم عملية وصارمة ولربما كانت موجهة ضد موضوع التشديد على الخلاص بالايمان الذي عالجها الرسول بولس في تعاليمه وعلى حرية الحياة المسيحية . وقد استخدم بعضهم تلك التعاليم كعذر للاهمال الادبي الذي لم يكن يقبله الرسول بولس او يسمح به ( غل ٥ : ١٦ - ٢١ ) .

ورسالة بطرس الاولى كرسالة يعقوب قد كتبت الى المؤمنين من

المسيحيين اجمالاً . وهي حافلة بالتعاليم العقائدية والادبية هدفها تثبيت  
الايمان المسيحي وممارسته وسط المقاومة والاضطهاد .

واما الرسالة الى العبرانيين ، وكثيراً ما تنسب الى الرسول بولس  
ولكنها لا تحمل اسم منشئها ، فيعود تاريخ كتابتها على حسب رأي علماء  
الكتاب الى اواخر القرن الاول الميلادي . وهذا السفر يعنى عناية خاصة  
بربط العقيدة المسيحية الى تاريخ وتعاليم العهد القديم . ويمثل في هذه الرسالة  
المسيح رئيس كهنة يقدم نفسه ذبيحة كاملة ونهائية كفارة عن خطايا  
البشر .

وسفر الرؤيا ( ٩٥ ) وهو كتابة رمزية ، يذكرنا بسفر دانيال وما  
فيه من رموز خفية ولكنه في الوقت ذاته دعوة صريحة للصمود في وجه  
الاضطهادات عالمين ان الامبراطورية الرومانية (وهي غير مذكورة باسمها)  
ستنهار وسينال اولئك المسيحيون الذين ثبتوا في الايمان الثواب في مملكة  
المسيح السماوية .

اما رسالتا تيموثاوس وتلك التي لتيطس فتحمل اسم بولس ولكن  
علماء الكتاب المقدس يرجحون بانها كتبت في وقت متأخر ويظنون انها  
تعود الى الربع الاول من القرن الثاني . وهذه الرسائل تحتوي على تعاليم  
وارشادات مفيدة موجبة من خادم شيخ الى شركاء حديثين معه في خدمة  
الانجيل .

ورسالة يهوذا ( ١١٠ - ١٣٠ ) تحذر من تعاليم فاسدة وتحمل على  
الفجار الذين يحولون نعمة الله الى الدعارة وينكرون السيد الوحيد الله  
وربنا يسوع المسيح ( ٤ ) .

ورسالة بطرس الثانية بالرغم من التصاق اسم بطرس بها يرجحون انها كانت آخر ما كتب من اسفار العهد الجديد ( ١٣٠ - ١٥٠ ) فبين ان بعض المسيحيين كانوا مترددين من جهة ايمانهم لانهم كالرسول بولس في الايام السابقة كانوا ينتظرون مجيء يسوع المسيح الثاني الى الارض بسرعة وبصورة مظفرة . فكتب هذه الرسالة القصيرة بحث على الولاء وعلى التمسك بالعقيدة لان دينونة ستظهر واضحة وصريحة .

وخلال اسفار العهد الجديد تنعكس حياة الكنيسة الناشئة عدداً وقوة . وكانت كنيسة مضطهدة بضراوة في بعض الاوقات كما كانت عوامل من الانقسامات الداخلية تعمل على تفكيك وحدتها ولكنها صمدت بقدرة الله التي ربطت جميع المؤمنين برباط المحبة والايمان بان الله ابا ربنا يسوع المسيح كان معهم وانه سينتصر يوماً على جميع قوات الشر العاملة في العالم .

#### ٤ - اسئلة الانسان الثلاثة العظمى :

لسنا قادرين على التهرب من مواجهة هذه الاسئلة الخطيرة التي تهمننا جميعاً : من اين ؟ والى اين ؟ وكيف ؟

نحن بحاجة الى ان نعرف من اي مصدر تحدثنا . هل نحن مجرد زبد يتكسر على شاطئ بحر الوجود بطريق الصدفة ؟ ام نحن مدفوعون الى هذا العالم من قبل خالق عاقل و كلي القدرة لتتميم غاية اساسية الهية ؟ وماذا ينبغي ان تكون آمالنا واطمحنا بالنسبة لانفسنا وللآخرين ؟ ان

ذلك متوقف على معرفتنا المصدر الذي انبثقت منه والمآل الذي سينتهي اليه  
مصيرنا .

وعلينا ان ندرك مصيرنا الصحيح وما هي الغاية من حياتنا البشرية ؟  
ولا ينبغي ان نتوصل الى اكتشاف احدث الادوات التقنية ونستخدمها  
بمهارة فائقة لتتميم اهدافنا اذا كانت تلك الاهداف خاطئة . فالى اين نحن  
صائرون ؟

وغالباً ما نعبّر عن السؤال الثالث بلماذا ؟ ولكن اذا كان الهدف  
بيئياً وذا قيمة ذاتية فالسؤال الثالث لا يكون بلماذا بل بكيف . كيف  
نستطيع الوصول الى غايتنا الصحيحة ؟ وكما ان معرفة الاساليب حينما  
تكون الاهداف غامضة لا تأتي بفائدة كذلك معرفة الهدف الصحيح  
بدون اكتشاف الطريق الذي يقضي اليه ويساعد على انجاز ذلك الهدف  
يكون باطلاً ايضاً . فعلياً إذن ان نعرف الامرين معاً - الهدف والطريق  
المؤدي اليه .

#### هـ - اجوبة الله الثلاثة العظمى :

لهذه الاسئلة الثلاثة الخطيرة يقدم الله لنا ثلاثة اجوبة عظيمة يعلنها لنا  
في كتابه المقدس . وهذه الاسئلة هي الموضوع الرئيسي الذي يدور حوله  
هذا الكتاب الالهي . انه ليس مجرد كتاب علمي يبحث في خفايا العلوم  
الطبيعية واسرارها مع ان افكاراً علمية منذ اقدم الازمنة تجدد لها  
انعكاسات في هذا الكتاب مع العلم ان تلك العلوم المشار اليها والنظريات  
المنبثقة عنها تتوقف بكليتها على الاجوبة الثلاثة التي هي موضوع اهتمام

هذا الكتاب . وكذلك ليس هذا الكتاب كتاب تاريخ مع مصدر غني بالمعلومات التاريخية ذات الشأن . فقد يكون هنالك بعض الاخطاء التاريخية او بعض المبالغات في سرد الحوادث شأن جميع المصادر القديمة بوجه عام ... لا بد لنا في الاجابة على هذه الاسئلة الخطيرة من اللجوء الى رواية الحوادث التاريخية حيث نجد اجوبة الله الغنية والصريحة المتضمنة في تلك الحوادث . فليست الأهمية اذن موقوفة على رواية الحادثة بل على معناها ومغزاها وما تتضمنه من دروس روحية ومن اجوبة على تلك الاسئلة الخالدة : من اي مصدر ؟ والى اي هدف ؟ وكيف ؟

#### أ - من الله الآب .

في الجواب على السؤال الأول لم يلق الله تصريحاً خاصاً ولم يفه بقول مثل هذا القول . الله هو مصدر وجودكم ... بل اعلن نفسه باتصالات ومواجهات شخصية . وكان ذلك اشبه بصيغة تختر بمن تقبل به بعلاً من عدة اشخاص تقدموا بطلب يدها ولربما اخذت تعدد اسماءهم وتستعرض احوالهم بتمعن وتفكير لكي تدرس كلا منهم على حدة . وفيما هي كذلك ، تراجع اولئك الاشخاص واحداً بعد الآخر واذا بشخص جديد يظهر على مسرح حياتها ويدخل في صورة خيالها ويحتل كامل تفكيرها واعتبارها . ولعدة شهور التي تتقدم موعد الاقتران يكون ذلك الشخص الجواب على حيرتها لا العبارات التي تم التفاهم بواسطتها . فالجواب هو شخص وليس جملة او قولاً او تصريحاً شفهياً او مسجلاً .

وهكذا فاجواب الله لسؤالنا : «من اي مصدر نحن» لم يكن عبارة بل



كان الله نفسه تلطفاً وتكرماً مواجهاً السائل بالذات . وبعد المواجهة قد يدون السائل الجواب الذي تلقاه من الله كما فعل صاحب سفر التكوين : في البدء خلق الله السموات والارض .. او كما اجمعت كلمات المجتمعين في نيقيا سنة ٣٢٥ م . أو من ياله واحد آب ضابط الكل صانع السموات والارض .. وهذه العبارة انما تكون تقريراً بشرياً مشرقاً للرؤيا الحاصلة لا الرؤيا بعينها . فالرؤيا لم تكن سوى الله معلناً ذاته ..

وفي الجزء الاول من هذا الكتاب امتحنا معنى الاعلان الالهي بأن الحياة البشرية هي من الله . والكتاب المقدس من اقدم اسفاره الى احداثها مليء بالتأكيدات بأنه هو خالقنا وان كنا قد زغنا وضللنا عنه كغنم ضالة .

## ب - الى الله الابن

حينما نقول بأننا اتينا من الله فذلك يتضمن بأننا قد خلقنا لمقصد إلهي . فالله الذي هو إله شخصي هو بالحق أب لنا ويظهر ذاته بمقاصده . فما هو اذن مقصده الالهي لنا يا ترى ؟

لقد اظهر لنا مقاصده في الحياة شيئاً فشيئاً بواسطة انبيائه واخيراً بين لنا قصده الكامل بربنا يسوع المسيح . فيسوع هو الكلمة الذي صار جسداً وهو المقصد الاول والاخير من وجودنا ولا يمكن ان يحصر في عبارة او بيان ولكنه عاش في التاريخ كإنسان . والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجدداً كما لوحيد من الآب بملاءمة نعمة وحقاً ( يو : ١٤ ) . ومتى تطلعنا الى يسوع ندرك بالضبط مقاصد الله في

حياتنا وما يطلبه منا ان نتجزه . فالمفتاح الذي به نستطيع ادراك مغزى العالم هو الله . والمفتاح الذي به ندرك الله هو يسوع المسيح كما ان يسوع هو مفتاح فهمنا لمقاصده الالهية .

ان مقصد الله هو ان نصير مشابهي صورة ابنه ليكون هو بكرأ بين اخوة كثيرين ( رو ٨ : ٢٩ ) .

وما القصد من وجودنا ؟ لنكون مشابهي يسوع بالمحبة والتسليم الكامل للآب السماوي وبالوحدة التامة معه ؟ اذن فلنضع الى صلاته المذكورة في بشارة يوحنا ( ١٧ : ٢٠ - ٢١ ) :

ولست اسأل من اجل هؤلاء فقط بل ايضاً من اجل الذين يؤمنون بي بكلامهم . ليكون الجميع واحداً كما انك انت ايها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم ايضاً واحداً فينا ليؤمن العالم انك ارسلتني . وأنا قد اعطيتهم المجد الذي اعطيتني ليكونوا واحداً كما اننا نحن واحد .

فحينما يتحقق مقصد الله هذا يتحقق ايضاً وعده القائل : الآن نحن اولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم انه اذا اظهر نكون مثله لاننا سنراه كما هو ( ١ يو ٣ : ٢ ) . وحتى الآن يبقى مجرد هذا الانتظار والوصول الى هذا الهدف مقدمة لتتمة هذا الرجاء لان كل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر ( ١ يو ٣ : ٣ ) .

قد يعترض معترض قائلًا ان الاصحاب الذي وردت فيه هاتان الآيتان لم يرد فيه لفظة يسوع ولا الابن . وحينما يقول فيما بعد « سنصير مثله » يشير بالضمير الى الله الآب . هذا حق ويسوع نفسه اوصى تلاميذه :

فكونوا انتم كاملين كما ان اباكم الذي في السموات هو كامل (مت ٥ : ٤٨) . فنحن مطالبون بأن نصير كاملين كالآب الذي في السموات .

ولكن قد يصبح هذا مثلاً اعلى غامضاً وغير صريح لا يقبله العقل لبعده عن الصواب اذا لم نعرف معنى مشابهتنا لله وما لم يدلتنا على ذلك . من المؤكد انه لا يمكننا ان نكون مثل الله كخالق و كمشترع وكقاض لجميع البشر ومن الخطأ حقاً ان نتناول على ما هو من خصائص الله وحده من الصفات الالهية . ولكن في اي معنى نحن اذن مدعوون بان نكون مثل الله ؟

لقد يئس لنا الله بحبه بابنه الانسان يسوع المسيح . ففيه نرى الالهية الكاملة في الانسان الكامل . ان الله الابن ليس إلهاً يختلف عن الله الآب في الجوهر فهو الإله نفسه في تعبير موافق للانسان ولائق به .

على ان ثمة معنى آخر للطريقة التي يعدها الله لنا ليقودنا اليه ويصيرنا مشابهيين له فنسكن معه بفرح الى انقضاء الدهر . ولسنا غرباء بعد عن الحمى بل سنعرفه كما هو ( يو ٣ : ٢ ) فاننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه ( ١ كو ١٣ : ١٢ ) .

لقد اتينا من الله ومصيرنا الحقيقي هو ان نعود اليه بقبولنا مسؤولية مجبه . وليس هذا مجرد عودة الى حالتنا الاصلية لاننا جئنا من يد الله ببراءة وبساطة و كيسوع الذي مع كونه ابناً تعلم الطاعة بما تألم به ( عب ٥ : ٨ ) . ونحن ورثة الله ووارثون مع المسيح . ان كنا نتألم معه لكي تتمجد معه ايضاً ( رو ٨ : ١٧ ) . لم نأت الى هذا العالم بمطلق اختيارنا ولا لاستحقاق بنا او فضل لنا . ان الحياة كانت هبة الله لنا

ورجوعنا بالمجد اليه سيكون ايضاً عطية نعمته ولكن علينا ان نصل اليها  
باختيارنا ونتمتع بها بارادتنا الآن وفي كل اوان .

ومع ذلك كيف نرجو ان نتحيز ونثبت راسخين حتى نصل الى منازل  
الآب السماوي ؟ لقد عرفنا في الفصل السابق كيف مهد لنا يسوع على  
الصليب طريق المصالحة مع ابيه السماوي ولكننا بحاجة الى اكثر من ذلك  
اننا نحتاج الى مساعدة يومية والى هداية وارشاد فكيف نحصل على ذلك ؟

### ج - مع الله الروح القدس

في مرحلة الحياة الطويلة هذه التي نبدأها منذ خروجنا من يد الله المبدعة  
ونزولاً خلال التيهان عنه ثم صعوداً في مرتفعات المجد حتى الوصول الى  
شبه والحصول على نعمة التمتع بحضرة . نحن لسنا نسير وحدنا .

لقد كان الله مع شعبه خلال مرحلة الاكتشاف الاعظم . وكان هذا  
الاكتشاف وحياً منه منحه الروح الالهي حينما كانت قلوبهم وعقولهم  
مستعدة لقبوله . وذلك الرفيق غير المنظور كلم الانبياء في القدم ودلهم  
على الطريق وارشدهم نحو الامام الى حيث تجسم مقصده الالهي بشخص  
يسوع المسيح ابنه . وبعد ذلك اعلن ذاته بقوة جديدة في عيد الخمسين  
بجول روحه القدوس على التلاميذ المجتمعين معاً في العلية ومنذ ذلك التاريخ  
وهو يسير مع المؤمنين باسمه معلناً ومذكراً ومشجعاً اياهم في اوقات  
الضيق والاضطهاد واوقات الوحدة والوحشة وهادياً لهم في ازمان التشويش  
والارتباك ومساعداً اياهم عند التوبة والرجوع اليه في طلب الغفران .  
وحتى الوقت الحاضر يسير معنا في الطريق المؤدي الى المرتفعات

الأبدية . وهو الذي ينير لنا السبيل ويحدد لنا الكلمة الحية في الأسفار المقدسة و يمنحنا الحياة والوحدة في الجسد الموزع فوق كل بقعة تحت الشمس والذي رأسه المسيح - نعني به شركة المؤمنين المسيحيين في الكنيسة الروحية . وهو يستجيب حيناً ندعوه بالصلاة الحارة والايان . وحينما نحمل البشارة الى الآخرين يسير قدامنا ويقوي كلماتنا الضعيفة ويسند اعمالنا ويعضدنا في اداء الشهادة كما يتبعنا الى كل زاوية مظلمة ليساعدنا على اثارها ويعطينا حصداً وافراً لخدمتنا المسيحية كرعاة وكعلمانيين وبدون هذا الرفيق الدائم لسنا نرجو الاهتداء الى طريقنا كما اننا لسنا قادرين على قيادة غيرنا الى الهدف الاسمى . . ولكنه دوماً معنا . . وان كان الله معنا . . فمن علينا ( رو ٨ : ٣١ ) .

#### ٦ - التثليث

ان عقيدة التثليث كما قررتها المجامع الكنسية ليست موضحة في الكتاب المقدس ومع ذلك ففما نحاول ان نشرح ونفسر رسالة الكتاب لا بد ان يفضي بنا البحث الى الشكل المثلث . ففي طريق الكلمة الحية ننبثق بحياتنا من الله ومع الله . فهو اله واحد وليس آخر . ومع ذلك فهو الذي يظهر لنا كأب في تضرنا من يده المبدعة والابن الذي نعود اليه والذي بحياته وتعاليمه وموته وقيامته فتح لنا الطريق الى الخلود والروح الاقدس مشيرنا ورفيقنا في هذه السفرة الطويلة .

قد يظهر ان هذا يصل بنا الى آخر مرحلة من دراستنا ولكننا الى هذا الوقت قد تحدثنا عن الطريق وكأن المؤمن يسلكها منفرداً مع الله . غير



ان الحقيقة ليست كذلك لأن رسالة الكتاب المقدس جماعية في عمق  
جوهرها . فواجباتنا وميزاتنا كأهل بيت الايمان ما زالت غير معلنة  
والكتاب المقدس رسالة خطيرة يؤديها في هذا الموضوع سنختم كلامنا عنه  
في الفصل التالي :

☆ ☆ ☆

## جسد المسيح

### ١ - شركة الايمان والمحبة

منذ البدء كان المسيحيون متحدين معاً بشركة الايمان . والايمان المسيحي بطبيعته موجة عارمة بالشوق لمشاطرة عطايا الله ومراحمه بعضهم مع بعض .

ففي يوم الخمسين اجتمع اناس كثيرون من مختلف البلدان قيل عنهم انهم كانوا معاً بنفس واحدة . وتقول الرواية انهم كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات ( أع ٢ : ٤٢ ) . وفي اماكن متعددة من العهد الجديد تظهر علامات هذه الشركة جليلة واضحة .

وكانت هذه الوحدة التي مارستها الكنيسة الاولى مترابطة بهذا المقدار حتى ان بولس الرسول رآها ضرورة لطبيعة الحياة المسيحية فوصفها مراراً بجسد المسيح . فيكتب مثلاً :

فانه كما في جسد واحد لنا اعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الاعضاء لها عمل واحد. هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح واعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر (رو ١٢ : ٤ - ٥) .

ان الشركة المسيحية في العهد الجديد تختلف في طبيعتها عن شركة الكنيسة اليهودية في العهد القديم . ذلك انهم في القديم كانوا شعباً واحداً وامة واحدة مرتبطين معاً باواصر الدم والقربى . وقد وضعوا اهمية كبرى على تلك الاواصر فظهرت في شرائعهم وانعكست على تقاليدهم ومراسيم الزواج وقوانين المخالطة وبنوع خاص بعد رجوع نحميا وعزرا الى اورشليم وترميمها الهيكل واسوار المدينة . اما الكنيسة المسيحية فتختلف عن الكنيسة اليهودية بانها كانت منذ نشأتها عامة كما كانت خدمة يسوع شاملة للسامريين ( لو ١٧ : ١٥ - ١٦ و يو ٤ : ٣٩ - ٤٠ ) ولقائد المئة الروماني ( مت ٨ : ٥ - ١٣ ) وللرأفة القينقية وابنتها ( مر ٧ : ٢٤ - ٣٠ ) ولغيرهم من السوريين ( مر ٧ : ٣١ - ٣٧ ) . فالكنيسة المسيحية ضمت في حظيرتها اناساً من كل امة ولسان .

وكان لا بد لهذا الاندماج العنصري من نتائج ومن موجبات لوجود توتر داخلي وما يتبعه من تأثير على وحدة الكنيسة . فلقد جمعت في سلك عضويتها يهوداً ورؤساء رومانين متسلطين على الشعب ينظرون الى اليهود كشعب جاهل وغير مهذب ودونهم في المرتبة كما كان هنالك احرار وعبيد وسيكيشيون وكان هؤلاء الاخيريون يعتبرون برابرة ومتوحشين في نظر البعض . كما كان هنالك اغنياء وفقراء واشخاص متحمسون تابعون لمنظمات وطنية متطرفة بين صفوف اليهود انفسهم .

ومع ذلك ففي كل حوادث العهد الجديد لا نقف على اخبار من  
التفرقة العنصرية والانقسامات الداخلية في الكنيسة ولم يفكروا قط بان  
يفرزوا كنيسة خاصة باليهود واخرى بالأمم ، واحدة للاسياد والاغنياء  
واخرى للعبيد والفقراء . ولما حلت عليهم قوة الروح القدس كانوا  
مجتمعين معاً بقطع النظر عن الفوارق العالمية التي كانت تفصل بينهم  
وتبعدهم عن بعضهم البعض . وكانت فلسفة الرسل الاولين مبنية على ان  
ما وحدّه الله لا يمكن لاية فوارق عنصرية ان تفصله ولن يسمح لعوامل  
التفرقة ان تعصف بهم وتعمل على تشتيتهم .

وهكذا يكتب الرسول بولس :

لانا جميعنا بروح واحدة ايضاً اعتمدنا الى جسد واحد يهوداً كنا  
ام يونانيين عبيداً ام احراراً وجميعنا سقيناً روحاً واحداً ( ١ كو ١٢ :  
١٣ ) . وحينما يكتب الى اهل غلاطية يشدد عليهم بان وحدة الكنيسة  
ليست أمراً مختاراً ولكنها جزء لا يتجزأ من طبيعة المعموديتهم كمسيحيين  
فيقول :

لان كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ليس يهودي ولا  
يوناني . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وانثى . لانكم جميعاً واحد في  
المسيح يسوع ( غل ٣ : ٢٧ - ٢٨ ) .

وحينما يكتب للكلوسيين يقول الرسول :

حيث ليس يوناني ويهودي ختان وغرلة بربري سكيثي عبد حر بل  
المسيح الكل وفي الكل ( كو ٣ : ١١ ) .

ونقرأ في الرسالة الى اهل افسس بصدد الانشقاق الذي حصل في  
الكنيسة بين اليهود والأمم ما يلي :

لانه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج  
المتوسط . اي العداوة . مبطلأ بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي  
يخلق الاثنين في نفسه انساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً . ويصالح الاثنين  
في جسد واحد مع الله بالصلب قاتلاً العداوة به ( ١ ف ٢ : ١٤ -  
١٦ ) .

ونعلم من الاحداث التاريخية التي تبعت الجهود التي بذلت لحل  
الكنيسة على المحافظة على وحدتها ونجاح تلك الجهود . فبالرغم من  
الانفعالات النفسية وروح العداة التي كانت مستحكمة خارج حلقات  
الكنيسة المسيحية استمر المؤمنون في كامل حوض البحر الايض المتوسط  
متمسكين بوحدة الايمان رغم كل الحواجز العالمية التي اعترضت سبيلهم .  
ولم تتبدل الحال معهم الا في الايام الاخيرة حينما اخذت تبرد حرارة  
الايمان في كنائس المدن التي اصبحت تهتم بالنفوذ العالمي حتى اصبحت  
غير قادرة على المحافظة على الوحدة بالمسيح .

## ٢ - شوكة الانتظار

وقفت الكنيسة المسيحية الأولى في وجه الاضطهادات والتعديات  
وجميع ضروب البغي والاستبداد وتحملت الشيء الكثير من الجور  
بصبر وثبات معتمدة على ذكرى يسوع المصلوب والمقام من بين الاموات



وعلى حضور روح الله القدوس في وسطها وعلى ايمانها بقرب غلبة الخير  
على الشر وانتصار الروح على المادة .

واما العقيدة بمجيء المسيح الثاني والطريقة التي سيعود فيها فكانت  
تختلف باختلاف اسفار العهد الجديد . فنصت الرسالة الاولى الى اهل  
تسالونيكي ان ظهوره سيكون منظوراً وقريباً وسيراه الجميع آتياً على  
سحاب المجد . وفي بعض الاحيان ، كما في رسالة بولس الثانية الى اهل  
تسالونيكي ، يجد الرسول وغيره من قادة الكنيسة مشقة في تهدئة خواطر  
المؤمنين المتشوقين لرؤية ذلك المنظر العجيب محاولين صرف افكارهم الى  
الصبر والخضوع والتسليم وهم ينتظرون تدخل الله الفعلي وانتصاره  
النهائي . واحياناً كانوا ينكرون مجيء المسيح على تلك الصورة كما  
ورد في ( لو ١٧ : ٢٠ - ٢١ ) لما سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت  
الله اجابهم لا يأتي ملكوت الله بمراقبة . ولا يقولون هوذا ههنا او  
هوذا هناك لان ملكوت الله داخلكم . ومع ذلك ففي الرسالة الى اهل  
فيلبي يظهر ان الرجاء كان مركزاً على التقاء المؤمنين الشخصي فور  
انتقالهم من هذه الحياة الى الحياة الابدية .

وفي حين انهم لم يكونوا متأكدين من جهة موعد مجيء المسيح  
الثاني والطريقة التي سيظهر فيها كانوا واثقين كل الثقة بان الله ذاته الذي  
عمل على مصالح البشرية التائهة بواسطة ابنه يسوع المسيح سينجز مقصده  
الإلهي وسيتم رجاء المؤمنين باسمه . ومن ناحية اخرى نجد ميلاً لعدم  
اعتبار التفاصيل في هذا الموضوع الخطير وحصر الأهمية ببقاء المؤمنين  
ثابتين في الايمان وتمسكين بالرجاء وعائشين في الوحدة والمحبة وعاملين  
بالصلاة والشكر دوماً .

ولأن الخلاص هو من الله ولا يتوقف على حوادث تاريخية معينة استطاعت الجماعة المسيحية ان تحيا في العالم بدون ان تكون خاضعة للقوى الشريرة فيه . فيكتب الرسول للكنيسة في رومية :

ولا تشاكلوا هذا الدهر . بل تغيروا عن شكلكم بتجديد اذهانكم لتختبروا ما هي ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة ( روم ١٢ : ٢ ) .

والدليل على ان تلك التنبهات كانت تطاع ويعمل بها على نطاق واسع قد تبرهن من تأثير الكنيسة المسيحية في الحياة الاجتماعية ليس في مكان معين بل في كامل الامبراطورية الرومانية . وكانت ثقة المؤمنين بان الله سيحقق لهم الرجاء بكل تأكيد قد اعطتهم منطلقاً واسعاً استطاعوا ان ينتقلوا منه فيثبوا الامبراطورية الرومانية ويقلبوا رأساً على عقب .

وحينما تكون كنيسة اليوم امينة لسيدتها فعلاً ترفض ان تشاكل مقاييس العالم برسالتها وحياتها وان تتدخل في الشؤون العالمية الصرفة والحزبية والتفرقة العنصرية وكل ما يدعو الى التباعد . وينبغي ان يكون ايمان الكنيسة موجهاً ليس الى قوى العالم المادية والى خططه ومكائده ومناهجه بل الى الله بالذات . ولذا كان لا بد لها من هدف مستقل لا يقل عن تغيير العالم وتخمين المجتمع بنخبة الصلاح والبر لان البر وحده هو الذي يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية .

### ٣ - مشاطرة الشهادة

ان كنيسة المسيح عبارة عن جماعة يشاطرون بعضهم بعضاً الشهادة

التي يقدمونها لله بالشكر والحمد لما فعله ويفعله وسوف يفعله من اجلهم .  
وهذه الشهادة تقدم بالعبادة وبصور اخرى ليس في الكنيسة فحسب  
بل في مختلف العلاقات الاجتماعية .

ان جزءاً من تلك الشهادة يقوم بتقديم بشارة الانجيل ذاتها فيعلن  
الانجيل من فوق المنابر كما فعل الرسول بطرس في ( أع ٢ : ١٤ - ٣٦ )  
أو قد يؤدي بالترنيم الجماعي المشترك من قبل الجوق او بواسطة الجمهور  
بكامله كما قد يرغم في بيوت المؤمنين وهم يشتركون بترانيم الحمد  
متكلمين بزامير وتساييح واغاني روحية مترنمين او مرتلين في قلوبهم للرب  
( أف ٥ : ١٩ ) . وقد يقدم الانجيل بالكلام والاعمال والرموز المادية  
وممارسة الاسرار وغيرها من الشعائر الكنسية ( أع ٢ : ١١ )  
واكو ١١ : ١٧ - ٢٩ ) . وكثيراً ما يعلن بطريقة الايمان الشخصي  
الذي ينعكس في الاعمال العادية والمعاملات التجارية وفي البيوت  
والمعامل والمصانع .

ان هذا الامتياز في اعلان الانجيل لا ينحصر في خدمة الدين بل  
يشدد الانجيل المقدس على وجوب اشراك جميع المسيحيين من اكليريكيين  
وعلمانيين كل واحد بحسب طاقته وبقدر الوزنات الممنوحة له . فيكتب  
الرسول بولس الى اهل كورنثوس قائلاً :

وليملك في قلوبكم سلام الله الذي اليه دعيتم في جسد واحد وكونوا  
شاكرين . لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وانتم بكل حكمة معلمون  
ومنذرون بعضكم بعضاً بزامير وتساييح واغاني روحية بنعمة مترنمين في  
قلوبكم للرب ( كو ٣ : ١٥ - ١٦ ) .

وبطريقة مباشرة ، وربما كان بدرجة اسمى من الاقتناع ، يشهد المؤمنون بالمسيح المدعوون جسده بخضوعهم وتوبتهم وودائعهم واتضاعهم . فالكنيسة هي المؤسسة الوحيدة التي تقبل المرء في شركتها باعتوافه الشخصي بعدم استحقاقه . فاذا ما كان المؤمنون الحقيقيون مقبولين في نظر الله باعتوافهم بعدم استحقاقهم ينبذون كل محاولة للدفاع عن برهم الذاتي امام الناس . لذلك فهم يعترفون باخطائهم ويتقبلون كل اصلاح يعطى بالمجبة . وقد علم الرب يسوع :

فان قدمت قربانك الى المذبح وهناك تذكرت ان لايخك شيئاً عليك . فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب اولاً اصطلي مع اخيك وحينئذ تعال وقدم قربانك ( مت ٥ : ٢٣ - ٢٤ ) .

وكذلك نقرأ في رسالة يعقوب :

اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لاجل بعض لكي تشفوا ( يع ٥ : ١٦ ) .

كذلك وهم عالمون انهم بحاجة الى مساندة بعضهم البعض كان للمؤمنين المسيحيين كل الحق بان يغفروا لبعضهم البعض الإساءات بكل سخاء . وان حدث ان وجد شخص مكابر ومدع بيره الذاتي وغير مستعد للمسامحة فهو ليس اهلاً اذن لتقبل غفران الله ورحمته . فبعد ان علم السيد المسيح تلاميذه الصلاة المعروفة بالصلاة الربانية في انجيل متى اعقبها بهذه الخلاصة :

فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم ايضاً ابوكم السماوي . وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم ابوكم ايضاً زلاتكم ( مت ٦ : ١٤-١٥ ) . ولا يعني ذلك بالضرورة ان الله مصمم بأن ينسق معاملاته مع

اولاده ويجعلها في مستوى تعامل الناس بعضهم مع بعض . فالأب ينتظر بحجة واستيقا عودة ابنه الخاطيء الى حماه . ولكن الخاطيء لم يعد فعلاً ولن يعود طالما بقي قلبه متصلباً ومتحجراً تجاه اخيه . وهو ما اوضحه السيد المسيح في مثل الابن الضال الذي قدمه وقصد به الابن الأكبر . فهذا الابن لا يمكن ان يقبل في بيت ابيه طالما كان متمنعاً من مصالحة اخيه الأصغر مع ان والده خرج اليه يسترضيه ويتوسل اليه بان يدخل البيت ويشارك الوالد والأخ الأصغر اللذين كانا يفرحان ويسران معاً لان اخاه كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد ( لو ١٥ : ٣٢ ) .

وتتضمن شركة الشهادة الكنسية مهمة الفكر والتعليم ايضاً . فاذا كان الشخص مكرساً حياته لله كما اختبره وعرفه يسوع المسيح تحتم عليه ان يفكر في هذا الموضوع جدياً . فالعهد الجديد ، وبصورة خاصة رسائل بولس الرسول ، يبين لنا ان كثيراً من التفكير العميق كان يدور في حلقات الكنيسة البدائية الاولى . وتظهر غاية بعض الاسفار كإنجيل يوحنا مثلاً ورسائله الثلاث كأنها محاولة لحوض معركة تستهدف الهرطقات والتعاليم الدخيلة الفاسدة التي كانت تنسرب الى الكنيسة في نشأتها الاولى وتشكل خطراً على تحريف رسالة الانجيل وتشويهها . وكان المؤمنون حينذاك وفي كل اوان تواقين لمعرفة الطريق التي فتحها الله امامهم على قدر استيعابهم . وبهذا فقط كانوا واثقين بأنهم سيكتشفون تلك الطريق ويميزونها ويرشدون الناس اليها . ان كثافة انتاج الفكر المسيحي ووفرة التعاليم المشتركة هي شهادة للقيم السامية التي وضعت على الايمان بالله المسلم مرة للقديسين ( يه ٣ ) .

#### ٤ - جماعة المصالحة

لم تكن الكنيسة يوماً مجرد جمعية لتبادل المساعدة ، وان ظهرت كذلك في كثير من الاحيان ، ولكن كان لها واجب آخر في العالم . انها جماعة عمل والعمل هو نوع من المصالحة . ونحن ابناء الكنيسة لم نختزع هذا الواجب الموضوع علينا حتى ولم نبدأه . وهو ما يؤيده الرسول بقوله :

ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه يسوع المسيح واعطانا خدمة المصالحة . اي ان الله كان في المسيح مصالحو العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمة المصالحة ( ٢ كو ٥ : ١٨ - ١٩ ) .

ان عمل المصالحة هذا هو واجب لهدم الحواجز التي تفصل الناس عن الله وعن بعضهم البعض . والواجب واحد ويختص بالحدود العمودية والافقية للمكوث الله في حياة البشر . وطالما بقي الناس قساة وغير مستعدين للمساعدة في علاقاتهم بعضهم مع بعض ، كما مر معنا ، فلن يتمكنوا من دخول المنزل الوالدي . ولكن ينبغي الاتصال بهم وتبليغهم البشارة السارة عن عطية الله العظمى من المحبة والغفران لتتفتح قلوبهم المتحجرة لله وللقريب .

وفي الحياة العملية ينبغي ان تداع هذه البشارة بواسطة الاتصالات الفردية بالمحبة الاخوية لاننا نحن سفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا ( ٢ كو ٥ : ٢٠ ) . لذلك يقول الرسول بولس :

بل في كل شيء نظهر انفسنا كخدام الله في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في اتعاب في



اسهار في اصوام . في طهارة في علم في اناة في لطف في الروح القدس في  
حبة بلارياء . في كلام الحق في قوة الله . ( ٢ كو ٦ : ٤ - ٧ ) .

وليس من دليل في العهد الجديد بان خدمة المصالحة هذه كانت واجباً  
على صنف معين من الناس مفرزين ليكونوا كهنة او خدام دين . فهناك  
واجبات اختصاص عديدة في الكنيسة موزعة على كل عضو فيها ( انظر  
١ كو ١٢ : ١ - ١٣ ) . والعهد الجديد يشير الى كلمة كاهن او كهنوت  
كمهذب او مثقف او معلم . وفي اربعة شواهد فقط وشاهد خامس  
مشكوك بصحته ( رؤ ٢٠ : ٦ ) تشير الآيات إما الى وظيفة او الى عمل  
كل مسيحي . ففي كل واحد من هذه الشواهد حتى ( رؤ ٢٠ : ٦ )  
يشير الكلام الى واجب مقدس ومسؤولية كل مسيحي بدون ادنى اشارة  
الى تمييز بين اكليريكيين وعلمانيين ( انظر ١ بط ٢ : ٥ و ٩ و رؤ ١ :  
٦ و ٥ : ١٠ ) ووضح هذه الشواهد عبارة بطرس الرسول في رسالته  
الاولى ( ٢ : ٩ ) :

واما انتم فجنس مختار و كهنوت ملوكي امة مقدسة شعب اقتناء  
لكي تجربوا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب .

ان كلمة علماني في اللغة اليونانية القديمة هي نسبة اسمية لكلمة مشتقة  
من عالم ويقصد بها الشعب . وفي معناها الاصلي واحد من الشعب مدعو  
من الله لتتميم عمل خاص منوط به في العالم . نستخلص من هذه الفقرة  
اذن ومن اقتباسات اخرى بان كل مسيحي مدعو ليكون كاهناً لله ليخبر  
بفضائل الذي دعانا من الظلمة لنوره العجيب ناقلاً الى الغير غفران الله  
وفرط محبته التي لا تستقصى .

كثيراً ما نختار في الكنيسة كيف نستطيع ان نأتي بالكهنة وخدام الدين الى المصنع والمكتب والمنزل والى مجالس التشريع ومجالس الدولة لكي يتكلموا بكلمة المصالحة في الوقت الذي يكون فيها كهنة اذ ان كل انسان ، رجلاً كان أم امرأة ، من تصالح مع الله بواسطة الرب يسوع المسيح مدعو من الله ليكون كاهناً وخداماً لكلمة المصالحة حينما عاش وعمل . والكنيسة الاولى نمت وانتشرت بقوة العاملين من ابنائها العلمانيين . حتى بولس الرسول نفسه كان يكسب معيشته من صنع الحياض وكان علمانياً ورسولاً في الوقت نفسه . ان مصدر قوة الكنيسة في هذا الوقت هو في جماعة العلمانيين الذين لا يشعرون بان الدعوة للخدمة منحصرة فيمن يدعون بانهم تسلموا سرّاً من الله ليكونوا وسطاء له في ايصال غفرانه للناس .

ولقد اصبح الامر جلياً واضحاً لدى الكثيرين بان ثمة حاجة ملحة لخدمة العلمانيين في الارساليات التبشيرية فيما وراء البحار وتبرهن بالفعل ان بعض اولئك العاملين قد أدوا خدمات جليلة في جميع الحقول فساعدونا على اكتشاف معنى التلمذة الحقة كما تنعكس علينا من تفهم حقيقي لرسالة العهد الجديد بكامله .

ولنا على ذلك « بتي مارتن » مثلاً . فلقد كانت فتاة علمانية من الطائفة المعمدانية في انكلترا عاملة في مصلحة الانعاش الاجتماعي في مدينة لندن حينما اخذت تقرأ في الجرائد عن قيام حركة «المومو» في كينيا الافريقية . وكغيرها من ملايين الناس في انكلترا عرفت بان « المومو » كانت جمعية سرية فدائية خطيرة في قبيلة تعرف « بالكبي كيويو » مرتبطة بمواثيق واقسام مغلظة ان تغتال في الحال حينما تتلقى الامر . وقرأت « بتي »

عن الطرق الوحشية التي كانوا ينفذون بها الاغتيالات في السكان البيض وفي بعض زعماء القبيلة الذين رفضوا الانضمام الى تلك الحركة الاثيمة . وعرفت ايضاً عن الاجراءات البوليسية والعسكرية التعسفية التي استخدمتها السلطات في تلك البلاد لقمع الحركة . وقرأت عن الالوف من رجال قبيلة الكي كيويو وعن مئات النساء اللواتي زججن في السجون وراء الابواب الحديدية . وقد ساءها بالاكثر ان تقف على اعمال الاجرام الشنيعة التي كانت منوطة بالنساء . الى هذا الحد كانت « بيتي مارتن » كغيرها من ملايين البشر الذين اطلعوا على تلك الاخبار المرعبة .

غير ان تجاوبها كان مختلفاً جداً . فلدن سماعها عن تلك الاعمال البربرية تولد في نفسها محبة مشفقة لأولئك النسوة الجاهلات . كم ينبغي ان يكن تعيسات حتى توصلن الى مثل تلك الحال وأقدمن على مثل تلك الاعمال . وكم ينبغي ان يتحملن من عذاب نفسي وتبكيت للضمير . وكم يشعرن الآن بالوحدة والوحشة والتعاسة والألم الروحي . فبتي مارتن تحركت بعاطفة الشفقة والرحمة تجاه اولئك البشر وينبغي ان تفعل شيئاً لاجلهم .

وكانت الحكومة في تلك الاثناء عازمة على تثقيف اولئك النسوة الكي كيويات وازالة الاحقاد من قلوبهن فجندت لذلك خبراء في الشؤون الاجتماعية واخصائيين في الخدمات الريفية كما ارفقتهم بمساعدين من المواطنين وبمطوعات من نساء مواطنات كنّ وقفن ببطولة ضد تلك الأعمال البربرية التي قامت بها حركة المومو . فعمل بعضهم بضعة اسابيع والبعض الآخر لعدد من الاشهر ولكنهم اخفقوا وتركوا الخدمة بحجة انها كانت عبثاً وبدون فائدة . كذلك المعتقلات المحاطة بالاسلاك الشائكة والاراضي الجرداء التي كانوا يحشرون فيها وفرق الجيش والبوليس الذين

انبط بهم امر الحماية وحفظ الأمن . كل ذلك لم يثمر في إيجاد منطلق  
للجهود الثقافية التي كانوا عازمين على ادخالها بل على العكس زادت قلوب  
المعتقلين والمعتقلات حقدًا ومرارة وجعلت امكانية اصلاحهم ضرباً من  
المستحيل .

وجاءت بتي مارتن متطوعة باسم المسيح ومرسلة من قبل كنيسة  
وقد ظهرت كأنها غير مهيأة بالنسبة للبعثات الحكومية التي سبقتها . ولم  
تكن قد عرفت كينيا من قبل كما كان عليها ان تدرس ما امكنها من  
لغة الكيكيويو وتقاليدهم وعاداتهم وما عندهم من ثقافة بدائية فجأة .

وفي اليوم الذي قابلتها في سجن كاميتي رأيتها ذات محيا رزين تتخلله  
سمات من الحزن والالم كانت تشاطر بها اولئك النساء الا ان وجهها  
كان يشع بنور داخلي وقد بدت امامي سيدة بالغة اقصى حدود المشاعر  
العاطفية ذات عزيمة ثابتة وایمان راسخ متدربة ومدعومة بالحب لسيدها  
وفاديا . وفيما تجولنا في باحات المعتقل وزرنا المستشفى وشاهدنا مختلف  
اقسام النساء برفقة صديقتنا الوقور ليوناردو بيتشار اسقف مومبازا كانت  
بتي تجيبني على اسئلي بهدوء ورصانة ودقة وإحكام .

وبعد ان جاءت الى كينيا وبدأت عملها في السجن ظهر لها العمل  
كأنه بدون جدوى . فشد الفجر حتى نهاية اليوم عملت بتي ما وجدت  
الى عمله سبيلاً وما يمكن ان يعبر عن محبتها لأولئك النساء المهملات فقامت  
بأعمال حقيرة معتنية بالأطفال المرضى والنساء المتألمات حتى توصلت ان  
تتحني وتمخط انف ولدٍ دارج وتعلمه كيف يحافظ على نظافة انفه . ولم  
تحصل على ردٍ ايجابي حتى ولا على شيء من روح الشكر وعرفان الجميل  
وعوضاً عن ذلك كانت تقابل بالتعطيب والتكشير والاستهزاء واحياناً لم

تحصل الا على سكوت وازدراء . وقالت انها لمدة ستة اشهر كانت كأنها تحاول ان تغرس حديقة على سطح من الاسمنت المسلح . فكم واحداً منا كان يستطيع ان يواصل خدمته في جو كهذا ؟ وكم واحداً منا يستمر في محبة جار سيء الخلق وكثير التعدي ؟ او اي منا يتحمل رقيقاً له في العمل اذا كان ذلك الرفيق شرس الطبع وصعب المراس ؟ والى اي مدى نستطيع ان نستمر متحملين اساءة من نتعامل معهم اذا لم يكونوا في مستوى التعامل ؟

اما بتي مارتن فاستمرت تؤدي خدماتها مندفعة بحجة المسيح التي ملأت فؤادها وملكت عليها حياتها حتى تمهدت الطريق وتحطم الاسمنت المسلح . فبدأوا يظهرون لها شيئاً من الابتسام او احشاءاً بالرأس علامة الشكران وبعد ذلك اخذوا يعبرون عن مشاعرهم ببعض عبارات الامتنان . واخيراً انفجرت احدى النساء المريضات بعاطفة عرفان الجميل بعد ان قدمت لها بتي اجل الخدمات ففتحت الباب على مصراعيه امام زميلاتنا حتى صرن يعتبرن تلك المخلوقة ظل المسيح على الارض ويستقبلنها بالمحبة والاكرام في جميع اقسام المعتقل وكانت في تجوالها بين مختلف الجماعات تستقبل كأنها شمس مشرقة والشفاء في اجنتها وقد بدأ النور يشع من بعض تلك الوجوه التي كانت الى ذلك الحين لا تعرف سوى التقطيب ونكرات الجميل . فتغيرت حياة الكثيرين والكثيرات منهم وساموا نفوسهم للمسيح حتى بلغ عدد الذين قبلوا المسيح خمسمائة وشرعوا بدورهم ينشرون بشارة الخلاص للناس . وقد حضر في اجتماع يوم الصلاة المسكوني مؤخراً اكثر من الف ومئتي شخص من نساء ورجال مسيحين الله وشاكرينه على نعمة الخلاص المجانية بالمسيح .



فهل نحسب بتي مارتن سيدة علمانية يا ترى ؟ نعم انها كذلك ولكنها  
في ذات الوقت يمكن ان توصف بانها جنس مختار و كهنوت ملوكي وأمة  
مقدسة وشعب اقتناء استجابت الدعوة وذهبت الى تلك القارة السوداء  
لكي تجبر بفضائل الذي دعاها من الظلمة الى نوره العجيب ( ١ بط ٢: ٩ ) .  
فلماذا لا يكون هنالك اكثر من بتي مارتن واحدة ؟ ان الحصاد كثير  
والفعلة قليلون . . . ان اما كن عديدة في العالم تستغيث قائلة : ابر الينا  
وأعنا . كذلك نجد الحاجة ماسة في كل مكان لتغيير جو العمل والعلاقات  
بين العمال وارباب الاعمال وتغيير جو البيوت والدوائر الحكومية  
ومجالس القضاء والتشريع ودور التعليم والعلاقات العنصرية والدولية  
والحياة الفردية الخاصة والقلوب البشرية . واكثر هذه الخدمات ينبغي  
ان يقوم بها العلمانيون . فهم وحدهم مزودون بالمعرفة والامكانية لكي  
يتوجهوا بحبة المسيح ويجسدوها الى مظاهر مختلفة في كل انحاء العالم زد  
على ذلك ان اما كن عديدة ليس فيها قسوس او كهنة او خدام دين بل  
علمانيون ولا يقدر ان يقوم بالخدمة غيرهم . في هذه الاماكن يستطيع  
العلمانيون ان يعلنوا بحبة الله قولاً وعملاً . واذا لم يكن من فرصة اخرى  
فماذا هم فاعلون ؟

#### هـ - العلمانيون والاكليويكيون

ان تعاليم العهد الجديد تشدد على كهنوت جميع المؤمنين . غير ان  
ذلك لا يعني بانه ليس ثمة تمييز ان من جهة السلطة او من جهة الوظيفة في  
الكنيسة . ان وجود هذا التمييز في الكنيسة المسيحية منذ نشأتها أمر



واضح لا يحتاج الى اثبات . فمجرد كتابة الرسول بولس رسائله ، بما فيها من تعليم وانذار وتشجيع ، الى عدد من الكنائس في اوروبا وآسيا الصغرى دليل على انه وجماعة المسيحيين في تلك الكنائس الحديثة ادركوا ان له بعض السلطان على تلك الكنائس كما كانت منوطة به مسؤوليات خاصة نحوم . وفوق ذلك فقد كتب عن عدد من الاشخاص مقدماً اياهم للكنيسة وطالبا الاصغاء اليهم وسماع رسالتهم باحترام . كذلك بعض الاسفار الاخرى في العهد الجديد التي تحمل الطابع ذاته وتظهر تقدم البعض من الاخوة في الوظائف التي كانوا يقومون بها . وهناك ايضا بعض المؤهلات المذكورة التي ينبغي ان يتحلى بها من طلب القسوسية او الاسقفية او خدمة الشماس . ومن السهل ان نلاحظ انه بعد مرور خمسين سنة على موعد حلول الروح القدس على التلاميذ صار في الكنيسة وظائف خاصة احتاجت الى مؤهلات معينة وواجبات مرتبة وسلطات رسمية . وان وظائف كوظيفة القسوسية كانت تحسب مسؤولية خطيرة نجدها مؤيدة في القواعد التي وضعت لانتخابهم ورسامتهم . فنقرأ مثلاً :

وانتخباهم قسوساً في كل كنيسة ثم صلبا باصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به ( أع ١٤ : ٢٣ ) .

وفي الآية التالية نجد اشارة صريحة الى الوظيفة والى المسؤولية : اما الشيوخ المدبرون حسناً فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم ( ١ تي ٥ : ١٧ ) .

ولسنا نعلم بالضبط كيف تحول التنظيم الاداري في الكنيسة من شكل بسيط جداً في أول عهدها الى نظام متشعب الدرجات والرتب . ومن الجهل ان ندعي بان تلك الانظمة المفصلة والوظائف الكهنوتية المختلفة

محددة في العهد الجديد . غير ان شيئاً من التمييز بين الخدام المفرزين وبين العلمانيين موجود وملحوظ .

وهذا لا يعني بان القسوس والكهنة ورجال الدين هم أقرب الى الله واكثر تقى وورعاً من العلمانيين مع انهم ينبغي ان يكونوا منتخبين ومختارين من المتفوقين وذوي الكفاءات والمواهب . والعلمانيون ، رجالاً كانوا أو نساء ، ليسوا مساعدين للقسوس والكهنة كما انهم ليسوا مسيحيين من الدرجة الثانية . فلكل منهم نفس الاحتياج ونفس الواجب بان يحب الله من كل انقلب ومن كل العقل ومن كل النفس ومن كل القدرة . ولكن لكل واحد مهمة خاصة وواجب معين ذوطبيعة تتوقف على دعوة المؤمن الشخصية كطبيب او مزارع او محام او عامل في المصنع او كاتب او مدير او ربة بيت او سياسي محترف او موظف او أي عمل آخر . ومن واجب كل مسيحي ان يجسد الانجيل ويترجمه الى العلاقات الشخصية والاعمال التقنية التي يقوم بها يومياً .

ومن ناحية اخرى نجد بان لقسيس الكنيسة مسؤولية نشر الانجيل بالقول وممارسة الاسرار كما عليه ان يقدم الارشادات بوضوح حتى يتمكن الرجل البسيط من فهمها وتطبيقها في الحياة . وعليه ان يخدم مصالح الرعية بكل محبة وغيرة واخلاص لكي يحصل الاعضاء من العبادة والوعظ والصلاة على قوة الهية ليؤدوا خدماتهم الشاقة بنجاح وفعالية . فمهمة القسيس اذن هي محور تدور حوله حياة الجماعة كلها . الا انه لا يفرضها سيداً على العلمانيين ويستثني نفسه . فلكل من القسيس والعلماني واجب خاص اذا ما اردنا ان نوصل البشارة الى كل زاوية من زوايا الحياة . وكل من قام بمهمة الله بتجرد وامانة واخلاص حسبما ينتدبه الله يستحق كل

اكرام وتقدير . وكل من عاش في دعوة خاصة ، مستتراً او ظاهراً بروح  
المسيح عليه ان يطيع الله لا ان يكون ممجداً من البشر .

#### ٦ - طريق الصليب

ان الاساس الذي بني عليه هذا الكتاب يؤكد لنا بأن يسوع المسيح  
هو الهدف الاسمي لوجودنا والجواب الصحيح للسؤال التالي: ما الغاية من  
الحياة؟ بينما يجب الروح القدس على الكيفية التي بواسطتها نصل الى تلك  
الغاية .

ان آباء الكنيسة الاولين حاولوا ان يبعدوا هذه الفكرة وكل فكرة  
اخرى تعمل على التفريق في عمل الآب والابن والروح القدس كما يصير  
التقليد الكنسي على اشراك الثلاثة في عمل كل منهم لان الله واحد فقط .  
بامكاننا التشديد هنا على ان الرب يسوع المسيح لم يكن مثالنا  
الأعظم الذي نأمل ان ننمو للوصول اليه فحسب بنعمة الله ولكنه هو  
الطريق بالذات .

وحينما نتساءل حقاً عن كيفية الانتقال من الورطة البشرية الى الله  
ينبغي ان يكون جوابنا : بطريق الصليب الذي مات عليه الرب يسوع .  
اي بقبولنا الحياة التي يمنحنا اياها بالتوبة والايمان بالمسيح المصلوب .

زد على ذلك ان طريق الصليب هي التي ينبغي ان نسلكها فيما بعد .  
فقبولنا الصليب او قبولنا المسيح ينبغي ان يكون اكثر من مجرد حدث  
عابر في مرحلة حياتنا الطويلة ثم به سراعاً ونعتبره هدفاً يستحق التوقير

والاحترام او نقطة انطلاق حياة جديدة . انه يعني اخضاع نفوسنا للمسيح الذي مات على الجلجثة ليخلصها ويفتديها وان نجعل طريق الصليب سبيلنا بالذات .

فما بعد طريق الحياة في عالمنا الحاضر عن طريق الصليب . حتى في الكنائس اليوم يقول لك الاصدقاء : اعتن بصحتك وهذا كل ما في الامر ان يسوع لم يكن ليهم بصحته حينما ثبت وجهه منطلقاً الى اورشليم وفي طريقه الى الصليب . وكم من المرات نسمع هذه العبارة : لا تقل هذا الامر عن لساني . انني لا اريد ان اتورط في القضية . اما يسوع فوضع نفسه حتى الموت واطاع حتى الصليب ولم يتهرب او ينسحب او يتنصل من المسؤولية .

و كغيري من المسيحيين الذين شعروا بالدعوة ليكونوا مرسلين وليحملوا المحبة المسيحية والشهادة لا ما كن خطرة قد سمعت توسل الاصدقاء بالآ اذهب قائلين : وما شأنك وهذا الامر ؟ ولماذا تريد ان تورط نفسك وتعرضها للخطر ؟ وغيرهم يعترضون بشيء من التلطف قائلين : ولماذا يعرض هذا الانسان حياته النافعة للخطر ؟ لماذا لا يذهب غيره في هذه المهمة ؟ ولماذا لا يتركها لسواه ؟

وفي الوقت الذي نكون فيه ممتنين لهذا الاهتمام ينبغي ان ننظر الى هذه الاعتراضات جميعها كتجارب لانكار المسيح . ان ما فينا من نفع كما يعبر عنه اصدقاءنا الكرام في مجاملاتهم لا يمكن ان يقارن بنفع السيد كمعلم وكطبيب يشفي امراض السقاء . فحينما لم يحسب حياته غالية لكي تبذل في سبيل خلاص البشر وهو في الثالثة والثلاثين من العمر نقض

كل اعدارنا الدفاعية التي نقدمها لعدم تورطنا بسبب نفعنا واهميتنا الوهمية  
فاذا كان لنا ايمان حقيقي بالمسيح وليس ايماناً عاطفياً لا يتجاوز حدود  
الالفاظ المعسولة نحمل صليتنا وننكر نفوسنا ونتبعه . واذا كان ثمة من  
معنى هذا الكلام فهو يعني ان نكون مستعدين لان نضحي بمراكزنا  
ووظائفنا وشهرتنا حتى حياتنا في سبيل اتباعه الى حيث يقودنا روحه في  
الوقت الحاضر .

#### ٧ - الحياة الابدية الحاضرة

ان تسليماً مطلقاً لله ، بعيداً عن قلق الانسان من جهة شرفه ومنزله ،  
يمكن تحقيقه اذا ما تغيرت الحياة تغيراً جذرياً من الداخل بقوة الله . وهو  
ما صرح به السيد المسيح لزارته ليلاً نيقوديموس اذ قال له : الحق الحق  
اقول لك ان كان احد لا يولد من فوق لا يقدر ان يرى ملكوت الله  
( يو ٣ : ٣ ) . هذه الولادة الجديدة هي ولادة للحياة الابدية . انها بدء  
الاستعداد للحياة الثانية . اما بدء هذه الحياة الابدية الفعلي فلا يتوقف على  
الموت الذي يأتي على مرحلة الحياة الحاضرة وهو ما يؤيده قول الرسول :  
عالمين هذا ان انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي  
لا نعود نستعبد ايضاً للخطية ( رو ٦ : ٦ ) كذلك اتم ايضاً احسبوا  
انفسكم امواتاً عن الخطية ولكن احياء لله بالمسيح يسوع ربنا  
( رو ٦ : ١١ ) .

فمن كان حياً بالله لا يجد المعنى النهائي للحياة قائماً بالملذات البشرية .  
ففي الصحة او المرض ، وفي الغنى او الفقر ، اذا كان يملك منزلاً جميلاً او



كوخاً حقيراً ، هذه الاحوال جميعها لا تقرر نجاح او فشل وجوده في الحياة . فهو يحيا وكل شيء آخر مكرس له وموقوف على تمجيد اسمه .

ان شخصاً كهذا يحصل على حرية فائقة غير متوقفة على احواله الخارجية المتقلبة . وان افضل شاهد على ذلك الرسالة التي كتبها الرسول بولس الى اهل فيليبي من السجن . فلقد كان منتظراً تنفيذ حكم الاعدام فيه او اعلان براءته واطلاق سراحه في اية ساعة . في تلك الاحوال المحيرة يكتب الرسول عن فرحه العظيم للفرصة التي حصل عليها في سجنه لنشر بشارة الانجيل وتشجيع اخوانه المؤمنين ( في ١ : ١٢ - ١٤ ) . فان مات الآن او عاش فهو يرجو الا يخزي في شيء بل بكل مجاهرة كما في كل حين كذلك الآن يتعظم المسيح في جسدي سواء كان بحياة ام بموت ( في ١ : ٢٠ ) . ثم يزيد مجرية لا حداً لها : لان لي الحياة هي المسيح والموت هو رب ( في ١ : ٢١ ) . لذلك يملأ ذلك السجن في رومية رسالته بالفرح والشكر :

وبهذا انا افرح . بل سأفرح ايضاً ( في ١ : ١٨ - ١٩ ) . واخيراً يا اخوتي افرحوا في الرب ( في ٣ : ١ ) .

اذأ يا اخوتي الاحباء والمشتاق اليهم يا سروري واكليلي اثبتوا هكذا في الرب ايها الاحباء ( في ٤ : ١ ) .

افرحوا في الرب كل حين واقول ايضاً افرحوا ( في ٤ : ٤ ) .

ولله ابنا المجد الى دهر الداهرين . آمين ( في ٤ : ٢٠ ) .

وهذه هي الحياة الابدية . انها تبدأ هنا في هذا العالم :

الحق الحق اقول لكم ان من يسمع كلامي ويؤمن بالذي ارسلني فله



حياة ابدية ولا يأتي الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحياة ( يو ٥ :  
٢٤ ) .

فرسالة الكتاب المقدس وهدفه الاسمي هو أن يبين لنا معالم هذه  
الحياة ويدلنا على الطريق المؤدي اليها . هذا الطريق يقودنا من الله خالقنا ،  
الى الله غايتنا وهدفنا الكلمة ذاته الذي يمنحنا معنى لحياتنا وفرحاً لا  
يوصف ، ومع الله الرفيق الدائم لنا والمشير والمعزي والصديق - الروح  
القدس .

وتحقيق هذا الهدف المقدس ممكن فقط حين يسمع الناس الكلمة  
ويؤمنون بها ويكونون عاملين لا سامعين فقط خادعين نفوسهم ( يع ١ :  
٢٢ ) . فطريق الكلمة الحية تقود من العبث والباطل وخيبة الأمل الى  
تتميم الحياة الابدية فقط لأولئك الذين يختارون السير فيها .  
هو ذا الان وقت مقبول . هو ذا الان يوم خلاص ( ٢ كو ٦ : ٢ ) .

☆☆☆

## فهرس

|                                   |    |
|-----------------------------------|----|
| الاهداء                           | ٥  |
| الرسالة الخالدة                   | ٧  |
| مقدمة المؤلف                      | ٩  |
| الجزء الاول - من الله             | ١١ |
| على صورة الله                     | ٣٠ |
| الضلالة الكبرى                    | ٣٧ |
| ١ - المعضلة البشرية               | ٣٧ |
| ٢ - خطية في البستان               | ٤٤ |
| ٣ - الخطية والالم في العهد القديم | ٥٨ |
| قداسة الله                        | ٦٩ |
| ١ - معنى القداسة                  | ٦٩ |
| ٢ - القداسة الادبية               | ٧٣ |
| ٣ - شواهد متفرقة لقداسة الله      | ٧٥ |
| ٤ - قرب الله                      | ٧٧ |
| حاجتنا الى الخلاص                 | ٨٣ |
| ١ - امراض الأمة                   | ٨٤ |

|                                |     |
|--------------------------------|-----|
| ٢ - شرور البشر                 | ٨٥  |
| ٣ - مواجهة الموت               | ٨٨  |
| ٤ - الشر الأساسي               | ٩٣  |
| الجزء الثاني - رحلة الاكتشاف   | ٩٥  |
| ١ - العطش الى الله             | ٩٥  |
| ٢ - العهد القديم               | ٩٨  |
| ٣ - الأنبياء                   | ١٠٣ |
| ٤ - تجدد النبوة بعد السبي      | ١١٥ |
| ٥ - الديانة اليهودية بعد السبي | ١١٧ |
| ٦ - آمال تتحقق                 | ١٢٢ |
| الكلمة                         | ١٢٥ |
| ١ - مقصد الله                  | ١٢٥ |
| ٢ - الهدف التاريخي             | ١٢٨ |
| ٣ - والكلمة صار جسداً          | ١٣٠ |
| ٤ - الجلجثة                    | ١٣٦ |
| ٥ - فجر القيامة                | ١٣٨ |
| ١ - مشاهين صورة ابنه           | ١٤١ |
| ٢ - نظرة جديدة الى الانسان     | ١٤٦ |
| ٣ - التغيير بالصليب            | ١٤٧ |
| ٤ - مقام في مجد                | ١٤٩ |
| الجزء الثالث                   | ١٥٥ |
| ١ - من يسير في الظلام          | ١٥٥ |

|                                  |     |
|----------------------------------|-----|
| ٢ - المعزي                       | ١٥٨ |
| ٣ - عمل الله في القرن الاول      | ١٦١ |
| ٤ - اسئلة الانسان الثلاثة العظمى | ١٦٦ |
| ٥ - اجوبة الله الثلاثة العظمى    | ١٦٧ |
| ٦ - التثيت                       | ١٧٣ |
| جسد المسيح                       | ١٧٥ |
| ١ - شركة الايمان والمحبة         | ١٧٥ |
| ٢ - شركة الانتظار                | ١٧٨ |
| ٣ - مشاطرة الشهادة               | ١٨٠ |
| ٤ - جماعة المصالحة               | ١٨٤ |
| ٥ - العلمانيون الكليريكيون       | ١٩٠ |
| ٦ - طريق الصليب                  | ١٩٣ |
| ٧ - الحياة الابدية الحاضرة       | ١٩٥ |

منشورات  
مكتبة المشعل الانجيلية  
مع اسهام  
مجمع الكنائس في الشرق الأدنى  
بيروت ١٩٦٧